



872

قطب الدین محیی الدین سعد الدین شمس الدین نجم الدین صدر الدین

نصر الدین شهاب الدین سراج الدین صلاح الدین خیر الدین نور الدین

جمال الدین جلال الدین مصلح الدین مظهر الدین ظهیر الدین قوام الدین

بدر الدین ضیاء الدین موید الدین حسام الدین نظام الدین عصام الدین

عضد الدین عز الدین غیاث الدین رضی الدین عماد الدین شرف الدین

سیف الدین ولی الدین تقی الدین زین الدین مجد الدین کمال الدین

فخر الدین علاء الدین صفی الدین رکن الدین تاج الدین حافظ الدین

سدید الدین مصباح الدین برهان الدین بهاء الدین محب الدین شجاع الدین

اسیر الدین عفیف الدین غوث الدین اوحد الدین

٢١٥

كتاب الإعلام بأعلام
بيت الله الحرام
لقطب الدين
الحنفي
المكي

في ذكر كسوة البيت
٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل المسجد الحرام حرماً امنا ومثابة للناس
وامر بتطهير الكعبة البيت الحرام للطائفين والعاكفين
وازال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين
اعظم الخلفاء والسلاطين واجلسهم على سريرة السعادة اكرم اجلاس
نحمده على خصوص المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف
الذى سواء العاكف فيه والباد ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
الملك البر السلام ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المنزل عليه
قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة او اصغر بنى الله
له بيتاً فى الجنة اى دار السلام صلى الله عليه وعلى اله الكرام وصحبه
العظام نجوم الدين ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف
واعتكف بالمسجد الحرام ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف اما بعد
فلما وفقنى الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلنى من جيران بيته المعظم
المنيف تشوفت نفسى الى الاطلاع على علم الاثار وتشوقت الى فن التاريخ
وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما ابقاه الدهر من اخبار

وقايع

وقايع الدوران واحوال السلف وما ابقوا من الاثار والاحداث بعد
ماصاروا الى الاجداث فان فى ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا بحال من مضى وايقاظا
وغير واعلاماً بان ساكن الدنيا على سفر ومفاكهة للفضلا وسعادة لمن يأتى
بعد من البشر فان من ارخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقايع ايامه فقد كتب
كتاباً الى من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد اشهد من احوال اهل
يكن فى عصره ومن كتب التاريخ فقد اهدى الى من بعده اعماراً وبوأ مسامعهم
وابصارهم دياراً ما كانت لهم دبارا واعلم اهل الافاق باخبار بلاد ما كانت لهم
مستقراً وكهلا اذا فاتنى ان ارى الديار بعينى فلعلى ارى الديار بسمعى ولقد
افادنا الامم الماضون باخبارهم واطلعونا على دثر وبقى من اثارهم فابصرنا
ما لم نشاهده بابصارهم واحطنا بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله
اجمعين وبواهم جنات عدن فيها خالدين فاردنا افادة من بعدنا ببعض
ما راينا وشهدنا واعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا استدعاء
للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله البر السلام ولقد قلت
فى هذا المقام لم يبق منا غير اثارنا وتمحى من بعد اخلاق وكلنا
مرجعنا للفنا وانما الله هو الباقى تنبيه لا يخفى على ضمائر
اولى البصائر وخواطر الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذى هو
حرم آمن للانام زاده الله تعالى شرفا وتعظيماً ومنحه عزاً
وعظمة ومهابة وتكريماً اعظم مساجد الدنيا واشرف مكان
خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام

سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله في العالم وخلائف الله في الارض
على كافة بني ادم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء امراء
المؤمنين ونمقه ورممه جملة من اكابر السلاطين كما سنشرحه ان شاء الله
وكان اخر ما شاهدناه من ابتداء من الصبا الى الكهولة ما عمره المهدي
العباسي وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي وزيادة باب ابراهيم للمقتدر
العباسي ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام
من سنة خمسين وتسعمائة وفارق السطح المتصل برباط المرحوم السلطان
قايتباي والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التي صارت الان من وقف
الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرممون ذلك من جانب السلطنة الشريفة
في ايام السلطان الاعظم الاكرم سلطان سلاطين العالم السعيد
الشهيد السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى ان مال
هذا الجانب الشرقي ميلا ظاهرا محسوسا بحيث ان يخشى سقوطه ثم علق واسند
بالاخشاب في ايام السلطان الاعظم والخاقان الاجل الاكرم ملك ملوك العصر والزمان الحليم السليم
كثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان انزل الله عليه شآبيب الرحمة والغفران فعرض ذلك
عليه فبرز امره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على احسن وضع واجمل صورة
وامر ان يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله
الارضة والقبب امكن وازين واحسن فوقع ذلك في سنة تسع وسبعين وتسعمائة فلما وصل الحكم الشريف شرع فيه
من اربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان واسس على التقوى
من الله ورضوان الى ان نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول

فى جنة عالية

في جنة عالية فيها عين جارية وسرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام في ايام دولة السلطان الاعظم
الهمام اجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط
البسيطة بالطول والعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض جلا وندكا
العالم وسلطانه وامير المؤمنين الذي جلس على كرسي الخلافة فما قدر كسرى
وايوانه الذي غذي بلبان حب العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله تعالى
وعبادته منذ كان والى الآن ولحب العلماء والصالحين وامدهم بالخيرات الجزيلة
الذي تعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ذي لسان مجدد معالم المسجد الحرام هو
وابوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شمل سعده حلق
ناشر الوية الامن والامان في جميع الممالك والبلاد ظل الله تعالى الممدود على كافة
العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الغطمطم السلطان مراد
جعل الله تعالى السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفي عقبه الى يوم التناد
وازال بنور عدله ظلم الظلم والفساد وشتت بسيف قهره شمل اهل الكفر
والالحاد وهدم بمعاول باسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيت
معدلته وصيت عدله وافنية المساجد والجمع كما قال الله القوي الامر القادر
في محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفي ذلك اقول

ان سلطاننا مراد لظل الله في الارض باهر السلطان
ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجاء عين المعاني
ملك وهو في الحقيقة عندي ملك صيغ صيغة الانسان

ملك عادل فكل ضعيف • وقوي في حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان • لحتوف العدو يبتدران
كمل المسجد الحرام بناء • فاق في العالمين كل المباني
هكذا هكذا والا فلا لا • انما الملك في بني عثمان

عظيم

ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان اثرا باقيا على صفحات الزمان ذا الاعلى شان
من امر به من اعيان الانسان كما اشار اليه القايل في سالف الازمان بقوله

ان البناء اذا تعاظم قدره • اضحى يدل على عظيم الباني

جمعت في هذه الاوراق من اخبار ذلك ما رق وراق لتسير به الركبان الى سائر
الافاق وتنشر في صفحات الدهر كالشمس في الاشراق وتحفظ في خزاين الملوك
والسلاطين كانفس العلائق فكان كتابا حسنا في بابه ممتعا لمن تعلق
باسبابه انيسا يجلو مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطايف
تاريخية واحكام شرعية ومواعظ نافعة وفوايد بارعة وسميته
الاعلام باعلام بيت الله الحرام وخدمت به خزاين كتب هذا السلطان الاعظم
والخاقان العادل الاكرم المطيع لامر الله تعالى وامر خير الانبياء صلى الله عليه وسلم
احد السبعة الذين يظلهم الله تعالى يوم القيمة تحت ظله ويشملهم بفيض فضله
العظيم فلا فضل الا فضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته
القوي المتين لتاييد هذا الدين القويم المبين واتام الانام في ظل امانه وعدله
المكين وابقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج
الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا والله سبحانه اسال ان يلبس هذا المؤلف

من

من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالي والايام ويجعلنا من المقبولين في بابه
العالي العزيز بالنظر الى وجهه الكريم في دار السلام امين وقد راينا ان
نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة والابواب
الى فصول بحسب الاحتياج اليها والى الله تعالى المرجع والمآب الباب ٦
الاول في ذكر وضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجا(رتها)
وحكم المجاورة بها ١٣ الباب الثاني في بناء الكعبة المعظمة الباب ٣٦
الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام
الباب الرابع ٤٣ في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام الباب ٦٨
الخامس في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد التربيع الذي
امر به المهدي الباب السادس ٩٥ في ذكر ما عمر ملوك الجراكسة في المسجد
الحرام الباب السابع ١٣٥ في ظهور ملوك آل عثمان خلد الله سبحانه سلطنتهم
الى انقضاء الدوران الباب الثامن ١٤٤ في دولة السلطان المحفوف
بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان الباب التاسع ١٧٧
في دولة السلطان الاعظم الخاقان السلطان سليم الثاني الباب العاشر ١٩٨
في سلطنة سلطان العصر والزمان السلطان مراد خان الخاتمة ٢٠٣ في ذكر
المواضع المباركة والاماكن المأثورة المشرفة المقدمة في ذكر سندنا فيما ننقله
في كتابنا هذا من اخبار البلد الحرام الذي ينقل عنه للوثوق والاعتماد اعلم ان
من بركة العلم نسبته الى قائله وما لم يذكر هنا كسند بين الناقل والراوي ومن ينقل
عنه فالاعتماد على ذلك النقل ولا بد ان يكون رجال السند موثوقا بهم والا فلا

أعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة المشرفة ابو الوليد محمد بن عبد
الكريم الازرقي ثم الامام ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي
ثم قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن احمد بن علي الحسني الفاسي ثم المكي
ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي ثم ولده الشيخ
عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد وهذا الاخير ممن ادركناه ولنا عليه
رواية واما الاولون فنذكر سندنا اليهم ليعتمد على نقلنا عنهم فاما ابو
الوليد الازرقي فروينا مؤلفاته عن جماعة اجلاء اخيار وعلماء كبار منهم
والدي المرحوم مولانا علاء الدين احمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين
يعقوب الحنفي القادري الخرقاني النهروالي المكي رحمه الله وليس جدنا قاضي
خان هذا صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هو غير ذلك من
علماء نهروالة قال اخبرنا به عز الدين عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين
عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن احمد بن علي
الفاسي المورخ قال اخبرنا به ابو المعالي عبد الله بن عمر الصوفي عن ابي زكريا
يحيى بن يوسف [illegible] اجازة ان ابا الحسن علي بن هبة الله الخطيب وعبد الله
ظافر الازدي انبأه عن ابي طاهر احمد بن محمد الحافظ قال انبانا به المبارك
عبد الجبار المعروف بابن الطيوري قال انبانا به ابو طالب محمد بن علي بن الفتح
العشاري قال انبانا به ابو بكر احمد بن محمد بن ابي موسى الهاشمي قال اخبرنا به
ابو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال انبانا به ابو الوليد محمد بن عبد
الله بن احمد بن محمد الوليد الازرقي واما ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي

فاني

فاني اروي مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر الخطيب ببلد الله تعالى الحرام احمد محب
الدين بن ابي القاسم محمد العقيلي النويري المكي قال انبانا به المسند المعمر
ابو العباس احمد بن محمد الدمشقي الشهير بالحجار اجازة قال انبانا به المسندة
المعمرة زينب بنت احمد بن عبد الرحيم اجازة قالت انبانا به الحافظ المسند
بهاء الدين ابو الحسن علي بن هبة الله سبط الجميزي اجازة قال انبانا به
الحافظ محمد بن احمد التجيبي لقيا قال انبانا به الحافظ ابو علي الحسين بن محمد
الجياني الغساني احد اركان الحديث بقرطبة قال انبانا به الحافظ الحكم بن
محمد الجذامي عن ابي القاسم بن ابي غالب الهمداني عن ابي الحسن الانصاري عن
مؤلفه **الباب الاول** في ذكر وضع مكة المشرفة وحكم بيع
دورها واجارتها وحكم المجاورة بها **اعلم** ان بلد الله تعالى الحرام مكة المشرفة
بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة لها مبدأ ونهاية
فمبداوها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة
موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد حمزة رضي الله عنه في طريق مجرى
العين ينزل اليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال
له الآن جبل جرول الى الثرم نصف جبل ابي قبيس ويقال لهذين الجبلين
الاخشبان وسماهما الازرقي جبل ابي قبيس والجبل الآخر فانه قال
اخشبا مكة ابو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الجبل الذي يقال
له الاحمر وكان يسمى في الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قعيقعان
وعلى دور عبد الله بن الزبير رضي الله عنه انتهى فيكون قعيقعان مما يشرف عليه الجبل

السلفي
السند ابو طاهر احمد بن محمد
اجازة قال انبانا به الحافظ عياض

المقابل لابي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قعيقعان جبل مشرف على مكة
المشرفة وجهه الى ابي قبيس انتهى فيكون قعيقعان هو نفس الجبل وانما
يسمى الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام لان طايفة من الجيوش
يقومون بهذا الجبل يسمونه بهذا الاسم ويلعبون فيه بالطبل واما موضع
الكعبة المعظمة فهو وسط المسجد الحرام والمسجد الحرام بين هذين الجبلين في
وسط مكة المشرفة وله شعاب كثيرة مزورة اذا اشرف الانسان من جبل
ابي قبيس لا يرى جميع مكة المشرفة بل يرى اكثرها وهي تسع خلقا كثيرا
خصوصا في ايام الحج فانه يرد اليها قوافل كثيرة عظيمة من مصر والشام
وحلب وبغداد وبصره والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة
والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوايف لا يحصيهم الا الله تعالى وتسعهم
جميعهم افنيتها وجبالها ودورها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الزمان
وبحسب الولاة والامن والخوف والغلا والرخاء وهي الآن بحمد الله تعالى في دولة
السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالعدل والفيض والكرم
السلطان مراد خان خلد الله تعالى ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه في
اعلا درجات العمارة والامن والرخاء بحيث ما رأينا منذ اول العمر الى الآن
مثل هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن في زمن الصبى خلو سنين
الحرم الشريف وخلو المطاف من الطايفين حتى اني ادركت الطواف وحدي من
غير ان يكون معي احد مرارا كثيرة كنت اترصد خاليا لكثرة الثواب بان يكون
الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون

الا بالنسبة الى الانسان فقط واما الملايكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف
بل يمكن ان لا يخلو عن اولياء الله تعالى ممن لا يظهر صورته ويطوف خافيا عن اعين
الناس ولكن لما كان ذلك الطواف الظاهر صار ريثا بن على اداء هذه العبادة
بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها
رجل واحد في جميع الدنيا ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بعينها الا الطواف ف
فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله سبحانه وتعالى اعلم
بالسراير حتى حكى لي والدي رحمه الله تعالى ان وليا من اولياء الله تعالى رصد الطواف
اربعين عاما ليلا ونهارا ليفوز بالطواف وحده فراى بعد هذه المدة خلو
المطاف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من انت
من خلق الله تعالى فقالت اني ارصد ما رصدته قبلك بماية عام فقال لها حيث كنت
انت من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه العبادة من بين البشر واتم طوافه
وحكى لي شيخ معمر من اهل مكة المشرفة انه شاهد الظباء تنزل من جبل لخلو المسجد عن الناس
ابي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى المسجد الحرام ثم تعود وهو صادق
عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل
تاتي بالحنطة من بجيلة فلا تجد اهلها من يشتري منهم جميع ما جلبوه فكانوا
يبيعون ما جاوا به بالاجل اضطرارا ليعودوا بعد ذلك ويأخذوا اثمان
ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم واما الآن
فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال
السلطنة الشريفة خايضون في بحر انعامه واحسانه ونعمته الوافرة ادام

ايده تعالى بسلطنته الزاهرة واطال عمره الشريف وخلد دولته القاهرة وخلافته
الباهرة ومكة المشرفة يحيط بها جبال لا تسلك اليها الخيل والابل والجمال الا
من ثلاث مواضع احدها من جهة المعلاة والثانية من جهة الشبيكة والثالثة
المسفلة واما الجبال المحيطة بها فيسلك من بعض شعابها الرجال على الاقدام
لا الخيل والجمال والحمال وكانت مكة المشرفة من قديم الزمان مسورة في جهة المعلا
كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر رضي الله عنه الى الجبل المقابل له وكان فيه باب
من خشب مصفح بالحديد اهدوه ملوك الهند الى صاحب مكة المشرفة وقد ادركنا
منها قطعة جدار كان فيه ثقوب السبيل قصيرة دون القامة وهو على سمت قطعة
جدار مبنى الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر
العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله سبحانه وتعالى من ماء الكوثر
والسلسبيل يوم العطش الاكبر يوم الميزان وجعل على السبيل منظرة فيها شبابيك من
الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وتهدم ما عداه وكان
في جهة الشبيكة ايضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج
مكة المشرفة وكان في ذلك السور فيه باب بعقدين ادركنا احد العقدين يدخل منه
الجمال والحمال انهدم شيئا فشيئا الى ان لم يبق منه شي الان ولم يبق منه الاثر
بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور من جهة المسفلة في درب
اليمن لم ندركه ولم ندرك اثاره وذكر التقي الفاسي نقلا عمن تقدم انه كان لمكة المشرفة
سور من اعلاها دون السور الذي تقدم ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية
وانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل له الذي الى

جهة

جهة سوق الليل قال وفي الجبلين اثار تدل على اتصال السور بهما انتهى
ولم تبق الان شي من اثار هذا السور الثاني مطلقا ولعل دور مكة كانت تنتهي
الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى ان احتيج الى سور
المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن اثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد
باعلى مكة يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير ابن مطعم
بن عدي بن نوفل وكان الناس لا يتجاوزون في السكنى في قديم الدهر
هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ابي ربيعة نزلت
بمكة في قبائل نوفل ونزلت خلف البئر ابعد منزل حذرا عليها من مقالة كاشح
ذرب اللسان يقول ما لم يفعل قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود يزار
الى الان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر
موجودة الان خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذا البئر كثيرا الى صوب
المعلاه واما حدوث هذه الاسوار فقد قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى ما عرفت
متى انشئت هذه الاسوار بمكة ولا من انشاها ولا من عمرها غير انه بلغني
ان الشريف ابا عزيز قتادة ابن ادريس الحسني جد ساداتنا اشراف مكة
ادام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال واظن ان في دولته عمر
السور الذي باعلى مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بني عليها سور باب
الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب اربل في سنة سبع وستمائة ولعله
الذي بنى السور باعلا مكة والله اعلم قال ورايت في بعض التواريخ
ما يقتضي انه كان لمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت

طول المكة بالذراع

هل هو هذا السور الذى باعلا مكة واسفلها او من احد الجهتين قال
وطول مكة من باب المعلاة الى باب الماجن يعنى درب اليمن بالمسفله
موضع السور الذى كان موجودا فى زمنه طريق المدعى والمسعى ومسيل
وادى ابراهيم والسوق الذى يقال له الان السوق الصغير مع ما فيه
من دورات ولفتات ليست على الاستقامة اربعة الاف ذراع واثنان وسبعون
ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ينقص بثمن ذراع عن ذراع الحديد
المستعمل الان يعنى الذراع الشرعى وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة
من طريق المدعا ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة اربعة الاف ذراع ومائة
ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد ايضا انتهى
وقال وينبغى لمن بنى بمكة بيتا ان لا يرفع بناه على بناء الكعبة الشريفة فان
بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقى وانما سميت كعبة
لانه لا يبنى بمكة بناء يشرف عليها ثم قال حدثنى جدى عن ابن عيينة عن ابن
مثينة الحجبى عن شيبة بن عثمان انه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على
الكعبة الا امر بهدمه ثم قال قال جدى لما بنى العباس بن محمد بن على بن عبد الله
بن عباس رضى الله عنهم داره التى بمكة حيال المسجد الحرام امر قومه ان لا
يرفعوها على الكعبة وان يجعلوا اعلاها دون الكعبة ليكون دونها اعظاما
للكعبة قال الازرقى قال جدى فلم تبق بمكة دار لكبير او غيره تشرف على الكعبة
الا هدمت او خربت الا هذه الدار فانها باقية الى اليوم انتهى واما حكم
دور مكة واجارتها فقد ذكر الامام قاضى خان انه لا يجوز بيع دورها عند

حكم بيع دور مكة واجاراتها

ابى حنيفة

ابى حنيفة رضى الله عنه فى ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول
محمد وابى يوسف رحمهما الله قال لصاحب الواقعات وعليه الفتوى وروى
الحسن عن ابى حنيفة ان بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول ابى يوسف
وعليه الفتوى ذكره فى عيون المسائل قال الشيخ قوام الدين فى شرح الهداية
بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناها ملك الذى بناه الا ترى ان من بنا فى ارض
الوقف جاز ان يبيع بناءه فكذا هذا واما بيع ارض مكة فلا يجوز عند ابى حنيفة
وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند ابى يوسف يجوز ورجح الطحاوى قول
ابى يوسف وقال راينا المسجد الحرام الذى كان الناس سواء فيه لا ملك لاحد فيه
ورأينا مكة على غير ذلك فقد اجيز البناء فيها وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم دخلها من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو
آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع
التى يجرى فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع ارض مكة انتهى ملخصا
واما اجارة دور مكة فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن ابى حنيفة انه كره
اجارة بيوت مكة وقال لهم ان ينزلوا عليهم فى دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا
وهو قول محمد رحمه الله انتهى وروى محمد فى الاثار عن ابى حنيفة عن عبد الله بن زياد عن ابى
نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اكل من اجور بيوت مكة
شيئا فانما اكل نارا واخرجه الدارقطنى باسناد ضعيف وقال الصحيح انه موقوف وروى انه كره

حكم اجارة دور مكة

اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان اهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة
له وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نهى ان يغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون
كما راوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته الى امير مكة ان لا يدع اهل مكة يأخذون
على بيوت مكة اجرا فانه لا يحل لهم فكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة وهذا مبنى
على اصل وهو ان فتح مكة هل كان عنوة فتكون مغنومة ولم يقسمها النبى صلى الله
عليه وسلم واقرها على ذلك فبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع فهو
اولى به وبهذا قال ابو حنيفة ومالك والاوزاعى رضى الله عنهم او كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم
بايديهم يتصرفون فى املاكهم كيف شاؤا سكنا واسكانا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال
الامام الشافعى واحمد رضى الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمل
الناس قديما وحديثا **واما** اسماء مكة المشرفة فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم
امتك الفصيل ما فى ضرع امه اذا لم يبق فيها شيئا ولذلك تسمى المعطشة او لانها تنقص الذنوب
او تنفيها ومن اسمائها بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اى تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة
ولذلك سمى علم عروض الشعر عروضا لان الخليل بن احمد اخترعه بمكة فسماه باسمها والبلد الامين
والبلد والقرية وام القرى **قال** المحب الطبرى سمى الله تعالى مكة بخمسة اسماء مكة وبكة والبلد والقرية
وام القرى قال ابن العباس سميت ام القرى لانها اعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها
ومن اسمائها كوثى وام كوثى لان كوثى اسم لمحل من قعيقعان وفاران والمقدسة والقادس من التقديس
لانها تطهر من الذنوب وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادى والحرم والعرش وصلاح
مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن اسمائها طيبة ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذى فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد لما فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما لرادك الى معاد قال الى مكة انتهى ومن اسمائها الباسة

اسماء مكة شرفها الله تعالى

بالباء الموحدة

بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قال مجاهد لانها تبس من الحرم اى
تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناشية ايضا بالنون والشين المعجمة
اى تنش بتشديد آخرها اى تطرد من الحرم فيها وتنفيه ولها اسماء غير ما ذكرناه
وللمجد الفيروزابادى رسالة فى اسمائها **قال** النووى ولا يعرف فى بلد اكثر اسماء
من مكة المشرفة والمدينة المنورة لكونهما اشرف الارض **وقال** عبد الله المرجانى فى
تاريخه للمدينة المنورة بعد ذكره الاسماء مكة المشرفة ومن الخواص اذا كتب بدم
الرعاف على جبين المرعوف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الدم
باذن الله تعالى **واما** فضل مكة المشرفة فاعلم ان مكة المشرفة والمدينة المنورة
افضل بقاع الارض بالاجماع **وذكر** القاضى عياض ان موضع قبر نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم اى ما ضم اعضاءه الشريفة افضل بقاع الارض بالاجماع لحلول سيد
الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم فيه **قال** اليشكرى شعرا

جزم الجميع بان خير الارض ما ۞ قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ۞ كالنفس حين زكت زكى ماواها

ثم اختلف العلماء فى ان مكة المشرفة افضل ام المدينة المنورة فذهب الامام الاعظم
ابو حنيفة واصحابه والامام الشافعى واصحابه والامام احمد واصحابه رضى الله تعالى عنهم اجمعين
ان مكة المشرفة افضل من المدينة المنورة لحديث عبد الله بن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة
فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى مسجدى رواه احمد وابن حبان فى صحيحه ولا
يرتاب فى الفضائل التى اثبتها الله تعالى لبلده الحرام فجعل فيه بيته المعظم الذى اذا قصده

مطلب قطع دم الرعاف

عبادة حط عنهم اوزارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين احياء واموانا وفرض
الحج على من استطاع اليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس اجمعين فرض كفاية
وحرمها يوم خلق الله السموات والارض ولا يدخلها الا باحرام وهو مثوى ابرهيم واسمعيل
ومسقط راس خير الانام عليه السلام ومحل اقامته صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها ثلاثة
عشر عاما ومحل نزول اكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الايمان والاسلام ومنشا الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد
احسن القائل حيث قال

ارض بها البيت الحرام قبلة ۞ للعالمين لها المساجد تعدل
حرم حرام ارضها وصيودها ۞ والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها ۞ والى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعا ۞ والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي الحرم والصفا ۞ والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف اجرها ۞ وبها المسيئ عن الخطايا يغسل

وقال الامام مالك رضي الله عنه المدينة افضل من مكة المشرفة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال حين خروجه من مكة المشرفة الى المدينة المنورة اللهم انك تعلم انهم اخرجوني
من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرك وما هو
احب البلاد الى الله سبحانه يكون افضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
وقد اسكنه الله سبحانه وتعالى في المدينة المنورة فتكون افضل البقاع وله ادلة
اخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومشاجرات والله اعلم بحقيقة الحال
واما حكم المجاورة بمكة المشرفة فذهب امامنا الاعظم ابو حنيفة وبعض اصحابنا الى

وجملة

وجملة من المحتاطين في دين الله تعالى الى كراهة المقام بمكة المشرفة وذلك لخوف سقوط
حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى ان يذهب من
قلبه الاحترام والهيبة بالكلية فيصير بيت الله الحرام في نظره كسائر البيوت
والعياذ بالله تعالى او تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شان الناس في الاكثر
الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس انيط به حكم الكراهة فان
المسلم في وطنه وهو مشتاق الى مكة المشرفة باق حرمتها في نظره خير له واسلم
من مقامه بمكة المشرفة من غير احترام لها او مع نقصان احترامها هذا ملحظ
الشافعي ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة
ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم فانه
ابقى لحرمة ربكم في قلوبكم وقال ابو عمرو الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعلق
بما سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو
اقرب الى هذا البيت الشريف ممن يطوف به كما قيل

وكم من بعيد الدار نال مراده ۞ وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ولقد اختار حبر الامة عبد الله بن عباس
المقام بالطائف وما حوله على مكة المشرفة وقال لأن اذنب سبعين ذنبا بغير
مكة احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف
السيئات بارض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور ابو محمد الجوهري سنة
فلم يستند الى الحايط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق نيته

باطني فاعانني على ظاهري وبقي ابو عمرو الزجاجي الصوفي اربعين سنة مجاورا
بمكة المشرفة لم يقض حاجته البشرية في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضا الحاجة
وهكذا يروى عن ابي حنيفة في مدة اقامته بمكة المشرفة وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق
في مصنفه فروى عن وهب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة اصلي في الحجر فسمعت
كلاما بين الكعبة الشريفة والاستار خافيا خفيا فاستمعت فاذا هي الكعبة
تناجي وتقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى ممن حولي من سمرهم وتفكههم
باللغو وذكر احوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا ينبغي لهم واللهو واللعب
لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع
منه وسئل الامام مالك عن الحج والجوار احب اليك او الحج والرجوع فقال ما كان
الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء الكراهة في المجاورة
عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله اعلم وذهب ابو يوسف ومحمد والامام الشافعي رض
والامام احمد الى استحباب المجاورة بمكة وفي المنتقطات والمبسوط في باب الاعتكاف لا بأس
بالمجاورة بمكة في قولهما وانه الافضل وقال وعليه عمل الناس وحكى الفارسي في
منسكه عن المبسوطات ان الفتوى على قولهما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من صبر على حر مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام وعن سعيد بن
جبير رضي من مرض يوما بمكة كتب له من العمل الصالح الذي يعمله في سبعين سنة قال
كان عن بناضو عن ذلك ذكره الفاكهي ومحصل ما ذهب اليه ابو حنيفة من كراهة
المجاورة مبني على ضعف الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفا

بقيام

القدرة على م

مطلب في عدم تضاعف السيئات

بقيام حق البيت الشريف فاما من امكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه الوفا بحرمة
بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه يبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته
وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عنده دخوله في الحرم الشريف ومشاهدة
بيت الله تعالى فالاقامة به هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك في تضاعف
الحسنات به واما تضاعف السيئات فاكثر العلماء على عدم تضاعفها وكذلك
في تردد بين الاولياء اليه في الاوقات الفاضلة فمن لمح احدهم ولحظه هو نال
السعادة العظمى وورد انهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون
كل عام فكان ابو والدي رحمه الله تعالى قبل ان يكف نظره يبادر يوم النحر بعد رمي جمرة
العقبة الى مكة المشرفة ويجلس في الحطيم تجاه بيت الله تعالى ويلحظ الطائفين بنظره
ويستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويسعى
ويعود الى منى وكان يقول ان اولياء الله تعالى لا بد ان يحجوا كل سنة ويفعلوا
الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة في اول ايام النحر فابادر النزول من منى في
ذلك اليوم واجلس في الحطيم اشاهد الطائفين لعل ان يقع نظري على احدهم
او يقع نظره علي فيحصل لي بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى ان كف نظره رحمه الله تعالى
فكنا نذهب به ونجلسه في الحطيم ويقول ان كنت لا انظرهم فلعل ان يقع نظرهم
علي فيحصل لي بركتهم واستمر على ذلك الى ان توفي رحمه الله تعالى وان اولياء الله تعالى يخفون
انفسهم عن اعين الناس فلا يراهم الا من اسعده الله تعالى والله تعالى المسؤول ان يجعلنا
من سعد في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه آمين الباب الثاني في بناء
الكعبة المشرفة زادها الله سبحانه شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما قال قاضي القضاة

السيد تقي الدين محمد بن احمد بن علي الحسيني المكي الفاسي في كتابه شفا الغرام
لاشك ان الكعبة المشرفة بنيت مرات وقد اختلف في عدد بنائها ويتحصل من
مجموع ما قيل في ذلك انها بنيت عشر مرات وهي بناء الملائكة وبناء ادم وبناء اولاده
وبناء الخليل ابراهيم وبناء العمالقة وبناء جرهم وبناء قصي بن كلاب جد النبي
وبناء قريش قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره عليه السلام يومئذ خمس وعشرون سنة
وبناء عبد الله بن الزبير وهو ابن الزبير بن العوام الاسدي واخرها بناء الحجاج بن يوسف
الثقفي وفي اطلاق العبارة انه بني الكعبة المشرفة تجوز فان بعضها لم يستوعبه
كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط واعاده وابقى
الجوانب الثلاث وهي جهة الباب وجهة المستجاب الذي هو مقابل الباب وجهة الصفا
المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله بن الزبير فاما بناء الملائكة الكعبة
المشرفة وهو اول بنائها فذكر الامام ابو الوليد احمد بن عبد الله بن احمد الازرقي في تاريخه
فقال حدثنا علي بن مسلم العجلي عن ابيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصاري
حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي
ابن ابي طالب رضي الله عنهم قال كنت مع ابي علي بن الحسين بمكة فبينما هو يطوف وانا وراءه
اذ جاء رجل طوال فوضع يده على ظهر ابي فالتفت ابي اليه فقال الرجل السلام عليك
يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اسألك فرد عليه السلام وسكت ابي وانا
والرجل خلفه حتى فرغ من اسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتي اسبوعه
ثم استوى قاعدا فالتفت الي فجلست الى جانبه فقال يا محمد اين السائل فاومأت
الى الرجل فجاء وجلس بين يديه فقال له عم تسأل فقال انا اسألك عن بدء هذا

الطواف

الطواف بهذا البيت فقال له والدي من اين انت قال من اهل الشام قال اين مسكنك
قال بيت المقدس قال فقرات الكتابين يعني التوراة والانجيل قال نعم قال له ابي
يا اخا اهل الشام احفظ عني ولا ترو عني الا الحق اما بدء هذا الطواف فان الله تعالى
قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة اي رب اتخلق غيرنا ممن يفسد
فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن
لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة
ان ما قالوا رد على ربهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا
رؤوسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات
فنظر الله تعالى اليهم فنزلت الرحمة عليهم ووضع الله تعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور
على اربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا
البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار اهون عليهم من العرش ثم ان الله تبارك وتعالى
بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لي بيتا في الارض بمثاله وقدره وامر الله تعالى من في الارض
من خلقه ان يطوفوا بهذا البيت كما تطوف اهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل
صدقت يا ابن بنت رسول الله هكذا كان انتهى قلت هذا الحديث يدل على
ان بناء الملائكة عليهم السلام للكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا احاديث
دالة على ان الكعبة المشرفة خلقت قبل الارض باربعين سنة في رواية وبالفي
عام في رواية قال ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي في اوائل
تاريخ مكة المشرفة حدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا

ابن جريج عن بشر بن عاصم الثقفي عن سعيد بن المسيب قال قال علي بن ابي طالب خلق
الله سبحانه البيت الشريف قبل الارض والسموات باربعين سنة وكان غثا على الماء
قال الفاكهي وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا النضر بن شميل قال حدثنا ابن
معشر عن سعيد ونافع مولى آل الزبير عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال الكعبة خلقت قبل الارض
بالفي عام قيل وكيف خلقت قبل الارض وهي من الارض فقال لانه كان عليها ملكان يسبحان
بالليل والنهار الفي سنة فلما اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها من تحت الكعبة فجعلها
في وسط الارضين قال وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال وحدثنا الواقدي قال حدثنا ابن
اسحق يحيى بن طلحة انه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت الشريف خلقت قبل الارض
بالفي سنة ثم بسطت الارض من تحته اقول وظهر مما رويناه ان موضع البيت
الشريف قبل خلق الارض لا نفس بناء البيت الشريف فانه اول ما بنته الملائكة بامر
الله تعالى الثاني بناء آدم عليه السلام وقد ذكره ابو الوليد الازرقي فقال حدثني جدي
عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن رباح بفتح الراء والموحدة
بعدها الف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما اهبط آدم الى الارض من الجنة
قال يا رب اني لا اسمع اصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لي بيتا
وطف به واذكرني حوله كما رايت الملائكة تصنع حول عرشي قال فاقبل آدم عليه السلام
يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه في شيء من الارض الا صار عمرانا وبركة
حتى انتهى الى مكة المشرفة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ولان جبريل ضرب
بجناحه الارض فكشف عن اس ثابت على الارض السابقة فقذفت فيه الملائكة
من الصخر ما لا يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة اجبل من لبنان

وطور

وطور زيتا وطور سينا والجودي وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل
على ان آدم عليه السلام انما بنى اساس الكعبة المشرفة حتى ساوى وجه الارض ولعل
هذا بعد دثور ما بنته الملائكة بامر ربه سبحانه اولا ثم انزل الله سبحانه البيت المعمور
لآدم عليه السلام ليستانس به فوضعه على اساس الكعبة المشرفة ويدل على ذلك
ما رواه ابو الوليد الازرقي في تاريخه قال حدثني ابي عن جدي قال حدثنا سعيد
ابن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب اخبرني عن
البيت الحرام فقال كعب انزله الله تعالى من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم عليه السلام فقال له
يا آدم ان هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما
يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت
الشريف عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلي حوله
كما يصلى حول العرش فلما اغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام رفعه الى السماء وبقيت
قواعده وقال ايضا حدثني ابي قال حدثني محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر
ابن ابي معروف عن عبد الله بن ابي زياد انه قال لما اهبط الله آدم عليه السلام من الجنة
قال يا آدم ابن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه انت وولدك كما تتعبد
ملائكتي حول عرشي فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت
فيه الملائكة الصخر حتى اشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة
لها اربعة اركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان
زمن الغرق فرفعها الله تعالى وقال الازرقي ايضا حدثني محمد بن يحيى عن ابرهيم
ابن محمد عن ابي يحيى بن ابي المليح انه قال كان ابو هريرة رضي الله عنه يقول حج آدم فقضى

المناسك فلما حج قال يا رب ان لكل عامل اجرا قال الله تعالى اما انت يا ادم فقد غفرت
لك واما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم م
فقالوا بر حجك يا ادم قد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال وما كنتم تقولون
حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال فكان ادم عم
اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف ادم عليه السلام سبعة اسابيع بالليل وخمسة بالنهار
قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك وقال الازرقي ايضا حدثني محمد بن يحيى بن ابي عمر
قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن وسليمان المخزومي عن عبد الله بن ابي سليمان مولى بني
مخزوم انه قال طاف ادم عم سبعا ثم صلى تجاه الكعبة الشريفة ركعتين ثم اتى الملتزم باب م
فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي
فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي
ويقينا صادقا حتى اعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي
قال فاوحى الله تعالى اليه يا ادم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولمن يدعوني
بها من ولدك الا كفيته همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى
بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر واتته الدنيا راغمة وان كان لا يريدها
قال فمنذ طاف ادم عم كانت سنة الطواف الثالث بناء اولاد ادم عم للكعبة المشرفة
روى الازرقي بسنده الى وهب بن منبه لما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها ادم
من حلي الجنة حين وضعت له بمكة المشرفة في موضع البيت الشريف ومات ادم عم
فبنى بنوا ادم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه
هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عم فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوئ

لابرهيم

لابرهيم عم انتهى قال الحافظ ابو القسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة
المشرفة وكان بناؤها الاول حين بنى شيث بن ادم عم انتهى ولعل مراد
السهيلي بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء ادم انما هو اساس
الى ان ساوى وجه الارض وانزل الله تعالى عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على
ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه هو البيت المعمور
اولعلها غيره غير البيت المعمور ولعلها رفعت بعد وفاة ادم عم وابقي البيت المعمور خ المرفوع
الى ان رفع في زمن الطوفان وفي ذلك من ارتكاب المجاز ما يصح به هذه الروايات
المتباينة ظواهرها والله اعلم بحقيقة الحال الرابع بناء الخليل ابرهيم عم قال
الامام التقي الفاسي اما بناء الخليل عم فهو ثابت بالكتاب العزيز والسنة الشريفة
وهو اول من بنى البيت الشريف على ما ذكره الفاكهي عن علي بن ابي طالب رض وجزم
الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال ولم يرد عن معصوم ان البيت الشريف كان
مبنيا قبل الخليل عم انتهى فهو ينكر ما قدمناه من الاثار واما على ما قدمناه من ان ثار
فبناء ابرهيم عم اول مبني بالنسبة الى من بناه بعده لا الاول الحقيقي والله اعلم
وروى الازرقي في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عم لما بنى البيت الشريف جعل
طوله في السماء تسعة اذرع وجعل طوله في الارض من قبل وجه البيت الشريف
من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلثين ذراعا وجعل عرضه في الارض
من الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى الان العراقي اثنين وعشرين ذراعا قبل م
وجعل طوله في الارض من جانب ركن ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور
الى الركن اليماني احدى وثلثين ذراعا وجعل عرضه في الارض من الركن اليماني الى ح

الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب
حتى جعل له تبع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابرهيم عم في بطن البيت الشريف
على يمين من دخله حفرة لتكون خزانة للبيت الشريف يوضع فيها ما يهدى الى
البيت الشريف فكان ابرهيم يبني واسمعيل عليهما السلام ينقل له الاحجار على عاتقه
فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبني ويحوله اسمعيل في نواحي
البيت الشريف حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال ابرهيم لاسمعيل يا اسمعيل
ايتني بحجر اضعه هنا يكون علما للناس يبتدءون منه الطواف فذهب اسمعيل عم
في طلبه فجاء جبريل الى ابرهيم عم بالحجر الاسود وكان الله تع استودعه جبل ابي قبيس
حين الطوفان طوفان نوح عم فوضعه جبريل في مكانه وبنى عليه ابرهيم عم وهو
حينئذ يتلالا ضياء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصاب
الحرم في كل ناحية وانما سودته انجاس الجاهلية وارجاسها قال ولم يكن ابرهيم عم
سقف البيت الشريف ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر بسنده الى عبد الله
ابن عمر رضه ان جبريل نزل بالحجر الاسود على ابرهيم عم من الجنة وانه وضعه حيث رايتم
وانتم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك
ان يجي جبريل عم فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد تقي الدين الفاسي
روينا عن قتادة قال ذكر لنا ان الخليل بنى البيت الشريف من خمسة اجبل من طور سينا
وطور زيتا ولبنان والجودي وحراء وذكر لنا ان قواعده من حراء قال وروي
ان الخليل اسس البيت الشريف من ستة اجبل من ابي قبيس ومن الطور ومن القدس
ومن احد ومن ورقان ومن رضوى وقال الازرقي قال حدثني جدي عن سعيد

سالم

سالم عن ابن جريج عن مجاهد انه قال كان موضع الكعبة المشرفة قد خفي ودرس
من الطوفان فيما بين نوح وابرهيم عم قال وكان موضعه اكمة حمراء لا تعلوها
السيول غير ان الناس كانوا يعلمون ان موضع البيت فيما هنالك من غير تعيين
محله وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما
دعى عنده احد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت الشريف حتى
بوا الله سبحانه مكانه لابرهيم عم لما اراد عمارة بيته واظهار دينه وشعائره
فلم يزل منذ اهبط الله سبحانه ادم عم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل قال
ابو اسحق احمد بن محمد بن ابرهيم الثعلبي في كتاب العرايس من قصص الانبياء عليهم السلام
لما نجى الله سبحانه خليله من نار نمروذ وامن به من امن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج
ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه
فقدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاول وكانت سارة من احسن النساء وكانت
لا تعصي ابرهيم عم ولذلك اكرمها الله سبحانه فاتى ابليس الى فرعون مصر وقال له
ههنا رجل معه امراة احسن النساء فارسل الجبار الى ابرهيم عم وقال له ما هذه
المراة منك فقال هي اختي وخاف ان قال هي امراتي ان يقتله فقال له زينها
وارسلها الي فرجع ابرهيم الى سارة وقال لها ان هذا الجبار قد سالني عنك
فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني عنده فانك اختي في كتاب الله تعالى فانه ليس مسلم
في هذه الارض غيري وغيرك ثم اقبلت سارة الى الجبار وقام ابرهيم يصلي وقد
رفع الله سبحانه الحجاب بين ابرهيم وبين سارة ينظر اليها منذ فارقته الى ان عادت
اليه اكراما له وتطييبا لقلب ابرهيم عم فلما دخلت سارة على الجبار راها

فدهش فحسنه ولم يملك نفسه ان مد يده اليها فيبست يده على صدرها فلما
راى ذلك اعظم امرها وقال لها سلي ربك ان يطلق يدي عنك فوالله لا اوذيك
فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فاطلق يده فاطلق الله سبحانه له يده فوهب
لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردها الى ابرهيم عم فقبل اليها فلما احس
بها انفتل من صلاته وقال مهيم قالت كفى الله تعالى كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد
وهبتها لك فلعل الله تعالى يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى اسنت
فوقع ابرهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل عم واقام ابرهيم بناحية من ارض
فلسطين بين الرملة وايليا وهو يضيف من ياتيه وقد اوسع الله سبحانه عليه
وبسط له في الرزق والمال والخدم فلما اراد الله سبحانه هلاك قوم لوط بعث الله سبحانه
رسله يامرونه بالخروج من بين ظهرانيهم وامرهم ان يبشروا ابرهيم وسارة باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا عليه بشرهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم الا انا
فخرج فجاء بعجل سمين مشوي بالحجارة فقربه اليهم فامسكوا ايديهم فنكرهم واوجس
منهم خيفة حيث لم ياكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته
سارة قايمة تخدمهم فبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت سارة قال
ابن عباس رض ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وكانت بلغت تسعين سنة
وبلغ ابرهيم ماية وعشرين سنة وقال مجاهد وعكرمة تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت
قال السدي فحملت سارة باسحق عم وكانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا
الغلامان فشبا فسبق اسمعيل فاخذه ابرهيم فاجلسه في حجره واخذ
اسحق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجرك

ضحكت اى حاضت من الوقت م

وعمدت

وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك واخذها ما ياخذ النساء من الغيرة فحلفت
لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت في يمينها فقال لها
ابرهيم اخفضيها واثقبي اذنيها ففعلت ذلك فصار ذلك سنة في النساء والخفض
بالمهملات للنساء كالختان للرجال ثم تصارع اسمعيل واسحق كما يتصارع الاطفال
فغضبت سارة على هاجر وحلفت ان لا تساكنها في بلد واحد وامرت ابرهيم ان
يعزلها عنها فاوحى الله سبحانه الى ابرهيم ان ياتي بهاجر وابنها الى مكة المشرفة
فذهب بهما حتى قدم مكة المشرفة وهي اذ ذاك عضاة وسلم وموضع البيت الشريف
ربوة حمراء فعمد بهما الى موضع الحجر بسكون الجيم فانزلهما فيه وامرها ان تتخذ
عريشا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت الله تعالى امرك بهذا قال نعم قالت اذا
لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها بعض ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها
فنظرت الى الجبل فلم تر داعيا ولا مجيبا فصعدت على الصفا فلم تر احدا ثم
هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت في الوادي فغاب عنها فهرولت حتى
صعدت من الجانب الاخر فراته واستمرت الى ان صعدت المروة فما رات احدا
وترددت كذلك سبعا فعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عم فضرب موضع زمزم
بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته من السيلان كيلا يضيع الماء
وفي لفظ النبوة لولا انها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وارضعت ولدها
وقال لها جبريل عم لا تخافي من الضيعة فان ههنا بيت الله سبحانه يبنيه هذا
الغلام وابوه وان الله تعالى لا يضيع اهله قال ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر
القرطبي في تفسيره لا يجوز لاحد ان يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله

بارض مضيعة اتكالاً على العزيز الرحيم واقتداءً بفعل ابرهيم الخليل فانه فعل
ذلك بامر الله سبحانه وقد روي ان سارة لما غارت من هاجر بعد ان ولدت اسمعيل
خرج بهما ابرهيم الى مكة المشرفة وانزل ابنه وامه هنالك وركب منصرفاً في يومه
وكان ذلك كله بوحي من الله سبحانه وماء زمزم من الشرف والخواص والمنافع ما لا يوجد
لغيره ففي المستدرك من حديث ابن عباس رضي مرفوعاً ماء زمزم لما شرب له ورجاله
موثوقون الا انه اختلف في ارساله ووصله وارساله اصح كذا في فتح الباري
بشرح البخاري وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماء زمزم لما شرب له وان شربته لتشبع اشبعك الله به وان شربته لقطع
ظماء قطعه وهي ضربة جبريل عم وسقيا الله اسمعيل عم وعن عكرمة رضي قال كان
ابن عباس رضي اذا شرب من زمزم قال اللهم اني اسئلك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً
وشفاءً من كل داء وفي صحيح البخاري قال ابو ذر رضي ما كان لي طعام الا ماء زمزم
فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما اجد على كبدي سخفة جوع وذكر انه
اجتزأ به ثلاثين ما بين يوم وليلة وفي صحيح مسلم من حديث ابي ذر رضي انه
طعام طعم زاد الطيالسي في الوجه الذي اخرجه مسلم وشفاء سقم قال القاضي
ابو بكر بن العربي وهذا موجود فيه الى يوم القيمة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم
يكن مكذباً ولا شربه مجرباً قلت ومن عجيب ما اطلعت عليه في كتاب وفاء الوفا
في اخبار دار المصطفى للسيد نور الدين علي السمهودي الشافعي عالم المدينة المنورة
في عصره ومورخها ومحدثها وقد لحقنا غير من اخذ منه فروى عنه بواسطة قال
بالمدينة بير يعرف ببير زمزم ولم تزل اهل المدينة الشريفة قديماً وحديثاً يتبركون

فوائد في بئر زمزم

وسخفة الجوع رقته وهزاله قاموس

عندها ما بها

بها ويشربون من مائها وينقل الى الافاق كما ينقل ماء زمزم ويسمونها بير زمزم
لبركتها انتهى رجعنا الى القصة قالوا ومرت رفقة من جرهم يريدون الشام
فرأوا طيراً يحوم على جبل ابي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه
فاشرفوا على بير زمزم فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وانسناك والماء ماؤك
نشرب منه فاذنت لهم فنزلوا معها وهم اول سكان مكة المشرفة وتوفيت هاجر
وقبرها في الحجر بسكون الجيم وشب اسمعيل فتزوج من جرهم فتكلم بلسانهم
فتعرب فيقال لبني اسمعيل عم العرب المتعربة ويقال لجرهم وقحطان العرب العاربة
والعرب العرباء وكان لسان ابرهيم عم عبرانياً ولسان اسمعيل عم عربياً ثم ان ابرهيم
استاذن سارة ان يزور هاجر وابنها فاذنت له واشترطت ان لا ينزل عندها
فقدم ابرهيم مكة وقد ماتت هاجر فاتى الى بيت اسمعيل فوجد امراته فسألها
اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم الى الحل يتصيد ثم يرجع
فقال لها اعندك ضيافة من طعام او شراب قالت ليس عندي شيء فقال لها اذا جاء
زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له غير عتبة بابك وذهب ابرهيم عم فلما جاء
اسمعيل قالت له جاءني شيخ صفته كذا وكذا فاقراك السلام وقال لك غير عتبة
بابك فقال لها الحقي باهلك فتزوج غيرها فمكث ابرهيم عم ما شاء الله ثم استاذن سارة
ان يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابرهيم عم الى مكة المشرفة
وقدم على منزل اسمعيل فوجده غائباً في الصيد فقال لامراته اين صاحبك قالت
ذهب يتصيد وهو يجيء الآن وقالت انزل يرحمك الله وجاءت باللحم واللبن والماء فاكل وشرب
وقالت له يا عم هلم حتى اغسل راسك والم شعثك وجاءت بحجر وهو حجر المقام الذي

بني عليه الكعبة المشرفة فيما بعد فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت
شقه الايمن ثم الايسر ثم افاضت الماء على راسه وبدنه الى ان فرغت من تنظيفه
فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقريه مني السلام
وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلما جاء اسمعيل عم وجد رايحة
ابيه فقال لها هل جاءك احد فقالت نعم جاءني شيخ من احسن الناس وجها واطيبهم
ريحا فاضفته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه
اقراك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم امر لي ان انت معك وقبل موضع
قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بني عليه فيما بعد ابرهيم عم الكعبة المشرفة
لما بناها هكذا في قصص الانبياء عليهم السلام وروي فيه ايضا عن عبد الله بن عمر رضه انه
قال اشهد بالله تعالى ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام
ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله تعالى نورهما ولولا ان طمس الله تعالى نورهما لاضاء
ما بين المشرق والمغرب ثم لما امر الله تعالى خليله ابرهيم عم ببناء البيت الشريف قدم
الى مكة المشرفة وبناه كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله المحرم امر ان يوذن
في الناس بالحج فقال يا رب وما عسى ان يبلغ مد صوتي فقال تعالى عليك الاذان
وعلي البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله تعالى ان ربكم قد بنى بيتا وامركم
ان تحجوه فحجوه واجيبوا داعي الله تعالى فاسمع الله تعالى صوته جميع من في الدنيا و
سيولد ممن هو في اصلاب الاباء وارحام الامهات الى يوم القيمة فاجابه من سبق
في علم الله سبحانه انه سيحج ولبى كل واحد بعدد حجه في اصلاب الاباء وارحام الامهات
واما امر الله سبحانه ابرهيم عم بذبح ولده اسمعيل فقد اختلف العلماء في ان المامور

بذبح

بذبحه اسمعيل او اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلي بن ابي
طالب رضه وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبي ومجاهد والحسن البصري الى انه
اسمعيل عم قال ابو زكرياء النووي في كتابه التهذيب اختلف العلماء في الذبيح هل هو
اسمعيل او اسحق عم فقال قوم هو اسحق والاكثرون على انه اسمعيل ومن
رجح كون الذبيح اسمعيل عم الحافظ عماد الدين اسمعيل بن كثير قال في ترجمته وهو
وهو الصحيح وروي عن كعب الاحبار وغيره قالوا لما راى ابرهيم في المنام ان
يذبح ابنه وتحقق انه امر ربه سبحانه قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق
بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال
الشيطان لئن لم افتن عند هذا ال ابرهيم لا افتن احدا منهم ابدا فتمثل الشيطان
رجلا فاتى ام الغلام فقال لها اتدرين اين ذهب ابرهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب
لنا من هذا الشعب فقال لها الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو
اشفق به واشد حبا له فقال لها يزعم ان الله تعالى امره بذلك قالت ان كان الله تعالى امره
بذلك فليطع امره فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه
فقال له يا غلام اين يذهب بك ابوك قال لنحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال والله
ما يريد الا ذبحك قال لاي شيء قال زعم ان الله تعالى امره بذلك فقال فليفعل ما امره الله
سمعا وطاعة لامر الله تعالى فاقبل الشيطان على ابرهيم عم فقال اين تريد ايها الشيخ
قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال اني ارى ان الشيطان خدعك بهذا
المنام الذي رايته انك تريد ذبح ولدك وثمرة كبدك فتندم بعد ذلك حيث
لا ينفعك الندم فعرفه ابرهيم عم فقال اليك عني يا ملعون والله لامضين لامر

تحتطب

هل تدري م

ربي فنكص ابليس على عقبه ورجع بخزيه وغيظه ولم ينل من ابرهيم شيئا
فلما خلا ابرهيم عليه السلام في الشعب وبقي ابنه قال له يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين
قال فحدثت ان اسمعيل عليه السلام قال له عند ذلك يا ابتاه ان اردت ذبحي فاشدد
وثاقي لا يصيبك من دمي فينقص اجري فان الموت شديد ولا امن ان اضطرب
عنده اذا وجدت منه حرارة واستحد شفرتك حتى تجهز علي فتذبحني فاذا
انت اضجعتني فاكببني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني اخشى ان انت نظرت
الى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين امر ربك فيّ وان رايت ان ترد قميصي
الى امي فافعل فعسى ان يكون اسلى لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على
امر الله تعالى ويقال انه ربطه كما امره بحبل فاوثقه ثم حد شفرته ثم تله للجبين
واتقى النظر الى وجهه ثم ادخل الشفرة لحلقه فقلبها جبريل في يده ثم اجتذ
بها اليه ونودي ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحتك فداء لابنك
فاذبحها دونه واتاه بكبش من الجنة قيل رعى قبل ذلك اربعين خريفا قال
الفاكهي ذكر اهل الكتاب وكثير من العلماء ان الكبش الذي فدي به اسمعيل عليه السلام
كبش املح اقرن اعين وقد روي بسنده عن ابن عباس رضه انه هو القربان المتقبل
من احد ابني ادم فانظر رحمك الله تعالى الى طاعة هذا الوالد لامر الله تعالى من ذبح ابنه قرة
عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد لامر الله سبحانه وانقياده الى ذلك راضيا
مستسلما باذلا روحه لله سبحانه وانظر الى هذه الواقعة الشفيقة الرحيمة والطاعة
لامر الله تعالى والطاعة ذو جهة اللهم صل وسلم عليهم وعلى جميع الانبياء والمرسلين الى يوم الدين

قال الازرقي ثم ولد لاسمعيل عليه السلام من زوجته بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثني عشر
ولدا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار وقطورا وكان عمر اسمعيل عليه السلام مائة وثلاثين
عاما ومات ودفن في الحجر مع امه فولي البيت الشريف بعده ثابت بن اسمعيل عليه السلام
ونشر الله سبحانه العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفي ثابت بن اسمعيل عليه السلام
فولي البيت الشريف بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار
ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا قعيقعان باعالي مكة المشرفة وكانوا اصحاب سلاح
وبني قعيقعان قبلهم وصار الى لقبه وكانوا نازلين باسفل مكة المشرفة الى كدا
منهم وولوا ملكا عليهم يقال له السميدع ونزلوا باجياد وكانوا اصحاب خيل وعدة
وكان الامر بمكة المشرفة لمضاض بن عمرو ودون السميدع الى ان حدث بينهما
البغي فاقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول شاعرهم

ونحن قتلنا سيد الحي عنوة • فاصبح فيها وهو حيران موجع •
وما كان يبغي ان يكون خلافنا • بها ملكا حتى اتانا السميدع •
فذاق وبالا حين حاول ملكنا • وعالج منا غصة تتجرع •
فنحن عمرنا البيت كنا ولاته • نذافع عنه من اتانا وندفع •
وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا • ولم يك حي قبلنا ثم يمنع •
وكنا ملوكا في الدهور التي مضت • ورثنا ملوكا لا ترام فتوضع •

ثم نشر الله سبحانه بني اسمعيل وخؤولتهم جرهم وكانت جرهم ولاة البيت الشريف
لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤولتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة المشرفة وانتشروا
في الافاق فلا ياتون قوما ولا ينزلون بلدا الا اظهرهم الله تعالى عليهم بدينهم وهو

يومئذ من بني ابرهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنها العماليق وكانوا ولاة مكة
المشرفة وكانوا ضيعوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا به فاخرجهم الله تعالى
من ارض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام
واحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو خطيبا فقال
يا قوم احذروا البغي فقد رايتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت
فلم يعظموه فسلطكم الله تعالى عليهم فاخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وتمزقوا كل
ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان
بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن اعز العرب واكثرها رجالا واوسعها سلاحا فقال لهم جاءهم
اذا امر الله تعالى بطل ما تقولون فلما راى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالين من
ذهب كانا في الكعبة المشرفة وما وجد فيها من الاموال التي كانت تهدى الى الكعبة
المشرفة ودفنها في بير زمزم وكانت بير زمزم قد نضب ماؤها فحفرها بالليل واعمق
الحفر ودفن فيها تلك الاموال والغزالين وطم البير واعتزل جرهم واخذ معه بني
اسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فخرجت جرهم من البلاد ووليت امر مكة
وصاروا اهلها فجاءهم بنو اسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة ولم
تدخل بينهما واستاذنهم ان يسكنهم فاذنت خزاعة وقالوا من قرب الحرم من
جرهم فدمه هدر فنزلت ابل لمضاض بن عمرو ودخلت مكة المشرفة فاخذتها
خزاعة ونحرتها واكلوها فتتبع مضاض اثرها فوجدها دخلت مكة المشرفة
فسلك الجبل حتى طلع على جبل ابي قبيس يتبصر الابل في بطن وادي مكة المشرفة
فابصر الابل تنحر وتوكل ولا سبيل اليها وراى ان انحدر هبط الوادي قتل فولى منصرفا الى اهله

فكانوا قد اعتزلوا ايضا حرب
خزاعة فسالوا خزاعة السكن
معهم فاذنوا لهم وسالهم في ذلك
مضاض بن عمرو الجرهمي م

وانشا

وانشا يقول كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطا فجنوبه * الى المنحنى من ذي الاراكة حاضر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا * صروف الليالي والجدود العواثر
وابدلنا عنها الاسى دار غربة * بها الذيب يعوى والعدو محاصر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهرا وجيرة * فابناؤه منا ونحن الاصاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك ما للناس تجري المقادر
وصرنا احاديثا وكنا بغبطة * كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحت دموع العين تجري لبلدة * بها حرم امن وفيها المشاعر
بواد انيس لا يطار حمامه * ولا ينفرن يوما الديه العصافر
وفيها وحوش لا يريب انيسها * اذا خرجت منها فما ان تغادر تراب
فيا ليت شعري هل تعمر بعدنا * جبار وتفضي سيله والظواهر
وهل فرج ياتي بشيء نحبه * وهل جزع ينجيك مما تحاذر
وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة المشرفة
وصارت خزاعة حجابة بيت الله تعالى الحرام وولاة امر مكة المشرفة وفيهم بنو اسمعيل
لا ينازعونهم في شيء ولا يطلبونه الى ان كبر سنان قصي بن كلاب بن مرة واستولى
على حجابة البيت الشريف وامر مكة المشرفة وقيل ان قصيا اول رجل من بني كنانة اصاب
ملكا بمكة المشرفة فكانت له الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء
وهو الذي جمع امر قريش فسمي مجمعا بكسر الميم المشددة وفي ذلك يقول القائل

أبوهم قصي كان يدعى مجمعًا ۝ به جمع الله القبائل من فهر

هم ملكوا البطحاء مجدًا وسؤددًا ۝ وهم طردوا عنها غواة بني عمرو

وقيل سميت قريش قريشًا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كانت قريش تسمى قبل ذلك قريشًا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشًا واستمر بنوا قصي لذلك الحين من ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقام وهو مع ذلك قطرة بحر فانتخبنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار الخامس والسادس بناء العمالقة وجرهم ذكر الازرقي في ذلك وذكره بسنده الى سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال في خبر بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة المشرفة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم قال وذكر الفاكهي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اول من بنى البيت الشريف بعد ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيد التقي الفاسي قلت هذا يقتضي ان جرهمًا بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضي ان العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبري في القرى وذكر المسعودي في مروج الذهب ان الذي بنى الكعبة المشرفة من جرهم الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد في بناء البيت الشريف ورفعه كما كان على بناء ابراهيم عليه السلام والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال وذكر الازرقي شيئًا من خبر العمالقة يقتضي سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى عبد الله ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان بمكة حي يقال له العماليق كانوا في عز وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما يليها وكانت العضاة ملتفة والارض مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض وبغوا على انفسهم واسرفوا واظهروا

جرهم

ثم انهدم فبنته العمالقة

المظالم

المظالم والالحاد وتركوا شكر الله تعالى فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فاخرجهم الله تعالى من مكة بان سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم ثم ساقهم بالجدب حتى الحقهم الله تعالى بمساقط رؤوس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وابدل الله تعالى بعدهم الحرم بجرهم وكانوا سكانه الى ان بغوا فيه ايضًا فاهلكوا جميعًا انتهى السابع بناء قصي للكعبة المشرفة ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب ان قصي بن كلاب لما ولي امر البيت الشريف جمع نفقة ثم هدم الكعبة المشرفة فبناها بناء لم يبنه احد ممن بناها قبله مثله وقال ابو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه ان قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال في اول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم عليه السلام قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد التقي الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار ان قصيًا بنى الكعبة المشرفة على خمسة وعشرين ذراعًا فيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم عليه السلام بنى طول الكعبة تسعة اذرع وان قريشًا لما بنت الكعبة زادت في طولها تسعة اذرع وان قصيًا اراد ان يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعًا فالمعروف ان عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعًا في بناء الخليل عليه السلام بل يزيد على خلاف مقدار الزيادة وان اراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها من هاتين الجهتين لا ينقص عن خمسة وعشرين ذراعًا الا ثلاثة اذرع او ازيد وكل من بنى الكعبة الشريفة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم عليه السلام غير ان قريشًا اقتصرت من عرضها من جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال

مطلب بناء قصي للكعبة الشريفة

وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عناداً له والله اعلم وكان مبدأ امر قصي ان اباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن شيل فولدت له زهرة وقصياً فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد المهملة تصغير قصي بفتح القاف وكسر الصاد المهملة بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصياً لانه بعد عن اهله ووطنه مع امه لما توفي ابوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فذهبت الى الشام وولدت له رزاحاً فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا له الا تلحق بقومك وكان لا يعرف له اباً غير ربيعة بن حرام زوج امه فشكى الى امه ما عيروه فقالت له يا ولدي انت اكرم اباً منهم انت ابن كلاب ابن مرة وقومك بمكة المشرفة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله وقدموه واكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت الشريف وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشية الخزاعي بيده البيت الشريف وسدانته فخطب الى الحليل ابنته فعرف الحليل نسبه فزوجه ابنته حبى فتزوجها قصي وكثرت اولاده وامواله وعظم شرفه وهلك حليل واوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حبى فقالت لا اقدر على هذه السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيراً يحب الخمر فاعوزه في بعض الاوقات ما يشتريه من الخمر فباع مفتاح البيت الشريف بزق خمر فاشتراه منه قصي وصار في الامثال اخسر صفقة من ابي غبشان وفي ذلك يقول الشاعر في هجو خزاعة

مطلب صفقة ابي غبشان

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة البادي

باعت سدانتها بالخمر وانقرضت * عن المقام وظل البيت والنادي

وقال آخر: باعت خزاعة بيت الله ضاحية * بزق خمر فما فازوا ولا ربحوا

فلما صار المفتاح الى قصي تناكرته خزاعة وكثر كلامهم عليه فاجمع على حربهم فحاربهم واخرجهم من مكة المشرفة وولي قصي امر الكعبة الشريفة وملك الامر وجمع قومه فملكهم على انفسهم وكانوا يحترمون ان يسكنوا مكة ويعظمون ان يبنوا بها بيتاً مع بيت الله تعالى وكانوا يكونون بها نهاراً فاذا امسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجنابة بمكة فلما جمع قصي قومه اليه اذن لهم ان يبنوا بمكة المشرفة بيوتاً وان يسكنوا وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولا تستحل قتالكم ولا يستطيع احد اخراجكم فقالوا انت سيدنا ورأينا تبع رأيك فجمعهم حول البيت الشريف وفي ذلك يقول القائل

ابوكم قصي كان يدعى مجمعاً * به جمع الله القبائل من فهر

وانتم بنو زيد وزيد ابوكم * به زيدت البطحاء فخراً على فخر

وابتدأ هو فبنى دار الندوة والندوة في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها قال الازرقي ولا يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن اربعين سنة وكان ولد قصي يدخلها كلهم اجمعون وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا للطواف ببيت الله تعالى مقداراً يقارب المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف وشرعوا ابواب بيوتهم الى نحو البيت الشريف وتركوا بين كل بيتين طريقاً ينفذ منه الى المطاف الى ان زاد عمر رضي الله عنه في المسجد الحرام وتبعه عثمان بن عفان رضي الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصي اول ملك من بني كعب بن لوي اصاب ملكاً فاطاعه

مطلب مقدار المطاف في القديم

بد قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من اكرم لئيما اشركه في لؤمه ومن
استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم يصلحه الكرامة اصلحه الهوان ومن
طلب فوق قدره استحق الحرمان وكان اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب
فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة في الجاهلية
وهي سدانة البيت الشريف اي تولية مفتاح بيت الله تعالى والسقاية اسقاء
الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب اليها الماء من الخارج فيسقى
الحجاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه للحجاج وكانت وظيفة فيهم
والرفادة وذلك اطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الاسمطة في ايام
الحاج وكانت السقاية والرفادة مستمرة الى ايام الخلفاء العباسيين ومن
بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد التقي الفاسي ان الرفادة كانت
في ايام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر ذلك الى ايامنا وقال وهو المعد
الطعام يصنع كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج قلت واما في زماننا بامر السلطان صح
فلا يفعل شيء من ذلك ولا ادري متى انقطع واما الندوة فقد تقدم بيانها
واما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى
محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها والقيادة امارة الجيش
اذا خرجوا الى الحرب فهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها
بين اولاده وكان عبد الدار اكبر اولاده وكان عبد مناف شرف في زمن ابيه فقال
قصي لعبد الدار لالحقنك يا بني بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم
اليه مفتاح البيت الشريف وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها

لكن اعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب احد الا من سقايتك ولا يعقد لواء
لقريش لحرب الا انت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا ياكل احد من اهل الموسم
طعاما الا من طعامك فكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من اموالها في كل موسم
فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فياكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان
قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران
الله تعالى واهل بيته واهل حرمه وان الحاج ضيف الله تعالى وزوار بيته وهم احق
الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا ايام الحاج حتى يصدروا عنكم
فجعل قصي كلما كان بيده من امر قومه الى عبد الدار وكان قصي كما لا يخالف
ولا يرد عليه ما صنعه لعظم شانه ونفاذ سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا
هلك فاقام على امره بنوه من بعده ثم ان بني عبد مناف هاشما وعبد شمس
والمطلب ونوفلا اجمعوا ان ياخذوا ما بايدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء
والسقاية والرفادة ورأوا انهم اولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم
وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بني عبد مناف احق من بني عبد الدار وطائفة
يرون ابقاء بني عبد الدار على ما جعله قصي لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا
على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبني
عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي السقاية والرفادة هاشم وكان عبد شمس
مطلب سفارا مقلا ذا اولاد وكان هاشم موسرا وهو اول من سن الرحلتين لقريش رحلة
الشتاء ورحلة الصيف وهو اول من اطعم الثريد بمكة المكرمة واسمه عمرو وانما سمي
هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القايل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتين كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغزة من ارض الشام تاجرا فولي السقاية والرفادة اخوه المطلب ابن عبد مناف فكان ذا كرم وشرف فكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان اصغر من عبد شمس فتوفي المطلب بردمان من ارض اليمن ثم توفي عبد شمس بمكة ثم توفي نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد وفاة عمه قال ثم مكث مدة بعد عمه المطلب فاقام لقومه ما كانت تقيمه اباؤه من قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه احد من ابائه فاحبه قومه وعظم خطره فيهم وكان اكبر اولاده الحارث لم يكن له اولاد غيره وكان به يكنى فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب اتستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك. فقال له عبد المطلب او بالقلة تعيرني فوالله لئن اتاني الله بعشرة من الولد لانحرن احدهم عند الكعبة فلما كمل عشرة جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فاطاعوه وقالوا اوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ايتوني ففعلوا ودخلوا على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء باقداحهم فاعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب اصغرهم سنا واحبهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فاخذ عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجبذ العباس عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجة فلم تزل في وجه عبد الله الى ان مات فقامت قريش

من

من انديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه باموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا به حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب القصة واخبرها نذره فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى ياتيني تابعي واساله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها فقالت لهم كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت لهم قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه فان خرجت على ولدكم فزيدوا عشرة اخرى واضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى ان يخرج السهم عليها اي على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجى ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة بعد عشرة حتى بلغ الابل مائة فخرج القدح على الابل فنحروها ثم تركت لا يمنع من لحومها وشحومها ادمي ولا وحش والطير قال الزهري وكان عبد المطلب اول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت في قريش ثم انتشرت في العرب واقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم اعاده ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فاقطعها

الثامن بناء قريش للكعبة المشرفة

مطلب بناء قريش للكعبة

قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد الصالحي في كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو اجل كتاب المتاخرين وابسطه في السيرة النبوية ولنا به اجازة عامة ان امرأة جمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها ودخلها سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فارادوا ان يشيدوا ابنيتها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤوا واذ ذاك كان البحر قد رمى سفينة الى الساحل جدة لتاجر

رومي اسمه باقوم بموحدة وقاف مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة
في نفر من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومي ان يقدم
معهم الى مكة فقدموا اليها واخذوا الخشب والسفينة اعدوها السقف الكعبة
قال الاموي كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب
والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرسى
جدة بعث الله تعالى عليها ريحا فحطمها قلت لا اعرف طريقا بين بحر الروم والحبشة
يمر فيه على جدة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فحمل منها الى
بندر السويس والطور ونحو ذلك قال ابن اسحق وكان بمكة المشرفة قبطي يعرف نجر
الخشب وتسويته فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعد باقوم في ذلك
قال وكانت حية عظيمة تخرج من بير الكعبة لا يدنو منها احد الا كشت
وفتحت فاها وكانوا يهابونها ويزعمون انها تحفظ الكعبة وهداياها وازراها
كراس الجدي وظهرها وبطنها اسود وانها قامت في البير خمسمائة سنة وقال ابن عتبة
فبعث الله سبحانه طايرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجوا ان يكون الله تعالى قد رضي
لنا بما اردنا فعله فاجمعوا امرهم على هدمها وبنيانها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران
ابن مخزوم وهو خال ابي النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى
مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من مالكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر
بغي ولا ربا ولا مظلمة ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت الشريف فكان شق الباب لبني زهرة
وبني عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم اليهم
من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار وبني اسد

الذين

التي يطرح فيها ما يهدى الى الكعبة المشرفة تشرف على جدران الكعبة م

ابن

ابن عبد العزى وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل
الحجارة معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة
فضربوا عليها بالمعول فخرج برق كاد ان يخطف البصر فانتهوا عن ذلك الاساس
ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصم فيه القبائل كل قبيلة تريد
ان ترفعه الى موضعه وكادوا ان يقتتلوا على ذلك فقال لهم ابو امية بن
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم
فيما اختلفتم فيه اول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك وكان اول
داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين وكان عليه السلام
قبل ان يوحى اليه يدعى امينا لامانته وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه
ثم قصوا عليه قصتهم فقال عليه السلام هلم الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن فوضعه
بيده فيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف هذا الثوب فحملوه جميعا
واتوا به ورفعوه الى ما يحاذي موضعه فتناوله عليه السلام منهم ووضعه في محله
بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول هبيرة بن ابي وهب المخزومي شعر

تشاجرت الاحياء في فصل خطة • جرت طيرهم بالنحس من بعد اسعد •
تلاقوا بها بالبغض بعد مودة • واوقدنا بينهم شر موقد •
فلما راينا الامر قد جد جده • ولم يبق شيء غير سل المهند •
رضينا وقلنا العدل اول طالع • يجي من البطحاء من غير موعد •
ففاجانا هذا الامين محمد • فقلنا رضينا بالامين محمد •
بخير قريش كلها امس شيمة • وفي اليوم مهما يحدث الله في غد •

فجا

فجاء بأمر لم ير الناس مثله • أعم وأرضى في العواقب والبدء •
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا • له حصة من رفع قبضة اليد •
فقال ارفعوا حتى إذا ما علت به • أكفهم وافى به خير مسند •
وكل رضينا فعله وصنيعه • فأعظم به من رأي هاد ومهتد •
وتلك يد منه علينا عظيمة • يروح بها هذا الزمان ويغتدي •

ولما بنت قريش الكعبة جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعاً منها تسعة أذرع زائدة على ما عمر الخليل عم ونقصوا من عرضها أذرعاً من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الأرض ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا وجعلوا من داخلها ست دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر إلى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها إلى الكعبة **تنبيه** اختلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الأقوال **وروي** عن مجاهد أن ذلك قبل المبعث بخمسة عشر عاماً **والذي** جزم به ابن إسحق أنه كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم **التاسع** بناء عبد الله بن الزبير رض في زمن الإسلام وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في البناء إن شاء الله في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الإسلام إن شاء الله تعالى **العاشر** بناء الحجاج بن يوسف الثقفي بعد بناء عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقيب ذكر بناء عبد الله بن الزبير إن شاء الله وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وفتحه جوف الكعبة الشريفة ورفع الباب الشريف الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي بلصق المستجار للغير وما عدا ذلك في الجهات الثلاث وهو وجد الكعبة الشريفة وجهة

الهانت الحرم

ظهرها

ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الأسود فهو بناء عبد الله بن الزبير باق إلى الآن كما سنذكره في زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائه على قواعد إبراهيم الخليل عم **فصل** في تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضة وقناديلها **قال** أبو الوليد الأزرقي أول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدتا في بئر زمزم حين حفرها ثم قال وأول من ذهب البيت الشريف في الإسلام عبد الملك بن مروان **وقال** المسبحي ما يقتضي خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب **وذكر** الفاكهي أن الوليد بن عبد الملك ابن مروان جعل الذهب على ميزاب الكعبة **وذكر** الأزرقي أن الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار يضرب منها على باب الكعبة المشرفة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل **وذكر** الأزرقي أن الأمين بن الرشيد أرسل إلى عامله على مكة وهو سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح الذهب على بابي الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها الثمانية عشر ألف دينار وضرب بها صفائح استمرت على الباب وجعل مسامرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب **وذكر** أيضاً أن حجبة الكعبة أرسلوا إلى المتوكل العباسي يذكرون له أن زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها بصفائح الذهب وزاويتين بصفائح الفضة والحسن أن تكون كلها ذهباً فأرسل المتوكل إلى إسحق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره أن يعمل

حاشية عن **الحادي عشر** بناء السلطان مراد بعد الألف وأربعين سنة وأربعين بعد الألف في سنة وفيه هدم الكعبة الشريفة وبناها بناء عظيماً السلطان مراد بن السلطان أحمد في سنة إحدى وأربعين وبعد الألف والهدم إنما كان في الجوانب الثلاث الغربي والشرقي والشامي

ذلك فاستحي تلك الزوايا واعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة كبيرة
فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها عرض ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب
متصلا بهذه المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشبة ساج قد
رقت وتاكلت فابدلها بخشب اخر والبسه صفايح من فضة قال استحق الصايغ
فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية الاف مثقال ومنطقة الفضة وما
على الباب من الفضة وما على اسفل الباب من الفضة سبعون الف درهم وذكر
السيد تقي الدين الفاسي ما وقع بعد الازرقي من تحلية البيت فقال من ذلك ان الحجبة
كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قلع ايام الفتنة عضادتي باب
الكعبة وغيرها وسكها دنانير واصرفها على دفع الفتنة فامر المعتضد بلعا ذلك
ذلك جميعه فاعيدت كما اشار به قال ومن ذلك ان ام المقتدر الخليفة العباسي
امرت غلامها لولوء ان يلبس جميع اسطوانات البيت ذهبا ففعل ذلك في سنة ٣١٠
قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب مصر
انفذ في سنة ٥٤٩ حاجبه الى مكة ومعه خمسة الاف دينار ليعمل بها صفايح
الذهب والفضة في اركان الكعبة من داخلها قال وممن حلاها الملك المظفر الغساني
صاحب اليمن حلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن ايضا ثم الملك الناصر
محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله بما يحوي من الف
درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة سبعين وسبعمائة
انتهى ما ذكره التقي الفاسي قال وقد ادركنا الباب مصفحا بالفضة وكان يختلس
فضته اوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف سفل الباب عن خشب

الباب

الباب ومسكه من اراد من يفعل ذلك وحبس وعوقب فعرض ذلك على الابواب السلطانية
في ايام المرحوم السلطان سليمان اسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين
وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب بالفضة الى ناظر الحرم المقيم
بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء الكتبة بمصر احمد جلبي
الملقب بصبي المرحوم محمد بن سليمان دفتردار مصر اغا ذاكر وكان له شعر لطيف
بالتركي وترجم بالتركي كتاب روضة الشهداء لملا جامي وضمنه من لطايف النظم
والنثر ما يستحسنه الطبع ومن محاسن السجع ما يخف على السمع فهو كتاب مقبول
متداول بين اللطفاء وكان وصوله الى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة
وكان في البيت الشريف خشبة من اخشاب سقفه انكسرت وصار الماء ينزل من موضع
الكسر الى جوف البيت وكان قاضي مصر يومئذ قدوة العلماء العظام حامد افندي
وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي اطال الله تعالى عمره المديد وادام بقاه
السعيد فحج الى بيت الله تعالى الحرام وقاضي مكة يومئذ المرحوم محمد بن محمود المعروف
بخوجه قتني اسكنهما الله تعالى فسيح الجنان وخص تربتهما بالروح والريحان
فاطلع على هذا الاختلال وعرضاه على الابواب الشريفة السلطانية فلما وصل
العرض الى المرحوم السلطان سليمان بواه الله تعالى غرف الجنان ارسل الى مفتي الاسلام
سلطان العلماء العلام مولانا ابي السعود افندي المفتي الاعظم قدس الله تعالى
روحه وكرم يستفتيه عن حكم الله تعالى في هذه المسيلة جوازا وعدم جواز فكتب
اليه يجوز ذلك ان دعت الضرورة اليه فارسل جواب المفتي الاعظم الى صاحب
مصر يومئذ الوزير المعظم سنان باشا المرحوم فارسله الوزير المذكور الى ناظر

علي باشا

للحرم الشريف المشار اليه وقاضي مكة يومئذ مع امر شريف سلطاني مضمونه
العمل بمقتضى الفتوى فجاء احمد جلبي من العمارة والاخشاب اللايقة لذلك
العمل وكان كاتبه صولق مصطفى جلبي ومعماره مصطفى المعمار وقبل الشروع
في العمل اقتضى رأيهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا محمد افندي بن محيي
ابن كمال بعد صلوة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين
وتسعمائة في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ
شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي ومولانا الشيخ نور الدين علي بن ابرهيم العسيلي
ومولانا القاضي يحيى بن قاضي بن ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتفاوضوا في
هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من اعواد سقف الكعبة
مكسورين نازلين عن محاذاة بقية اخشاب السقف من وسطهما مقدار اثنى عشر
قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما نازل ايضا تسعة اصابع
في ارضانها
عن محاذاة اعواد السقف الصحيحة هبوطا الى اسفل وانه يحتمل ان يكون كسرا
وان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج ما الى جانبه من العود المكسور وشهد
معه المعلم احمد الحيماني المصري وغيره وذكروا انه ان لم يتدارك تغيير الخشب
المكسور بخشب صحيح فالغالب من امثال ذلك ان يسقط الى اسفل وتزعزع الجدران
بسقوطه ويغلب في الظن اختلال في جوانب السطح يؤدي الى سقوط السقف جميعه
وتشقق الجدران او سقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح
وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول
سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصبت طائفة حركهم الهوى والغرض بمخالفة ما رأيناه

صوابا وحركوا طائفة من العلماء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان
لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة هذه المدة المديدة والرياح
تنسفها من الجوانب الاربع ولا تنقضها دليل على ان قيامها ليس بقوة البناء بل
بقدرة الله سبحانه وانه لا يجوز تغيير الخشب الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك
من التمويهات والتهويلات التي تنبو عن مسامع العقلاء وهولوا الامر على عوام
الناس وغوغائهم وكادوا ان يقوم لذلك فتنة من العوام فكتب مولانا الشيخ
شهاب الدين احمد بن حجر تاليفا واسعا في الرد على اولئك المعاندين واستند
الى نقول كثيرة وصمم على الجواز وجاءني رحمه الله تعالى يحرضني على البناء على ما صدر
مني من القول بالجواز ونقل لي عن المحب الطبري في كتابه استقصاء البيان
في مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضي في هدم الكعبة الشريفة
ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا وتلويحا انه يجوز التغيير في الكعبة
لمصلحة ضرورية او حاجة مستحسنة ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف
العالي السيد الشريف شهاب الدين احمد بن ابي نمي صاحب مكة اذ ذاك رحمه الله حضر
بنفسه من البر الى مكة المشرفة وسيدنا سلطان العلماء العلام شيخ الاسلام
شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ ابي الحسن البكري نفعنا الله به وباسلافه
الكرام وشد بازر شريعة سيد الانام عليه افضل السلام ومولانا الافندي
الاعظم قاضي مكة ومولانا شيخ الاسلام القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن يعقوب
المالكي رحمه الله تعالى وناظر الحرم الشريف المكي يومئذ احمد جلبي المذكور فحضروا جميعا
تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابرهيم عم واشير الى مولانا الشيخ محمد البكري

أن يلقي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت الآية فتكلم
على جاري عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح ابهر به الحاضرين وادهش
الناظرين وافاد واجاد وقلد نحاير الدرر الجياد فلما انقضى الدرس اخرج
الناظر فتوى المفتي للناس قراها الشيخ محمد البكري فقال ومن نحا نحوه هذا من
الناس هذا هو الصواب ومحض الحق فامر مولانا الشيخ العمال بالشروع في العمل
فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك كان بتدبير المرحوم القاضي تاج
الدين المالكي رحمه الله تعالى توفي في سنة تسع وتسعين وتسعماية ولما كشفوا عن تلك الاعواد
في السقف وجدوها كما ظنوا فابدلوها باعواد جديدة في غاية الاحكام والا
واعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وبسطوا ذلك في صحايف
المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا منا شيا
يمكن كتابته فكتبت لهم كلاما يتضمن التاريخ وهو الحمد لله الذي عمر الكعبة
الشريفة بالشرايع المحمدية فغدت وهي البيت المعمور حسا ومعنى فشيد
قواعد ملك من جدد سقفها تشييد واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل
ربنا تقبل منا واصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه
وخصه بكرامة انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر فكان له بذلك
عظمة وكرامة وانا له الحظ الاوفر من ملك سميه نبي الله سليمان ابن السلطان سليم
خان الخالد غرس ملوك بني عثمان خادم الحرمين الشريفين الخافقة الوية
نصره ورايات ظفره في الخافقين فلقد جدد الكعبة المعظمة حفظ الله تعالى
دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع واصلح ارضها المقدسة وجدرها

وكان عقلا حصيفا وراى صوابا ثاقبا
وله فضل تام وفكر صايب

سقفه

المنيف

المنيف قبلة للركوع والسجود وغير ذلك فطير تاريخ تجديد عمارته على غصون
حساب ابجد فكان مجدد سطح بيت الله مالك الدول سليمان ملك الارض
ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تستجيب جباه المطالب البقا ثم لما فرغ من
تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به فشرع في تسوية فرش المطاف
فان احجاره انفصلت وصار بين كل حجر وحجر حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة
بالنورة وتدك تارة بالرصاص وتسمر بمسامير الحديد فازال ما بين الاحجار
من الحفر ونحت طرف الحجر الى ان الصقه بطرف الحجر الاخر من جوانبه الاربع
واستمر في فرش المطاف الشريف على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك
واصلح ابواب المسجد وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم ورد الحكم السلطاني
بتصفيح الباب بالفضة فاخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليها فضة
وجعلت صفايح وصفح منها باب الكعبة الشريفة وسمرت الصفايح بمسامير
الفضة واعيدت الحلقات الاربع على الباب واصلح الميزاب وصفح بالفضة
المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمل الميزاب في الباب السلطاني مصفحا
بالذهب وارسل الى هنا فوضع موضع الميزاب الذي كان في الكعبة وحمل الباب
الخاقاني فوصل ووضع في الخزينة العامرة واما عمارة المطاف فوقع
في سنة ٩٧١ وكنت قد امرت بتاريخ يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت
بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا تقرب الى الله تعالى بتجديد فرش احجار
المطاف وتسويتها تحت اقدام الطايفين بالطواف وتحلية الباب الشريف والميزاب

الله صح

المعظم المنيف خليفة الله تعالى الاعظم وسلطان الروم والعرب والعجم من اصطفاه الله
واجتباه لترميم بيته الحرام واختاره وارتضاه لخدمة الركن والمقام السلطان
الملك المظفر ابو الفتوحات سليمان خان تقبل الله تعالى منه صالح الاعمال وبلغه
ما يؤمله من السعادة والاقبال ولما تم غرضي بالتاريخ لتطهير البيت عمره الله قبلتنا

فصل في ذكر معاليق الكعبة وكسوتها اما المعاليق فقال المسعودي
في مروج الذهب كانت الفرس تهدي الى الكعبة الشريفة اموالا وجواهر في الزمان
الاول وكان ساسان بن بابك اهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا
كثيرا الى الكعبة **وقال** الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان كلاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي اول من علق
في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة وصيره للكعبة **ومنها** ان عمر بن الخطاب رض
لما فتح مدائن كسرى كان مما اهدي اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة
وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة **وبعث** المامون بالياقوتة
التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب في وجه الكعبة **وبعث** المتوكل
على الله بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق
في سلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم **واهدى** المعتصم العباسي
قفلا الى باب الكعبة فيه الف مثقال ذهبا في سنة تسع عشرة ومائتين وكان
والي مكة يومئذ من قبله صالح بن العباس فاتى الحجبة ليسلمهم القفل فابوا
ان ياخذوه منه واراد ان ياخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فابوا ان
يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليهم

ابن غالب ثم نقل عن الازرقي اشيا اهديت الى الكعبة صح

واعطاهم

واعطاهم القفل الذي كان بعثه اليهم فاقتسموه بينهم **وذكر** الفاكهي ان
مما اهدي الى الكعبة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة
كبيرة خضراء ارسله ملك السند لما اسلم في سنة ٣٥ فعرض امره على المعتمد
على الله تعالى **وتبعه** احمد الموفق بالله ابن اخي المعتمد على الله فامر بتعليقه
فعلقتا **قال** الشريف التقي الفاسي ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة
فيها كتاب بيعة جعفر بن امير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة ابن احمد الموفق
بالله ابن اخي المعتمد على الله قدم بها الفضل بن عباس في موسم سنة ٢٦١
احدى وستين ومائتين وكان وزن الفضة ثلثمائة وثمانين درهما فضة
وعليها خارجا عن ذلك ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة ودخل
الكعبة يوم الاثنين لاربع ليال خلون من صفر فعلقوا هذه القصبة
مع معاليق الكعبة **قلت** وسيأتي ان هرون الرشيد كتب ان يكون
ولي عهده من بعده محمد الامين ثم عبد الله المامون وبايع لهما على ذلك
اعيان مملكته وكتب مبايعتهم وارسل نسخة ذلك العهد وعلقها في الكعبة
ثم لما وقع بعده الاختلاف بينهما ارسل الامين عسكر القتال اخيه المامون
ارسل الى مكة المشرفة واخرج كتاب العهد من الكعبة ومزقه فمزق الله
ملكه وانكسر عسكره وانتصر المامون وجاء الى بغداد وحاصر الامين
الى ان امسكه عبد الله بن طاهر وقتله وارسل راسه الى المامون وسيأتي تفصيل
ذلك جميعه ان شاء الله تعالى **ثم** لما وقعت الفتن بمكة اخذت تلك المعاليق من الكعبة
فصرفت في ذلك الامر وقد كانت الملوك ترسل قناديل الذهب وتعلق في الكعبة

وكانت سدنة البيت اذا احتاجت اختلست منها ما يسد به خلتها وتدفع
به فقرها واحتياجها وقد ادركناه في ايام الصبى وقد خفت القناديل من سقوف
الكعبة من كان يتهم بذلك بل اخبرني رجل نجار انه عمل لاحدهم مخطافاً
من الخشب مربعاً من عشرة اعواد طوال كل واحد منها نحو ذراع تركب فتطول ثم
تفك وتحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتداء فدخل وحده كما
هو على مشايخ الكعبة وركب ذلك المخطاف ونزل قنديلا وفك تلك الاعواد
وعفش ذلك القنديل ووضعه في كمه الواسع ثم اخذ الناس في الدخول الى
البيت وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله تعالى عنه وافتقد مرة
امير من امراء جدة قنديلا كان علق قريبا في البيت فتكلم على ذلك الشيخ
واراد اهانته فلم يقدر على ذلك فتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة
على بقية الاسنان اوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة لا ينتفع
تعليقها ولا ابصرها فقدها وقد وصلت الى حد المخمصة فتعذر في ذلك
اذ وقع فعله منا والبيت الشريف الآن ولله الحمد والمنة في غاية الصون
في ايام هذا الشيخ المرحوم لعفته وامانته علقت في ايامه قناديل كثيرة اهداها
الملوك الى الكعبة وهي محفوظة معلومة عند الناس باقية يرونها في سقف
البيت اوقات فتح الكعبة لسائر الناس وقد وصل في وسط سنة اربع وثمانين
وتسعمائة من الباب الشريف العالي السلطاني جاويش اسمه محمد كان قبل ذلك
كاتباً للحرم الشريف على عمارة المسجد الشريف وكان توجه ببشارة اتمام عمل المسجد
الشريف الى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية الامانة والاستقامة

وادركناه

والكسر

وحسن

وحسن الخزمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروة وعلو الهمة سلمه الله تعالى
وحرسه امين فاقبلت عليه السلطنة نصرها الله تعالى وانعمت عليه بانواع الانعام
والترقي وغير ذلك من الاكرام وصار في عداد خواص جاويشية الباب العالي
وارسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة
الحرم الشريف في هذه العمارة اجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد
السادات الاشراف وصفوة الصفوة من شرفاء بني عبد مناف السيد
الشريف الحسيب النسيب المستغني بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر
الدنيا والدين مولانا السيد حسن بن ابي نمي وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد
العلماء الاعلام وسند الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس اعظم
مدارس اعظم سلاطين الانام صفوة نخبة آل سيد المرسلين عليه افضل الصلوة
والسلام وقاضي المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد
حسين الحسني المكي المكين لا زال حرم الله تعالى الامين مشمولا في ايام نظارته بالعز
والتكريم واهل الحرمين الشريفين غارقين في بحر احسانه كل وقت وحين
وكذلك لقاضي مكة المشرفة يومئذ اقضى قضاة المسلمين اولى ولاة الموحدين
معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين
لطف بيك زاده ذكره الله تعالى بالصالحات وافاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك
لامين العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير احمد
وفقه الله تعالى وسدده واكرمه واسعده وجهزت ايضا السلطنة الشريفة
نصر الله تعالى بها الاسلام وايد بتاييدها دين سيدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام

مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجوهر ليعلق منها
اثنان في سقف بيت الله الحرام والثالث في الحجرة الشريفة النبوية تجاه الوجه
الشريف النبوي تعظيما لسيد الانام على ذلك الوجه المليح تحية مباركة من ربنا بر
وسلام فلما وصل محمد جاويش المذكور الى مكة بما في يده من الخلع والتشاريف والقناديل
المعظمة قوبل بغاية الاجلال والتعظيم وعومل بنهاية الاحترام والاقبال
والبس الخلع الشريفة الفاخرة وانعم عليه بالضيافات والانعامات الوافرة
وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي
السيد حسن المشار اليه ومعه اكابر السادات الاشراف وجلس في الحطيم الكريم
تجاه بيت الله العظيم ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله سبحانه شيخ الاسلام
السيد القاضي حسين الحسيني الموما اليه خلد الله تعالى اجلاله علينا وباقي
من ذكرنا وساير الاعيان والاماثل وكافة العلماء والفقهاء والموالي واجتمع
الناس حول الكعبة وامتلا الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح بيت الله
الحرام واحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل السنية الخاقانية ثم
وقريت المراسيم الشريفة المطاعة في الاقطار والجهات فوق منبر الخطيب
بصوت جهوري يسمعه الخاص والعام والبس سيدنا ومولانا السيد حسن
خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من كبار
السيد حسن بالبيت الشريف بخلعته على المعتاد والرئيس والموذن نور بكر عن
للسلطنة وله بعلو زمزم والناس رافعون اكفهم بالدعاء الى ان فرغ السيد
الشريف من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف عند مقام

ابرهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى بيت
الله الحرام ودخلوا الكعبة واحضرت القناديل واختاروا لها مكانا عاليا يقع
نظر الداخل الى بيت الله الحرام في اول دخوله الى الكعبة عليها واحضر سلم يصعد
عليه فعلقهما السيد حسن بيده تعظيما لامر السلطنة وقريت الفواتح
في الكعبة وحولها ودعا الناس اجمعون ورفعت اصواتهم بالدعاء الى الله تعالى
يتضرعون بدوام هذا السلطان الاعظم سلطان العالم خلد الله خلافته
الزاهرة وايد ايام سلطنته القاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والاخرة
ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى ذلك الموكب الوسيم وكان يوما
شريفا مشهودا ووقتا مباركا ميمونا مسعودا نرقمه الليالي والايام
في صفحات اوراقها وانبتته في جرايد دفاترها والطباقها وقيل

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن روى

ثم توجه محمد جاويش المذكور بالقنديل الذي بقي معه الى المدينة النبوية
المنورة ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهرة واجتمعت له اكابر
المدينة الشريفة واعيانها وعلماؤها وصلحاؤها واركانها وشيخ حرمها
ونوابه ومن له شان وقدر من مجاوريها وسكانها فعمل موكب عظيم في الحرم
الشريف النبوي وفتحت الحجرة النبوية على ساكنها افضل السلام وعلق ذلك
القنديل تجاه الوجه الشريف النبوي عليه السلام وقريت الفواتح وحصل
الدعاء من سائر بحضرة سيد الانام عليه افضل السلام بدوام دولة هذا
السلطان الاعظم سلطان العالم خلد الله تعالى ملكه السعيد وايد معدلته

وفضله واحسانه المزيد فالله تعالى يديم ويطيل عمره ويسعده ويوفقه للخيرات
ويرشده ويوفقه للخيرات ويعينه للاعمال الصالحة من اعمال الخيرات ويسديه وهو
اول من علق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين من سلاطين الاعاجم خلد الله
سلطنتهم وابد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق لهذه المنقبة الشريفة بعده
اباه السلاطين العظام وفاق بهذه المزية الكريمة اجداده واسلافه الكرام
لازال يقاتل سلاطين العالم وخلفاءهم باقدامه واقدام عزمه همم ملوك الدنيا
وعظمائها وفي ذلك يقول القايل

هو العادل الظلام لليل والعدى • خزاينه قد اقفرت ودوابها •
عليم بنور الله ينظر قلبه • فلم يخف اسرار القلوب استتارها •
به ذل اهل الصليب واهله • به ملة الاسلام عال منارها •
فلا زالت الافلاك تجري بنصره • ولا زال عنه قطبها ومدارها •

فصل في ذكر كسوة الكعبة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك
بها ذكر الازرقي وابن جريج ان اول من كسا الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن
في الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع اسعد وانه راى في منامه ان يكسو الكعبة
فكساها الانطاع ثم راى انه يكسوها فكساها حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال
اسعد في ذلك وكسونا البيت الذي حرم الله • ملاء معصبا وبرودا •
واقمنا به من الشهر عشرا • وجعلنا لبابه اقليدا •
وخرجنا منه الى حيث كنا • ورفعنا لواءنا المعقودا •
قال الازرقي ايضا حدثني جدي حدثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة

قال

قال كانت تهدى الى الكعبة هدايا شتى من الكسوة وغيرها انماطا وتكسى به الكعبة
فاذا بلي شيء منها جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء وكانت قريشا
في الجاهلية ترفد من كسوة البيت فيضربون على العرب بقدر احتمالهم
عهد قصي بن كلاب حتى نشا ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم
وكان مثريا يتجر في المال فقال لقريش انا اكسو الكعبة وحدي سنة وجميع
قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل فعل قريش
وحده في كسوة البيت ويقال لبنيه بنو العدل وقال ايضا حدثني
محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسمعيل بن ابراهيم بن ابي حبيبة عن ابيه قال
كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الشريف الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما
القباطي وكان يكسى الديباج بعد ذلك وقال ايضا حدثني جدي قال كانت
الكعبة كل سنة تكسى كسوتين فتكسى اولا الديباج قميصا يدلى عليها
يوم التروية والاحباط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقونه فلو كان
العاشوراء علقوا عليها الازار واوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها
الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسونها الكسوة الثانية وهي
من القباطي فلما كانت ايام خلافة المامون امر ان تكسى الكعبة ثلاث مرات في
كل سنة فتكسى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطي اول رجب وتكسى الديباج
الابيض في عيد شهر رمضان واستمر على ذلك ثم انهى اليه ان الازار الذي
تكسى بها الكعبة في العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذي
تكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة واحتياج الى ان يبدل لها

القباطي اي ثياب قبطية وهي ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر والقبط اهل مصر

ازارا على عيد شهر رمضان مع قميص الديباج الابيض الذي تكسى به على
العيد فامر ان تكسوا ازارا آخرا على عيد شهر رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان
الازار يبلى قبل شهر رمضان من كثرة مس ايادي الناس فزاد ها ازارين
وامر باسبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه في كل شهرين
ازارا وذلك في سنة اربعين ومائتين ثم بعد الخلفاء العباسيين وايام
ضعفهم كانت كسوة الكعبة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل
سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استمرت الكسوة من سلاطين
مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح بن الملك الناصر قلاوون قريتين
بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة اسمهما بيسوس وسندبيس ثم استمر
سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند
تجديد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت كسوة حمراء
لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام
مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول
الله والآن في قلب الآن وقد ادخل في حواشي تلك الدالات آيات اخر من
او اسماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تركت بلا ذلك بحسب ما يومر به
فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله سلطنتهم
ما دام الزمان واخذ المرحوم السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة
والرضوان ممالك العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهز كسوة البيت الشريف
على ما جرت به العادة وامر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة من ظاهرها
[illegible]
وكسوة

وكسوة المدينة المنورة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة العظمى الى المرحوم
السلطان سليمان خان امر باستمرار الكسوة على عوايدها السابقة ثم لما
بلغه ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة خربتا وضعف
ريعهما عن الوفاء بمصرف الكسوة فامر ان تكمل من الخزاين السلطانية بمصر
ثم اضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى اخر ووقفها على كسوة الكعبة
فصار وقفا عامرا باقيا مستمرا وذلك من اعظم مزايا السلاطين العظام
الذين يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا اعظم السلاطين
العظام الفخام وهي الآن من خصوصيات سلاطين آل عثمان زين
الله تعالى بمزاياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات
دفاتر الدهر الى يوم القيام واما نزع كسوة الكعبة وتقسيمها بين
الناس فقد ذكر الازرقي قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن
ابن ابي نجيح عن ابيه ان عمر بن الخطاب رض كان ينزع كسوة البيت في كل سنة
فيقسمها على الحاج وقال ايضا حدثني جدي حدثنا عبد الجبار بن الورد
المكي قال سمعت ابن ابي مليكة يقول كان على الكعبة من كسوة الجاهلية
ما بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال خففت عنها
تلك الكسوة شيئا فشيئا وكان اول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رض
فلما كان ايام معوية رض كساها الديباج مع القباطي ثم انه بعث اليها كسوة
ديباج وقباطي وحبر وامر شيبة بن عثمان ان يجرد الكعبة من الكساوي
ويخلقها بالطيب ويلبسها ما جهزه اليها فجردها وطيب جدرانها بالخلوق وكسا
ها

تلك الكسوة التي بعث بها معوية رضه وقسم الثياب التي كانت عليها في اهل مكة
وكان عبد الله بن عمر رضه حاضرا في المسجد الحرام فما انكر ذلك ولا كراهه قال
وكانت شيبة تكسوها حتى راى على امراة حايض من كسوتها فما انكر ذلك عليه
وقال ايضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكيم بن عبد الله بن ابي
فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست
الى عبد الله بن عباس رضه في صفة زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورايته
يخلق جدرانها وبطنها ورايت ثيابها التي جردها عنها قد وضعت بالارض ورايت
شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم ار ابن عباس ينكر شيئا من ذلك مما صنع
شيبة بن عثمان وقال ايضا حدثني جدي حدثنا ابرهيم بن يحيى بن محمد
حدثنا علقمة عن امه عن ام المومنين عايشة رضها ان شيبة بن عثمان دخل
عليها وقال لها يا ام المومنين كثرت ثياب الكعبة عليها فنجردها من خلفها
ونحفر لها حفرة ندفن فيها مالي منع لئلا تلبسها الحايض والجنب فقالت عايشة
ما اصبت فيما فعلت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها
لا يضرها من لبسها من حايض ولا جنب ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله
وابن السبيل ومذهب علمائنا في ذلك رجوع امره الى السلطان والله اعلم بذلك
قال الامام فخر الدين قاضي خان في كتاب الوقف في فتاواه وديباج الكعبة
اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به في امر الكعبة لان الولاية فيه
للسلطان لا لغيره وفي تتمة الفتاوي عن الامام محمد في ستر الكعبة يعطى
منه انسان فان كان شيئا له ثمن لا ياخذه وان لم يكن له ثمن فلا باس به قال

الامام

الامام نجم الدين الطرسوسي في منظومته

وما على الكعبة من لباس ۝ ان رث جاز بيعه للناس
ولا يجوز اخذ هذا الشرا ۝ للاغنياء لا ولا للفقرا

وقال الامام الفقيه ابو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء
من كسوة الكعبة الشريفة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين
اوراق المصحف ومن حمل شيئا من ذلك فعليه رده ولا عبرة بتوهم الناس
انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه فقد روي عن ابن عباس
وعايشة رضي الله عنهما قالا يباع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى وقد
ورد في الحديث الصحيح لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله
وقال القرطبي من علماء المالكية كنز الكعبة المال المجتمع مما يهدى اليها
بعد نفقة ما تحتاج الكعبة اليه وليس من كنز الكعبة ما حلي به من الذهب
والفضة لان حليها حبس عليها كحصرها وقناديلها فلا يملكها احد انتهى
وقال الزركشي من علماء الشافعية في قواعده قال ابن عبدان امنع من بيع
كسوة الكعبة واوجب رد من حمل منها شيئا وقال ابن الصلاح هي الى الراي
الامام والذي يقتضيه القياس ان العادة استمرت قديما بانها تبدل كل سنة
ويأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره ويقرهم
الايمة على ذلك في كل عصر فلا تردد في جوازه والذي يظهر ان كسوة
الكعبة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فامرها راجع
لمن يعطيها من قبله من شاء من الشيبيين او غيرهم وان كانت من اوقاف الملكين

وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها فهي لمن عينها له وان جهل شرط
الواقف فيها عمل فيها بما جرت به العوايد السابقة كما هو الحكم في ساير الاوقاف
وكسوة الكعبة الان من اوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد
جرت عادة بني شيبة انهم ياخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول
الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله اعلم الباب
الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام
وبيان ما احدث فيه من التوسيع والزيادة في زمن عمر بن الخطاب رض وزمن خلافة
عثمان بن عفان وزمن عبد الله بن الزبير وهدم عبد الله بن الزبير وبناء قريش
للكعبة واعادتها على قواعد ابرهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر والميزاب
من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
الشريف اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها ابرهيم عم لم يكن حولها دار ولا جدار
واستمر كذلك في ايام العمالقة وجرهم وخزاعة لا يستجري احد ان يبني بمكة
دارا ولا جدارا احتراما للكعبة فلما الا امر البيت الشريف الى قصي بن كلاب واستولى
على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصي قومه واذن لهم ان يبنوا بمكة
حول الكعبة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها
بيوتا او يدخلوا الى مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا امسوا خرجوا
الى الحل فقال لهم قصي ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس واستحلوا قتالكم
والهجوم عليكم وبنى هو دار الندوة من الجانب الشامي كما تقدم بيانه ويقال
انها مقام الحنفية الذي يصلي فيه الان الامام الحنفي الصلوات الخمس وقسم قصي

وللعلماء المتأخرين رحمهم الله تعالى رسائل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لي حالات الوقوف على شيء منها والله اعلم م

باقي الجهات بين قبايل قريش فبنوا دورهم وشرعوا ابوابها الى نحو الكعبة وتركوا
للطايفين مقدار المطاف بحيث يقال ان القدر المفروش الان بالحجر المنحوت
الى حاشية المطاف الان وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا
فيه باب يسلك منه الى بيت الله الحرام بحيث يقال ان القدر ثم كثرت
البيوت واتصلت الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم فولد عليه السلام على اشهر
الاقوال بشعب بني هاشم بقرب المحل المسمى الان بشعب علي وكان عليه السلام
يسكن دار سيدة النساء خديجة الكبرى رض ثم لما ظهر الاسلام وكثر
المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته
ابي بكر الصديق رض ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثر المسلمون في زمن عمر رض
فراى ان يزيد في المسجد الحرام فاول زيادة زيدت في المسجد الحرام زيادته رض
فينبغي ان نذكرها فنقول روينا بالسند المذكور سابقا في المقدمة عن ابي الوليد
الازرقي قال اخبرني جدي قال اخبرنا مسلم عن خالد عن ابن جريج قال كان
المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به
من كل جانب غير ان بين الدور ابوابا يدخل الناس منها الى المسجد الحرام فلما
كان زمان عمر بن الخطاب رض وضاق المسجد بالناس لزم توسيعه فاشترى
دورا حول المسجد وهدمها وادخلها في المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها
في المسجد وابى اصحابها من بيعها فقال لهم عمر رض انتم نزلتم في فناء الكعبة
وبنيتم به دورا ولا تملكون فناء الكعبة وما نزلت الكعبة في بيوتكم وفنا
بيوتكم فقومت الدور ووضع ثمنها في جوف الكعبة ثم هدمت وادخلت في المسجد ثم

مطلب اول زيادة المسجد الحرام

طالب اصحابها الثمن فسلمه اليهم ذلك وامر ببناء جدار قصير احاط بالمسجد
وجعل فيه ابوابا كما كانت بين الدور قبل ان تهدم جعلها في محاذات الابواب
التي بقيت ثم كثر الناس في زمان عثمان رضه فامر بتوسيع المسجد واشترى
دورا حول المسجد وهدمها وادخلها في المسجد وابى جماعة عن بيع دورهم
ففعل كما فعل عمر رضه وهدم دورهم وادخلها المسجد فضج اصحاب الدور
وضاقوا فدعاهم وقال انما جراكم على ذلك حلمي عليكم الم يفعل بكم ذلك عمر
فلا صيح احد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فضجيتم مني وصحتم علي
ثم امر بهم الى الحبس فشفع فيهم عبد الله بن خالد بن اسيد فتركهم ولم يذكر
الازرقي متى كانت زيادة عمر رضه والزيادة عثمان رضه وذكر ابن جرير الطبري
وابن الاثير وابن الجوزي في تواريخهم ان زيادة عمر كانت في سنة سبع عشرة من الهجرة
بتقديم السين وان زيادة عثمان كانت في سنة ست وعشرين من الهجرة اقول
زيادة عمر بن الخطاب رضه وعمارته للمسجد كانت عقيب السيل العظيم في سنة سبع عشرة
من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل ام نهشل
قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهد الهاشمي
العلوي في كتاب اتحاف الورى باخبار ام القرى في حوادث سنة سبع عشرة وفيها
جاء سيل عظيم يعرف بسيل ام نهشل من اعلا مكة المشرفة من طريق الردم فدخل
المسجد الحرام واقتلع مقام ابرهيم عم من موضعه وذهب به حتى وجد باسفل
مكة وغير مكانه الذي كان فيه لما عفى السيل فاتي به وربط بلصق الكعبة
في وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاص بن امية بن

عبد

عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب فماتت فيه واستخرجت منه باسفل
مكة وكان سيلا هايلا فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب وهو بالمدينة المنورة
فهاله ذلك وركب فزعا مرعوبا الى مكة المشرفة فدخلها بعمرة في شهر رمضان
فلما وصل الى مكة وقف على حجر المقام وهو ملتصق بالبيت فتهول من ذلك
ثم انشد عبدا عنده علم من هذا المقام فقال المطلب بن ابي وداعة السهمي انا
يا امير المؤمنين عندي علم بذلك فقد كنت اخشى عليه مثل هذا الامر
فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم وهو عندي
في البيت فقال له عمر اجلس عندي وارسل اليها فاتي بها فقيس بها ووضع
حجر المقام في ذلك المحل يعني الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن
قال وفيها وسع عمر بن الخطاب رضه المسجد الحرام بدور اشتراها وهدمها
وادخلها المسجد وذكر ما قدمناه انفا قال وفيها عمل عمر رضه الردم الذي
باعلا مكة صونا للمسجد بناه بالصفاير والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعل
سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم في سنة اثنين ومايتين فكشف
عن بعض احجاره وشوهد فيه صخور عظيمة كثيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون
هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهو بطن من
قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك اقول هذا الردم
الموضع الذي يقال له الان المدعى وهو مكان كان يرى البيت منه اولا يرى
وكان الناس خصوصا من يرد الحج من ثنية كداء وهو الحجون اذا وصلوا ذلك المحل
شاهدوا منه البيت والدعاء مستجاب عنده رؤية بيت الله الحرام وكانوا يقفون

قال م

عفان

مطلب عمل الردم

وخمسين

المرادم

هنا لكن الدعاء وأما الآن بعدما حالت الابنية عن رؤية البيت ومع ذلك
يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة
انه المدعى قال مولانا القاضي جمال الدين ابو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب
البحر العميق في مناسك الحج الى البيت العتيق انه كان يرى في زمنه راس الكعبة
الكلية من راس الردم يعني المدعى فاذا ظهر له يقف فيدعو وليسال الله سبحانه
حاجته فان الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة انتهى وسئل حافظ الدين
النسفي في المنافع عن صاحب الهداية انه استوصى عن شيخ له سماه له
فقال له اذا وصلت سوق كذا ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك
مستجاب الدعوة لمن قال انه من رآها اولا كانت دعوته مستجابة انتهى وكان
القاضي ابو البقاء بن الضياء المذكور في اوسط المائة السابعة ووفاته في سنة اربع
وخمسين وثمان مائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الى زماننا كان الناس
يقفون ويدعون عند مشاهدتهم الكعبة ولا اعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم
فيه ام لا كان ذلك المحل غير مرتفع في عهده عليه السلام وما رفعه الا عمر رضي بالردم
الذي بناه فارتفع الارض وصار البيت يشاهد حينئذ فوقف الناس عنده
بعد ذلك لمشاهدة البيت منه وبالجملة فالآن لا يرى البيت منه ولكن انا نظر
في جميع عمري في المدعى يقف فيه الناس للدعاء واستمرار وقوف الناس بهذا
المحل والدعاء فيه تبركا لوقوف من سلف للدعاء فيه والله اعلم بحقيقة الحال
ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل الى اعلا مكة لا يعلو هذا المكان
بل كان ينحرف عنه الى جهة الشمال المستقبل الى البيت المبني الذي بناه عمر رضي

[margin: ٢ ن النفيسي]
[margin: مواهب التاسعة]
[margin: كان]

فلا

فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن فصارت هذه
الجهة من يومئذ الى يومنا هذا مرتفعة عن ممر السيل وصار السيل الكثير
اذا جاء كله ينحدر الى جهة السوق ويمر بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام الى ان يخرج
من اسفل مكة وهذا السيل سيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل
الى اسفل مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل اجياد يجتمع من الجبال التي في جنوب
مكة وينصب من محلة اجياد ويمر عرضا الى ان يصدم الركن اليماني من المسجد
ويجري الى اسفل مكة وقوة جريانه تمنع جريان سيل وادي ابراهيم فيقف
ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة في كل عشرة اعوام
تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الى تنظيف وتبديل الحصى ونحو
ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا غاية الاهتمام
فاندرست اعمالهم بطول الزمان ولم يفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت
السيول العظيمة كل مرة تدخل الى المسجد الحرام فلسنا الآن بصدد شرح ذلك
واما زيادة عثمان بن عفان رضي في المسجد الحرام فقد ذكر ابو زكريا النووي نقلا
عن ابي الوليد الازرقي واقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية
وغيرهما من الائمة المعتمدين وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا
اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي جدار يحيط به وكانت الدور محدقة
به وبين الدور ابواب يدخل منها الناس من كل جانب ومن كل ناحية فلما استخلف
عمر رضي وكثر الناس وسع المسجد الحرام واشترى دورا هدمها وزادها فيه واتخذ

[margin: مطلب زيادة عثمان رضي]

للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه وكان عمر رضه اول
من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضه ابتاع منازل ووسعه بها
ايضا وبنى المسجد والاروقة فكان عثمان رضه اول من اتخذ للمسجد الحرام الاروقة انتهى
قال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر عثمان رضه
من المدينة المنورة في ثلاثين الفا فطاف وسعى وامر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ما قدمناه
قال وجدد انصاب الحرم الشريف وكلم اهل مكة عثمان رضه ان يحول الساحل من
الشعيبة وهي ساحل مكة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة
لقربها من مكة المشرفة فخرج عثمان رضه الى جدة وراى موضعها وامر بتحويل
الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا
البحر للاغتسال ولا يدخله احد الا بميزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان
الى المدينة المنورة وترك الناس ساحل الشعيبة في ذلك الزمان واستمرت
جدة بندرا الى الآن لمكة وهي على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال
تستوعب احديهما الليل كله في ايام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية
على جميع الليل بشيء قليل واما الراكب المجد والساعي على قدميه فيقطعهما في
ليلة واحدة وما رايت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيهما بل رايت من
ادركت من مشايخ الحنفية كانوا يكملون الصلوة واما انا فارى لزوم القصر
فيهما لان مدة مسافة القصر عندنا ثلاث مراحل تقطع كل مرحلة في اكثر من
نصف النهار في اقصر الايام بسير الاثقال وهذان المرحلتان يكونان على
هذا الحال ثلاث مراحل فازيد ثم رايت في موطا الامام مالك رضه حديثا

صحيحا

انه بلغه

صحيحا يدل على صحة ما جنحت اليه وصول الله عن مالك رضه ان ابن عباس رضه
كان يقصر الصلوة في مثل ما بين مكة والطايف وفي مثل ما بين مكة وعسفان
وفي مثل ما بين مكة وجدة انتهى والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال ثم وقعت زيادة
عبد الله بن الزبير رضه هو صحابي وابن صحابي وابوه احد العشرة المشهود لهم
بالجنة وامه اسما بنت ابي بكر رضه ذات النطاقين وخالته عايشة رضه
ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو
اول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا
لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه بابي بكر باسم جده الصديق
وكان صواما قواما طويل الصلوة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قويا قسم الليالي
الى ثلاث فليلة يصلي قايما الى الصبح وليلة يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة
يصلي ويستمر ساجدا الى الصبح وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلثين
حديثا وكان ممن ابى البيعة ليزيد وفر الى مكة واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراق
وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا اهل مصر والشام فانهم بايعوا ليزيد فلما
هلك اطاع اهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام
الى ان ولي عبد الملك بن مروان فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وامر عليهم الحجاج
ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابه فخرج
ابن الزبير وحده وقاتل قتالا شديدا عظيما الى ان استشهد رضه في سنة ٧٣
ثلاث وسبعين من الهجرة النبوية وانشد فيه النابغة الجعدي يقول

مطلب في اول مولود للمهاجرين

ج

حكيت ابن الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس بالحق فاعتدى * وعاد صباحا حالك اللون اسحم

وكان لما حاصره الحصين بن النمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجا بالمسجد الحرام فنصب عليه المنجنيق واصاب بعض حجارة الكعبة الشريفة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض اخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير رض ان يهدم الكعبة الشريفة ويحكم بناها ويبنيها على قواعد ابرهيم عليه السلام لما سمع من خالته عايشة رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة لولا ان قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فالصقتها بالارض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة اذرع من الحجر فان قريشا استقصرت حين بنت الكعبة فان بدا لقومك ان يبنوها من بعدي فهلمي لاريك ما تركوا فاراها قريبا من سبعة اذرع اخرجه الشيخان في صحيحيهما وفي رواية مسلم عن عطاء رح قال قال ابن الزبير رض اني سمعت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة اذرع انتهى فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رض في ذلك فكان منهم من ابى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم واقدم على ذلك ولما اراد هدم البيت الشريف ليجدد بناه خرج اهل مكة من مكة شرفها الله تعالى خوفا و العمال عن ذلك فارقى عبد الله بن الزبير عبدا رقيق السن قبل وعبيدا

لكن من الحبشيين يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال الامام عبد الله ابن اسعد اليافعي في تاريخه مرآة الزمان ان عبد الله بن الزبير اراد ان يجعل الطين الذي يبني به الكعبة المشرفة من الورس فقيل له انه لا يستمسك به البنيان كما يستمسك بالجص فارسل الى صنعاء اليمن يطلب منها جصا نظيفا محكما فاتوه به فبنى به الكعبة فلما اكملوا هدمها كشفوا عن اس ابرهيم عليه السلام فوجدوا الحجر داخلا في البيت فبنوا البيت على ذلك الاساس وكان اول ستر اعلى فناء البيت فكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج فادخل الحجر في البيت والصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وحضره النبي صلى الله عليه وسلم وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة وكان النفقة قصرت بقريش لما بنت الكعبة بعد فاخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حايطا قصيرا علامة انه من الكعبة فازال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع واعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وبنى على قواعد ابرهيم وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة اذرع وزادت قريش فيها تسعة اذرع فلما اكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعا راها عريضة لا طول لها زاد في طولها تسعة اذرع فصار طولها في السماء سبعة وعشرين ذراعا ولما فرغ من بنيانها طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا من اعلاها الى اسفلها وكساها الديباج وبقيت من الحجارة بقية فرشها حول البيت

نحو من عشرة أذرع وكان فراغه من عمارة البيت في سابع عشر شهر
رجب سنة ٦٤ أربع وستين من الهجرة فخرج إلى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا
لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح كل واحد على قدر سعته وجعلوا
ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة إلى اليوم
يجتمعون إلى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن العمرة في هذا اليوم
في كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه
العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال إن صاحب الينبع يومئذ
السيد قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني جد ساداتنا الأشراف ولاة
مكة المشرفة الآن لما علم أن أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بني حسن
يقال لهم الهواشم لانهماكهم على اللهو واللذات وكثرة الظلم من عبيدهم على
الناس واستيلاء العبيد عليهم ونفرة القلوب عنهم وعدم توجههم إلى البلد
الحرام ارتقب الشريف قتادة يوم السابع عشر من شهر رجب واغتنم الفرصة
لاشتغال أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بتجملاتهم إلى التنعيم فهجم بعسكره
وخيوله ودخل عليهم من أعلاها ومنع ولاتها السابقين من الدخول
إليها وكانت مكة يومئذ مسورة وولاتها من بني حسن الهواشم آخرهم الشريف
مكثر بن عيسى بن فليتة فخرج بمن معه إلى جهة اليمن وتمكن السيد قتادة من
البلاد وذلك في سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية له ولولده
إلى الآن وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة ٧٤
أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يذكر له أن عبد الله

مكثر

ابن

ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب إليه عبد الملك بن
مروان أن يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج
من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش
وكبس أرضها بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك
سائرها لم يغير منه شيئا فهي الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير
والجانب الرابع الشامي من بناء الحجاج وهو ظاهر أي ينفصل عن بناء عبد الله
ابن الزبير فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام
مع الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي وهو من ثقاة الرواة فتجادلا في أمر
الكعبة فقال عبد الملك ما أظن أن ابن الزبير سمع عن عائشة رضي الله عنها ما كان يزعم
أنه سمع عنها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها تقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حداثة قومك
عهد بالكفر لأعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن إبراهيم فإن
بدا لقومك أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع
وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابان موضوعين على الأرض بابا شرقيا
يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها
تقول ذلك قال نعم أنا سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده منكسا
ساعة طويلة ثم قال وددت والله أني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك كذا
ذكره النجم عمر بن فهد وذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد
المهمة والحديث شجون رجعنا إلى ما نحن بصدده من ذكر زيادة عبد الله

مكث

ابن الزبير في المسجد الحرام وبسندنا المتقدم ذكره متصلاً مرفوعاً الى الاما م
أبي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان
المسجد الحرام محاطاً بجدار قصير غير مسقف وكان الناس يجلسون حول
الكعبة بالغداة والعشي يتبعون الافياء فاذا قلص فى مت المجالس **قال** وحدثني
جدي قال حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القسم بن عقبة عن ابيه قال زاد عبد الله
ابن الزبير في المسجد الحرام فاشترى دوراً وادخلها في المسجد وكان مما اشترى
بعض دارنا يعني دار جدنا الازرق وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها
شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد الحرام وكانت داراً
كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر الف دينار وادخله الى المسجد
وكتب لنا الى اخيه مصعب بن الزبير بالعراق بدفعها الينا قال فركب
رجال منا الى العراق فوجد مصعباً يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث
الا يسيراً حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فحصر ابن الزبير بعد ان
نعطى ويدافعنا حتى جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقتل ولم ناخذ منه
شيأ **قال** وذكر جدي انه سمع مشيخة اهل مكة يذكرون ان عبد الله بن بعض
الزبير سقف المسجد الحرام غير انهم لا يدرون اسقفه كله ام بعضه
قال ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكن رفع جدرانه وسقفه
بالساج وعمره عمارة حسنة **وقال** حدثني جدي عن سفين بن عيينة
عن سعيد بن فرقد عن ابيه قال كنت على عمل المسجد الحرام في زمان عبد
الملك بن مروان فامر ان يجعل في راس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من

الذهب

الذهب **وروى** جدي عن سفين عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن
واذان بن زوح قال مسجد الكوفة تسعة اجربة ومسجد مكة سبعة
اجربة وذلك في زمان عبد الله بن الزبير

ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي كان الوليد جباراً
ظالماً اخرج ابو نعيم في الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج
بالعراق وعثمان بن حيان بالحجاز وقرة بن شريك بمصر امتلات الارض
جوراً **قال** الحافظ السيوطي لكنه اقام الجهاد في ايامه وفتحت في دولته
الفتوحات العظيمة **قال** الذهبي عاش الجهاد في ايامه وفتحت الفتوحات
فيها العظيمة كايام عمر بن الخطاب رضه **وقال** ابن ابي عبيد واين مثل الوليد
افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي
وبنائه قال ابو الوليد الازرقي قال جدي عمر الوليد بن عبد الملك المسجد الحرام
ونقض عمل عبد الملك وعمل عملاً محكماً **وكان** اوا عمل المساجد زخرفها
وهو اول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل
على رؤس الاساطين صفايح الذهب وازر المسجد بالرخام وجعل للمسجد
شرافات **قال** النجم عمر بن فهد بعث الوليد بن عبد الملك الى واليه على
مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين الف دينار يضرب بها على
باب الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في
باطنها وعلى الاركان التي في جوفها **ويقال** ان الحلية التي حلاها الوليد
ابن عبد الملك الكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من

ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الاندلس على بغل كوى
تفسخ تحتها وكان بها اطواق من ياقوت وزبرجد [تاريخ]

الباب الرابع

في ذكر ما رأى العباسيون في المسجد الحرام لما انطوى بساط ملك
بني مروان وآل الى آل العباس الامر والسلطنة من قبل بني امية كل ممزق
ونتف الدهر حلل ايناسهم ومزق وجرى بنار البأس لباسهم وخرق وكان
رقص لهم الدهر وصفق وكانت ثغور اماكنهم بواسم وغرر ايامهم بصنوف
اللهو مواسم ورياح عزتهم في ارض عزتهم نواسم وكانت تضيق بجيوشهم
الفضا وتجري على حسب مطلوبهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم
الايام فاظلمت غرر اشراقهم واغوى بلهيب العكس يانع اوراقهم فلم يدفع [ورشقهم بصواعق ارعادهم وابراقهم]
عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام واذيق الموت
الاحمر مروان الحمار ونزع من تحت الملك الذي تحته فما بكت
عليهم السماء والارض وما بقي لهم الا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا
من الاتراب الى بطن التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فسحقا
لدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتي تمنيها وتحنيها ولا ابقاء فيها
على مجنيها ومجتنيها ذلك غرة عاد وهدمت قصور شداد ولخربت
ارم ذات العماد تف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها
وتصرفها كم نادت حذار حذار من بطشي وفتكي وكم صححت عليهم النغمة وا
بضحكي ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وكانت مدة
ملكهم الف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل

لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر
خير من الف شهر قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور اخرج ابن ابي حاتم [عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما]
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ولد الحكم بن العاص على المنابر كانهم القردة
فانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة
في القرآن يعني الحكم وولده واخرج ابن مردويه عن عائشة رضي [يعني الحكم وولده]
انها قالت لمروان بن الحكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك
انكم الشجرة الملعونة في القرآن واخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي رضي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح وهو مهموم فقيل له ما لك يا رسول الله قال
اني رايت في المنام كان بني امية يتغايرون منبري هذا فقيل له يا رسول الله [يتبادرون]
لا تهتم فانها دنيا تنالهم فانزل الله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا
فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه عثمان رضي ولا
معوية ولا عمر بن عبد العزيز انتهى وما كانت في الحقيقة ولاية بني امية الا
فتنة للناس وآل الملك بعدهم الى آل العباس واضحكهم الدهر بعد العبوس
واليأس والبسهم حلل الامر والنهي وافرحهم بذلك الالباس وآنسهم
بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا ادوار واطوار
وما زال لكل زمان دولة ورجال فاول من ولي منهم السفاح ابو العباس [مطلب ولاية السفاح العباسي]
عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي وكان اصغر من اخيه ابي جعفر
المنصور قال ابن جرير الطبري كان بدو امر بني العباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك [ولده]

الى ان بويع لابنه محمد سرًّا فلما مات محمد عهد لولده ابرهيم فسجنه مروان
وقتله في السجن فعهد ابرهيم لاخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة
في ثالث شهر ربيع الاول سنة اثنين وثلثين ومائة **وكان** مولده في سنة مائة
بسبعة عشر وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ١٣٦ ست وثلثين ومائة وكان نقش على
خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يومن وكان يدعى السفاح لما قتل في مبايعته
من بني امية واتباعهم ما لا يحصى كثرة وتوطات له الممالك من المشرق
الى اقصى الغرب **وكان** عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته اربعة اعوام
وجرت عادة الله سبحانه في الملوك والسلاطين قصر اعمار من سفك الدما
منهم **وولي** بعده اخوه ابو جعفر عبد الله المنصور وهو اسن من اخيه السفاح
وبويع له من اخيه في اول سنة سبع وثلثين ومائة وكان ظلوما غشوما
هو اول من اوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين
محمد وابرهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي وكان الخروج
عليه واذى بسببهما خلقا كثيرا من العلما قتلا وضربا ممن افتى بجواز الخروج
عليه منهم الامام ابو حنيفة رح اكرهه على القضا فابى فسجنه فمات في السجن
وقيل انه سمه في السجن لكونه افتى بالخروج عليه **وسمي** لبخله بالدوانقي
لمحاسبة العمال والصناع على الدوانق والحبة **وقيل** ابا مسلم الخراساني
وهو الذي قام بدعوة الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول وذلت له
الممالك ودانت له الامصار ولم يخرج عنه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد
الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالاندلس

مطلب توفي ... سنة [illegible]

وطالت

وطالت مدة ملكه بنوه واستمرت في يدهم مدة **وفي** محرم الحرام سنة ١٣٨
ثمان وثلثين ومائة **وقيل** في سنة تسع وثلثين ومائة امر ابو جعفر المنصور
بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقة الشامي الذي يلي دار الندوة
وزاد في اسفله الى ان انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد
في الجانب الجنوبي شيأ لاتصاله بمسيل الوادي وصعوبة البناء فيه وعدم
ثباته اذا قوي السيل عليه ولذلك لم يزد في اعلا المسجد واشترى من الناس
دورهم وهدمها وادخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولي عمارة المسجد لابي
جعفر المنصور امير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي وكان من
شرطته عبد العزيز بن عبد الله بن شافع فحجر شافع بن عبد الرحمن الشيبي
وكان زياد احجر بدار شيبة بن عثمان وادخل اكثرها في الجانب الاعلى من
المسجد فتكلم مع زياد في ان يميل عنه قليلا ففعل وكان في هذا
المحل ازورار في المسجد الحرام وامر ابو جعفر المنصور بعمارة منارة هناك
فعملت واتصل عمله في اعلى المسجد الحرام بعمل الوليد بن عبد الملك وكان
عمل ابو جعفر المنصور طاقا واحدا باساطين الرخام دائر على صحن المسجد
الحرام بالفسيفسا والذهب وزينه بانواع النقوش ورخم الحجر بالحاء
المهملة المكسورة ثم الجيم وهو اول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد
الله الحارثي والي الحرمين الشريفين والطائف من قبل المنصور وفرغ من ذلك
في عامين **وقيل** في ثلثة اعوام **وكتب** على باب بني جمح احد ابواب المسجد الحرام
من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين

مطلب زيادة المنصور العباسي

وكان الذي ولي زيادة ... وتقبل الضعفا ... ودين المسجد الحرام ... [illegible]

مطلب اول من رخم المسجد الحرام المنصور

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم الآية امر عبد الله
امير المومنين اكرمه الله تعالى بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا
منه للمسلمين واهتماما بامورهم والذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل
وفرغ منه ورفعت الايدي عنه في ذي الحجة الحرام سنة ١٤٠ اربعين ومائة
وذلك بتيسير الله تعالى على امير المومنين من حسن رعايته وكفايته واكرامه له
باعظم كرامته فاعظم الله تعالى اجر امير المومنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام
واحسن ثوابه وجمع له بين خيري الدنيا والاخرة واعز نصره وايده وحج
المنصور في ذلك العام واحرم من الحيرة وبدا على بحمله الاموال العظام فاعطى
اشراف قريش كل نفر منهم الف دينار واعطى اهل المدينة المنورة عطايا
لم يعطها احد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس
ثم سلك الى الشام ثم الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله وذكر
حكاية مفيدة اذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصودنا لعظم
فايدتها وهو ان حاج المنصور كان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل
ليطوف ويصلي ولم يعلم احد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجي المؤذنون
ويسلمون عليه ويوذنون الفجر ويقيمون الصلوة فيخرج يصلي بالناس
فخرج ذات ليلة في السحر وشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول
اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله
من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من كلامه

مطلب حكاية الخضر عليه السلام مع المنصور

ثم خرج من الطواف الى ناحية المسجد الحرام ثم ارسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى
ركعتين وقبل الحجر واقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور
ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين
الحق واهله من الظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما اقلقني وامرضني واشغل
خاطري فقال له يا امير المومنين ان امنتني على نفسي واصغيت الي باذن واعية
انباتك بالامور عن اصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله تعالى واتصل الى
واقتصرت على نفسي ففيها شغل شاغل عن غيري فقال له انت امن على نفسك
فقال اني القي اليك السمع وانا شهيد بالقلب فقال ان الذي داخله الطمع حتى
حال بينه وبين الحق ومنع من اصلاح ما ظهر من الفساد والبغي في الارض
هو انت فقال ايها الرجل كيف يداخلني الطمع والصفرا والبيضا بيدي
والحامض والحلو في قبضتي ومن يحول بيني وبين ما اريد من ذلك فقال وهل
داخل الطمع احد من الناس ما داخلك يا امير المومنين ان الله تعالى استرعاك
امور المسلمين وانفسهم واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت
بينك وبينهم حجابا من الجص والطين وابوابا من الخشب والحديد وحجابا معهم السلاح
واتخذت وزراء فجرة واعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان احسنت لا يعينونك
وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وامرت ان لا يدخل عليك غيرهم
من الناس ولم تامر بايصال المظلوم اليك ومنعت من ادخال الملهوف عليك وحجبت
الجايع والعاري والمحتاج عنك وما احد منهم الا وله حق من هذا المال فما
زال هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان

لا يحجبوا عنك يقولون في أنفسهم هذا قد خان الله تعالى فما لنا لا نخونه فتفقوا على
أن لا يتصل إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل
إلا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمتهم الناس وهابتهم
وأكرمتهم وكان أول من صانعهم وداراهم عمالك بالأموال والهدايا والرشا
فتقووا بها على ظلم رعيتك وتبعهم من كان ذا قدرة وثروة من رعيتك ليظلموا
من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والقهر وزاد بغيهم وطمعهم وكثر
فسادهم وإفسادهم وصار هؤلاء شركاؤك في سلطانك وأنت غافل
فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الوصول إليك وإن أراد رفع قصته
إليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا شديدا ليكون ذلك نكالا لغيره وأنت
تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك فإن سألتهم عنه قالوا أساء الأدب فأدبناه
وجهل مقامك فضربناه فما بقاء الإسلام على ظهور هذه المظالم والآن م
فإني سافرت إلى أرض الصين فقدمتها وقد أصيب ملكهم بآفة أذهبت
سمعه فجعل يبكي فقالت له وزراؤه ما لك تبكي لا بكت عيناك فقال إني
لا أبكي على فقد سمعي ولكن أبكي على المظلوم يصرخ ببابي يطلب رفع ظلامته
فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب فنادوا في الناس
أن لا يلبس الأحمر إلا مظلوم لأميزه بالنظر فعينه وكان يركب الفيل كل
يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع ظلامتهم أنظر يا مسكين هذا
مشرك بالله تعالى غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت تؤمن بالله تعالى
وابن عم نبيه صلى الله عليه وسلم فإن الأموال لا تجمع إلا لواحد من ثلاثة أمور إن قلت

أجمعها

أجمعها للولد فقد أراك الله تعالى عبرا في الطفل يخرج من بطن أمه عريانا
ما له على وجه الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه وتصونه
عن كل أحد فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق إليه ما قدر
له من المال فيملكه ويحويه كما حواه غيره واستغنى بعطاء الله تعالى الذي
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وإن قلت
أجمع المال لأشيد به سلطاني فقد أراك الله تعالى عبرا فيمن كان قبلك ما أغنى
عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما
ضركم ما كنت أنت وولد أبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله تعالى بكم
ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق
ما أنت فيه منزلة تدرك إلا بالعمل الصالح واعلم أنك لا تعاقب أحدا من
رعيتك إذا عصاك بأعظم من القتل فإن الله تعالى يعاقب من عصاه بالعذاب الأليم
وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين
يديه وقد نزع ملك الدنيا من يدك ودعاك للحساب فهل يغني عنك ما كنت
فيه شيئا قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف
احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس إلا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأ
علام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فإنهم قد فروا
مني قال نعم فروا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر لهم من طريقتك فإذا
فتحت الأبواب وسهلت الحجاب ونصرت المظلوم ومنعت الظالم وظهرت
بالعدل وانتشر الفضل فأنا ضامن لمن هرب منكم أن يعودوا إليك وحينئذ

المؤذنون وسلموا عليه واذنوا للفجر وقاموا فقام المنصور الى الصلوة
فصلى بالناس واذا بالرجل قد غاب من بين ايديهم فلما فرغ المنصور من
الصلوة سال عنه فقالوا ذهب فقال ان لم تاتوني به عاقبتكم عقابا
شديدا فذهبوا يلتمسونه فوجدوه في الطواف فتقدم اليه الحرسي فقال
انطلق معي والا هلكت وهلك من معي فقال كلا الست بذاهب معك فقال
انه يقتلني ان لم اتيه بك فقال كلا لا يقدر على ذلك واخرج من جيبه
ورقة وقال ضعها في جيبك لم يصبك منه سوء فانه دعاء الفرج
قال وما دعاء الفرج قال دعاء لا يرزقه الله تعالى الا للسعداء من دعا
به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله تعالى رزقه
عليه واعطاه امله واعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال
اقرأه لي اخذ عنك وانا لقنه منك فقال قل **اللهم** كما لطفت في عظمتك
دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك
ما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية
القول كالسر في علمك فانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل سلطان
لسلطانك وصار امر الدنيا والاخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت
فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك
على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه منك فصرت ادعوك
امنا واسالك مستأنسا وانك المحسن الي وانا المسيء الى نفسي فيما بيني
وبينك اتودد اليك وانت تبغض الي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة

عليك

عليك فجد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم **قال** فقرأته واخذت
الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الي تستعجلني فاتيته فاذا هو جالس يتلظى
فلما وقع نظره علي سكن غيظه وتبسم وقال ويحك انت تحسن السحر فقلت
لا والله يا امير المؤمنين ثم قصصت عليه امري فقال هات الورقة فناولته
اياها فاخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وامر لي بعشرة الاف درهم ثم
قال اتعرف الرجل فقلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام **قلت** واني اروي
هذه الحكاية بعلو الى الشيخ علاء الدين القدوكي الحرقاني النهرواني الحنفي
نزيل مكة فقال انبأني بهذه الحكاية العز بن عبد العزيز النجم عمر بن فهد
عن والده عن القاضي زين الدين ابي بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ
يوسف بن عبد الرحمن المزي قال انبأنا الامام ابو الحسين علي بن احمد بن البخاري
عن الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال اخبرنا محمد بن ناصر
اخبرنا المبارك بن عبد الجبار اخبرنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا ابو النصر
محمد بن محمد النيسابوري عن ابرهيم بن احمد الخشاب حدثنا ابو علي الحسن
ابن عبد الله الرازي حدثنا المثنى بن مسلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت
ابا المهاجر المكي يقول قدم المنصور حاجا وكان يخرج من دار الندوة الى
الطواف اخر الليل وس والحكاية بطولها **قال** النجم عمر بن فهد وفي سنة ٥٨
ثمان وخمسين عزم على الحج ابو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري
فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رايتم سفيان الثوري
فاصلبوه فجاؤا ونصبوا له الخشب وكان جالسا بفناء الكعبة وراسه في حجر

مطلب كرامة سفيان الثوري

فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفين بن عيينة فقيل له يا ابا عبد الله
قم واحترف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى الستر والكعبة واخذها ثم قال
برئت منه ان دخلها ابو جعفر وعاد الى مكانه فركب ابو جعفر من بير
ميمون فلما كان بين الحجونين سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات
فوقف بس بعر ذي الحجة وقت السحر فحفروا له مائة قبر ودفنوه في احدها
ليعموا قبره عن الناس وبر الله سبحانه منهم عند سفين فانظر الى عباد
الله المخلصين واذلالهم علي جناب قدس رب العالمين وكيف حال اهل
الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين
سبحانه وتعالى وما احقر سلطان البشر المخلوق من ماء مهين وما اسرع
زوال ملكه وصيرورته عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
وعظة لمن اراد ان يتذكر عواقب هذا الاغترار ويعلم ان الملك لله الواحد
القهار لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذل علي الدوام والاستمرار
والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة
ملكه اثنان وعشرون سنة وثلاثة اشهر وعاش اربعا وستين سنة وكان
قد راى مناما يدل علي قرب اجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي
كما ذكرنا والله سبحانه وتعالى اعلم وولي بعده الملك والخلافة ولده ابو عبد الله محمد
ولقبه المهدي ثالث من ولي الامر من بني العباس وقام بالبيعة له بمكة المشرفة لما
مات ابوه الربيع بن يونس الحاجب واسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر
في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان

قسم

سلطنة

المنصور امير المؤمنين عبد دعي فاجاب وامر فاطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال لقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة ولقد فارقت عظيما وقلدت جسيما
فعند الله سبحانه وتعالى احتسب امير المؤمنين وبه استعين علي تقليد امور
المسلمين فنزل فبايعه الناس وامر جمع بين تعزية وتهنية ابو دلامة الكوفي فقال

عيناي واحدة ترى مسرورة ● بامير ها جذلى واخرى تذرف
تبكي وتضحك تارة ويسوءها ● ما انكرت ويسرها ما تعرف
فيسوؤها موت الخليفة محرما ● ويسرها ان قام هذا الخلف
ما ان رايت كما رايت ولا ارى ● شعرا اسرحه واخر انتف
هذا حباه الله فضل خلافة ● ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه ابوه طبرستان والري وما يليهما فتادب
وتميز وجالس العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان
يقول ادخلوا العلماء والقضاة واحضروهم عندي فلو لم يكن حضورهم
الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا وقدم عليه مروان بن ابي
حفصة الشاعر فانشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا ● مسيرة شهر ثم شهر نواصله
وما نحن نخشى ان يخيب مسيرنا ● اليك ولكن اهنأ البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيت قصيدتك قال سبعون بيتا فامر له بسبعين الف درهم
قبل ان يتم انشادها وله شعر لطيف يفوق حسن شعر ابيه واولاده بكثير ومنه ما ذكره
الصولي وهو

ما يكف الناس عنا ● ما يريد الناس منا

انما همهم ان ۝ ينبشوا ما قد دفنا ۝
لو سلكنا بالظن الارض ۝ لكانوا حيث كنا ۝
ان رأوا او كشف امر ۝ قد سترناه كشفنا ۝

ومن نظمه هذا البيت من عدة ابيات نظمها في جارية كان يحبها حبا شديدا وهو
قوله ۝ اما يكفيك انك تملكيني ۝ وان الناس كلهم عبيدي ۝

وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروي الحديث فقال روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا سبق الا في خف او حافر او نصل وزاد فيه او جناح
ففهم المهدي انه وضع له هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجبه بالرد تأدبا وامر له بعشرة الاف درهم فلما قام المهدي قال
اشهد ان قفاك قفا كذاب ثم امر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت ذكره
غير واحد من علماء الحديث منهم الحافظ السيوطي وكان نقش خاتم المهدي
الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن
مروان بن محمد وكان جملتها اثني عشر الف عدل ثياب خز فاخرج منها ثوبا واحدا
ودعا الخياط وقال له فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي
فقال لا يجيء منه جبتان فقال فصل منه جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج
منها ثوبا اخر فلما افضت الخلافة الى ولده محمد المهدي امر بتلك البيت بكمالها بعينها
ففرقها جميعا في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير
اللهو والصيد الا انه كان يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا واوصى
ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم قال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة

ومائة

مطلب حمل الثلج الى مكة المشرفة

ومائة وفيها حج المهدي العباسي وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى
وافى به مكة المشرفة وهذا شيء لم يتم لاحد قبله ونزل المهدي دار الندوة
وجاءه عبد الله بن عثمان بن ابرهيم الحجبي في ساعة خالية وسط النهار
فادخل عليه فقال ان معي شيئا لم يحمل الى احد قبلك وكشف له عن الحجر الذي
فيه موضع قدم خليل الله ابرهيم عليه السلام فسر المهدي بذلك وقبله وتمسح
به وصب فيه ماء فشربه وارسله الى اهله واولاده فتمسحوا به وشربوا
الماء منه ثم احتمله واعاده الى مقام ابرهيم عليه السلام واعطاه المهدي اموالا
كثيرة واقطعه ضيعة بوادي نخلة يقال لها ذات القريع فباعها بعد ذلك
بسبعة الاف دينار وذكر حجبة الكعبة للمهدي انه تراكمت على الكعبة كسوة
كثيرة اثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فامر بنزعها فنزعت حتى بقيت
مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامتها من
اليمن فجردت الكعبة منها وطلى جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك
والعنبر وصعد الخدام على سطح الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية
والمسك والعنبر والغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة من الجوانب
الاربع وتعلقوا بالبكرات التي تحاط عليها ثياب الكعبة وهم يمسحون الطيب على
الكعبة الى ان استوعبوها ثم كسيت ثلاث كساوي من القباطي والخز والديباج

مطلب مقدار صدقة المهدي

وقسم المهدي في الحرمين الشريفين اموالا عظيمة وهي ثلاثون الف الف درهم
ووصل بها معه من العراق وثلاثمائة الف دينار وصلت اليه من مصر ومائة
الف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة الف ثوب وخمسون الف ثوب ففرق جميع

ذلك على اهل الحرمين واستدعي قاضي مكة يومئذ وهو محمد الاوقص
محمد بن عبد الرحمن المخزومي وامره ان يشتري دورًا في اعلا المسجد ليهدمها
ويدخلها في المسجد واعد لذلك اموالا عظيمة فاشترى القاضي المذكور جميع
ما كان قرب المسجد الحرام والمسعى من الدور فما كانت من الصدقات والاوقاف
اشترى للمستحقين والمسجد الحرام بدلها دورًا من فجاج مكة المتفرقة واشترى
كل ذراع مكسر في مثل ما دخل في المسجد الحرام بخمسة وعشرين دينارا وما دخل في
مسيل الوادي بخمسة عشر دينارا وكان مما دخل في الهدم دار الازرقي وهي
يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من اعلاه على يمين الخارج من باب بني شيبة
وكان ثمن ناحيته ثمانية عشر الف دينار وكان اكثر ما دخل في المسجد من دار
عبد الله بن الزبير ودخلت ايضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها
ثمانية واربعين الف دينار دفعت اليها وكانت شارعة في المسعى يومئذ
قبل ان يؤخر المسعى ودخلت ايضا دار لال جبير بن مطعم ودار شيبة بن
عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وادخل في المسجد وجعل دار القوارير حينئذ
بين المسجد الحرام والمسعى ثم استقطعها جعفر البرمكي من الرشيد لما آلت
الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت لحماد البربري فعمرها وزين باطنها
بالرخام وظاهرها بالقوارير والفسيفساء قلت وتداولت الايدي
عليها بعد ذلك الى ان صارت رباطين متلاصقين احدهما كان يعرف
برباط المراغي والثاني يعرف برباط السدرة واستبدلهما السلطان قايتباي
فبناهما مدرسة ورباطا في سنة ٨٨٣ ثلاث وثمانين وثمانمائة ووقف عليهما

[illegible]

مسقفات

مسقفات بمكة واوقافا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانها
غير انه شرع في اوقافه الخراب لاستيلاء الايادي العادية عليها عمرها الله تعالى
من عمرها واحسن الى من احسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدي
في اعلا المسجد الحرام كذلك وفي اسفله الى ان انتهى الى باب بني سهم ويقال له
باب العمرة والى باب الخياطين ويقال له الآن باب ابرهيم وكذلك زاد من
الجانب اليمني الى منتهاه الآن وكذلك زاد في الجانب اليماني ايضا الى قبة
الشراب وتسمى الآن قبة الزيت والحاصل الزيت وكان بين جدر الركن
اليماني وجدر المسجد الحرام الذي يلي الصفا بسبعة واربعين ذراعا ونصف
ذراع وكان وراءه ما مسيل الوادي فهذه الزيادة كلها الزيادة الاولى
للمهدي وامر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت الى جدة
في موضع كان في ايام الجاهلية ساحلا لمكة يقال له الشعيبية فجمعت
هناك الآن مرساة قريب من الفوند رجعت الآن مرساه الذي تقف فيه السفن
بعيدا عن البر وصارت اساطين الرخام تحمل منها على العجل الى مكة ويتحافى
بها العربان الى الآن وبقي الى بقايا اساطين رخام دفنها الريح في الرمل
والله سبحانه اعلم بحقيقة ذلك وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث احفر
لها في الارض جدرانا على شكل الصليب في مواكل اسطوانة على موضع التقاطع
وكشف عنه السيل العظيم الواقع في سنة ٩٠٣ ثلاث وتسعمائة فشاهدنا
اساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عملهم الى سنة ١٦٤ اربع وستين ومائة
فحج المهدي في ذلك العام وشاهد الكعبة ليست في وسط المسجد بل في جانب

منه ورأى المسجد قد اتسع من أعلاه وأسفله من جانبه الشامي وضاق من
الجانب اليماني الذي يلي مسيل الوادي وكان في محل المسيل الآن بيوت
الناس وكانوا يسلكون من المسجد في بطن الوادي ثم يسلكون زقاقا ضيقا
ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى في موضع المسجد الحرام وكان باب دار محمد
ابن عباد بن جعفر العابدي عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة
الشارعة في نحو الوادي فيها علم المسعى وكان الوادي يمر دونها في بطن المسجد
اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العابدي وجعلوا المسعى والوادي
فيها وكان عرض الوادي من الميل الاخضر الملاصق للمأذنة التي في الركن
الشامي للمسجد الى الميل الاخضر الآخر الملاصق الآن لرباط العباس وكان
هذا الوادي مستطيلا الى اسفل المسجد الآن يجري وفيه السيل ملاصقا بجدار
المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب الشمالي فلما رأى المهدي تربيع
المسجد ليس على الاستواء ورأى الكعبة في الجانب اليماني من المسجد جمع المهندسين
وقال اريد ان ازيد في الجانب اليماني من المسجد لتكون الكعبة في وسط المسجد
فقالوا لا يمكن ذلك الا ان تهدم البيوت التي على حافة المسيل في مقابلة
هذا الجدار اليماني من المسجد وينتقل المسيل الى تلك البيوت ويبطل الحبل
في المسجد كما قدمناه ومع ذلك فان وادي ابرهيم له سيول عارمة وهو واد
صعب نخاف ان حولناه عن مكانه ان لا يثبت اساس البناء فيه على ما تريد
من الاستحكام فتذهب به السيول وتعلو السيول فيه وتنصب في المسجد
ويلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة ولعل ذلك لا يتم فقال المهدي لابد

ان

مطلب زيادة المهدي الثانية

ان ازيد هذه الزيادة ولو انفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت
نيته واشتدت رغبته فصار يكلم به فهندس المهندسون ذلك بحضوره
وربطوا الارماح ونصبوها على اسطحة الدور من اول الوادي الى آخره
وذرعوا المسجد من فوق الاسطحة وطلع المهدي الى جبل ابي قبيس وشاهد
تربيع المسجد ورأى الكعبة في وسط المسجد ووراء ما يهدم من البيوت ويجعل
مسيلا ومحلا للسعي وشخصوا له ذلك بالارماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا
له ذلك مرة بعد اخرى حتى رضي به ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة
لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظيمة وهذه هي الزيادة
الثانية للمهدي في المسجد الحرام وهذا ملخص ما ذكره الازرقي والفاكهي والحافظ
نجم الدين عمر بن فهد في تواريخهم وههنا اشكال عظيم ما رأيت من تعرض له

مطلب اشكال عظيم للمؤلف

وهو ان السعي بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التي اوجبها الله
علينا في ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعبد بهذه العبادة
الا في هذا المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ما ذكره
هؤلاء الثقاة ادخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحول ذلك المسعى الى دار
ابن عباد كما تقدم واما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض
من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره فكيف يصح السعي فيه
وقد حول عن محله كما ذكره هؤلاء الثقاة ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك في بعض
عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وادخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها

للمسعى فيه ولم يتحول تحولاً كلياً والا انكره علماء الدين من الائمة المجتهدين مع
توفرهم اذ ذاك وكان ابو يوسف ومحمد بن الحسن والامام مالك بن انس موجودين
يومئذ وقد اقروا ذلك وسكتوا عليه وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في رتبة
الاجتهاد كالامام الشافعي واحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضي فكان اجماعاً منهم
على صحة السعي من غير نكير نقل عنهم وبقي الاشكال في جواز ادخال شيء من المسعى في المسجد
وكيف يصير ذلك مسجداً او كيف يصح حال الاعتكاف فيه وحله بان يجعل
حكم المسعى حكم الطريق العام وقد قال علماؤنا يجوز ادخال الطريق في المسجد اذا لم يضر
فاعلم
باصحاب الطريق فيصير مسجداً ويصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى
ذلك وهذا ما تعرضت لبيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه والشكر على
انعامه وامتنانه **فصل** ومما يلائم ما نحن فيه من عجيب ما نقل
من التعدي على المسعى الشريف واغتصابه ما وقع قبل عصرنا هذا بنحو مائة عام
في ايام دولة ملوك الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباي المحمودي
ومحصله انه كان له تاجر يستخدمه قبل سلطنته كان مقرباً منه في زمان
امارته اسمه الخواجا شمس الدين محمد بن عمر بن الزمن وكان مقرباً منه بعد سلطنته
ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته ومآثره الجميلة ولعقيدته في العلماء
والصلحاء واتصافه بطلب العلم ايضاً وكان السلطان قايتباي ارسله
الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له بمكة مدرسة وليعمر جانباً من الحرم الشريف ومن
الحجر الشريف ومن جوف الكعبة وهو الذي امره بعمارة المسجد ورفع السقف
بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ٨٨٦ ست وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة

التي

التي في المدينة المنورة واجرى عين الزرقاء بالمدينة المنورة وعين خليص من
طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير ان
حب الجاه ونفاذ الامر اوقعه فيما نذكره وهو انه كان بين الميلين ميضأة
امر بعملها السلطان الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن بن قلاوون وكان
في مقابلة باب علي بين بيت هاشم الشرقي بيوت الناس ومن الغربي المسعى الشريف
ومن الجنوب مسيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن
الشمال دار العباس رضي التي هي الآن رباط لسكنى الفقراء فاستأجر
الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وهدم من جانب المسعى الشريف
مقدار ثلاثة اذرع وحفر اساسه ليبني بها رباطاً لسكنى الفقراء فمنعه من
ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي
برهان الدين ابرهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي
ابرهيم المذكور محضراً عاماً فحضره علماء المذاهب الاربعة ومن جملتهم
مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ
والشيخ شرف الدين محمد بن عيسى الحنفي والقاضي علاء الدين الزواوي
الحنبلي وبقية العلماء المالكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين
ابن الزمن وانكر عليه جميع الحاضرين وقالوا في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة
وثلاثين ذراعاً واحضروا النقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد
الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن اساسه فكان سبعة وعشرين ذراعاً فقال
ابن الزمن انه قصد نفعاً للحجاج ولجميع الناس فقال له القاضي امنعك الآن لانك

مباشر في هذا الحال لهذا العمل والفعل الحرام وابن الغير بان التعدي
وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنايين والعمال من
العمل وارسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلما الى السلطان قايتباي
وكتب ابن الزمن ايضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام في مساعدة
من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباي
نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابرهيم والخضيري المنصب وامر امير الحاج
ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان امير الحاج شيبك
الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانماية ووقف بنفسه بالليل
واوقدوا المشاعل وامر البنايين والعمال خوفا من الطالب العامة عليهم
فبنوه الى ان صعد وابه وجه الارض ثم جعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا
وبنى في جانبه دارا وحفر الميضاة وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل
في جانب الميضاة مطبخا يطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على
ذلك عدة امكنة ومزارع بمصر واستمر الحال ثم انقطع ذلك المطبخ في عهد
وبيعت القدور بل الدور وبالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه من فضله
وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين وكيف طاب له فيه الثواب وكيف
تعصب له سلطان عصره الاشرف قايتباي مع انه احسن ملوك الجراكسة
عقلا ودينا وخيرية وهو يامر بفعل هذا المحرم والامر المجمع على حرمته في
مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن
منكر ظاهر الانكار فرحم الله تعالى الجميع وسامحهم وغفر لهم واين هذا مما

حكي

حكي عن كسرى انوشروان العادل وهو من اهل الكفر انه لما اراد المهندسون تربيع
ايوانه بادخال قطعة ارض لعجوز بعد ان بذلوا لها اضعاف ثمن ارضها
فابت فامر بعدم التعرض لارضها فبقي في ايوانه ازورار الى ذلك الزمان فقال هذا
الازورار خير من الاستقامة فصار ذلك مثلا يذكر بعد الوف من السنين ومما
قيل وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن روى

فصل قال الحافظ نجم الدين بن فهد في حوادث سنة سبع وستين وما
ماملخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة الثانية
فيه للمهدي فهدموا اكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها
وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وحرفوا الوادي من موضع الدور
حتى وصلوا الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الان الطريق
الذي يمر منه الى دور السادة الاشراف امراء مكة المشرفة وابتدوا من
باب بني هاشم من اعلا المسجد ويقال له الان باب علي رضي الله عنه ووسع المسجد
الى اسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب بابا في المسجد يعرف الان
بباب حزورة ويحرفونه العوام ويسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد
على مجرى الوادي ودخل الى المسجد خرج من هذا الباب الى اسفل مكة فاذا
طغى غير ذلك خرج من باب الخياطين ايضا ويسمى الان باب ابراهيم عليه السلام
فيمر السيل ولا يصل الى جدر الكعبة من الجانب اليماني فكان من جدر الكعبة
الى الجدر اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة واربعون ذراعا ونصف
ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من جدار المسجد اولا

الى الجدار الذي عمل آخر وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد الحرام
غاية الاتساع وادخل فيه قرب الركن اليماني في المسجد الحرام اسفله دار ام
هاني بنت ابي طالب رضي الله عنها ويقال الآن للباب الذي فتح هناك باب ام هاني
لان دارها كانت بقرب هذا الباب ودخل في المسجد الآن فمن هذا الباب
يدخل الى المسجد اشراف مكة آل الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكانت
عند دار ام هاني رضي الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب احد اجداد النبي صلى
الله عليه وسلم فدخلت تلك البئر ايضا في المسجد وحفر المهدي عوضها
بئرا خارج باب الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء الى الآن
ومن ابواب المسجد الحرام اسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لان زوار
المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد ويقربونه بالنسبة الى الدخول
الى المسجد من اعلا مكة كما هو السنة الشريفة وسياتي ذكر بقية ابواب
المسجد عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله تعالى سلطنتهم
واستمر البناؤون والمهندسون في بناء هذه الزيادة ووضع العمد الرخام
وتسقيف المسجد الحرام بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا في نفس الخشب
كما ادركناه وكان في غاية الصفا والزخرفة والاحكام باقيا فيه لون
اللازورد في غاية الصفا والترويق بالنسبة الى اللازورد في هذا الزمان
واستمر عليهم المذكور الى ان توفي المهدي لثمان بقين من المحرم الحرام سنة
تسع وستين ومائة قبل ان يتم عمارة المسجد الحرام على الوجه الذي اراد
وكان مولده في جمادى الآخرة سنة ١٢٨ ثمان وعشرين ومائة ومدة ملكه

احد

مطلب ولاية موسى الهادي

احد عشر سنة وشهر فعاش ثلاثا واربعين سنة وعقد الامر لولده
موسى الهادي فصل في ولاية ابي محمد موسى الهادي بن المهدي
ابن المنصور العباسي ولد بالري في سنة سبع واربعين ومائة وامه
ام ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده
بجرجان وقد عهد له ابوه بالخلافة فاخذ له البيعة اخوه هرون الرشيد
لما مات ابوه لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله
احد في مقدار سنه وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد ولما بويع
له بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويل الجسم ابيض وشفته
العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فيتم فمه مفتوحا
فوكل ابوه في صباه خادما كلما راه مفتوح الفم قال له موسى اطبق فينتبه
على نفسه ويضم شفتيه فلقبه الناس موسى اطبق فعرف بهذا اللقب
وكان وصاه ابوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان سمحا
كريما يعجبه المدح دخل عليه مروان بن ابي حفصة فانشده قصيدة في مدحه فلما
بلغ الى قوله تشابه يوما بؤسه ونواله فما احد يدري لايهما الفضل
قال له الهادي قبل ان يتمم ايما احب اليك ثلثون الفا معجلة او مائة
الف مؤجلة فقال بل ثلثون الفا معجلة ومائة الف مؤجلة فقال اجعلها كلها لك المعجلة
والمؤجلة فعجلت لك كلها وامر له بمائة الف ووفد عليه ابراهيم الموصلي بقصيدة
اولها قوله سليمى ازمعت بينا فاين لقاؤنا اينا
فاعطاه سبعمائة الف درهم وكان اكمال المسجد الحرام اول شيء امر به

معجلة

المهدي وبادر الموكلون بذلك الى اتمامه وكملوه الى ان اتصل بعمارة المهدي
وبنوا بعض اساطين الحرم الشريف من جانب باب ام هانئ نوح بالحجارة
ثم طليت بالجص فكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي ولكن
في امر الاستحكام والزينة والاهتمام ولما كملت عمارة المسجد الحرام
على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا
زيادتان نشرحهما ان شاء الله تعالى وهذه الاساطين الرخام جابها المهدي مصر
من بلاد مصر والشام واكثرها مجلوب من بلاد اخميم من اعمال مصر وهي بلدة خراب والى
الآن من بلدان اقليم مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر وفي
غيرها والله اعلم ولم تطل مدة الهادي وكانت مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي
شابا بعمره اربع وعشرون سنة في منتصف شهر ربيع الاول سنة سبعين
ومائة واختلف في سبب موته فقيل انه وقع بديماله فتعلق به فوقعا
معا في مقصبة فدخلت قصبة في مخارجهما فماتا جميعا وقيل ان قاتلته
امه الخيزران لانه عزم على قتلها وارشد قتل اخيه هرون الرشيد ولي
العهد وولد صغيرا من اولاده عمره عشر سنين وكانت امه الخيزران قد
استبدت بالامور العظام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادي
عن ذلك وقال لئن وقف امير على بابك ضربت عنقه اما لك مغزل
يشغلك او مصحف او سبحة فقامت من عنده غضبى فبعث اليها طعاما
مسموما فاطعمته لكلب فانتثر لحمه فعملت على قتله لما وعك وامرت جواريها
بان يغموا وجهه بالبساط وجلسن على جوانبه فانسد نفسه الى ان مات وروي

مطلب ولاية هرون الرشيد

الخلافة بعد موت اخيه الهادي هرون الرشيد العباسي الخامس من العباسيين ليلة
السبت لاربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة
ومولده بالري لما كان ابوه اميرا عليها وعلى خراسان سنة ثمان واربعين ومائة ١٤٨
وامه الخيزران ام الهادي وفيها قال مروان بن ابي حفصة الشاعر
يا خيزران هناك ثم هناك ❊ اضحى يسوس العالمين ابناك ❊ وكان فصيحا
بليغا اديبا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفي ذلك يقول بعض شعرائه
فمن يطلب لقاءك او يرده ❊ ففي الحرمين او اقصى الثغور ❊
وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما في عام واحد وكان يصلي
في خلافته كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بالف
درهم ويحب العلم واهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسي
انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان
ياتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان يبكي على نفسه
وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه ابو يوسف يعقوب صاحب الامام الاعظم
فكان يعظمه كثيرا ويمتثل امره ويروى عن ابي معوية الضرير قال اكلت
مع الرشيد يوما ثم صب على يدي من لا اعرفه ثم قال الرشيد اتدري
من يصب عليك قلت لا قال انا اجلالا للعلم واراد الرشيد ان يوصل ما بين
بحر الروم والقلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد
البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفاين الروم ارض العرب واختطفوا المسلمين
من المسجد ومن المسجد الحرام فتركه وكانت ايامه ايام خير كانها اعراس

وله اخبار في اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن
لا تستقصى واسند الصولي عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد في
السنة التي ولي فيها الخلافة الى اطراف الروم فغزا اهلها وظفر وعاد وحج
بالناس اخر السنة وفرق بالحرمين مالا كثيرا وكان راى النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم فقال له ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاغز وحج
ووسع على اهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد اول خلافته ذكر ذلك
الحافظ السيوطي وغيره قال الحافظ النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ١٧٠ سبعين ومائة
فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على
اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التي حج فيها ماشيا هي
حجة في سنة سبع وسبعين ومائة قال وفي بعض حجات هرون الرشيد
اخلي له المسعى ليسعى فيه فتعلق ببغلته وهو يسعى ابو عبد الرحمن عبد
الله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضه فوقف له هرون واقبل
عليه فصاح به يا هرون فقال لبيك قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال
ارم بطرفك الى البيت الشريف قال قد فعلت قال كم هم يعني الحجاج او
يحصيهم الا الله تعالى قال اعلم ايها الرجل ان كل واحد من هذه الخلايق يسأل
عن خاصة نفسه ويسأل عنهم وحده يوم القيمة قال اما انت وحدك فتسأل
عنهم اجمعين فانظر كيف جوابك حين تسأل يوم القيمة فبكى هرون بكاء
شديدا وجلس وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبكي
فقال له واخرى اقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل اذا اسا التصرف

مطلب حج هرون الرشيد ماشيا

يا عم

في ماله حجر عليه فكيف بمن اسرف في مال المسلمين وتسبب التقصير فيه وانت
تحاسب بين يدي الله تعالى على جميع ذلك فازداد بكاؤه وكثر نحيبه واراد
جنده ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصايحه وقام عنه
بنفسه وهرون يبكي ويتضرع ويستغفر الله سبحانه

فصل

وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران ام الرشيد والهادي الى مكة فاحجت
في سنة احدى وثمانين ومائة ١٧١ فاقامت الى ان حجت به وعمرت الخيزران الحجرات
واشترت دورا بالصفا الى جانب دار الارقم المخزومي التي تشتمل على مسجد نور
يقال له المختبي لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خفية
في صولة المشركين في اول البعث واسلم فيه جماعة من الصحابة رضي ولما اتم الله
نعمته واظهر الاسلام وفيه الآن قبة تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشترتها
الخيزران متصلة بهذا المزار الشريف وتسمى الى الآن دار الخيزران وكانت
قد آلت الى بعض الاشراف من بني حسن ثم اشتراها صاحبنا المرحوم
المغفور المبرور المحسن الكريم الامير المأمور باجراء عين عرفة الى البلد المعمور
الباذل نفسه وماله واولاده في سبيل الله لنيل المثوبات والاجور دفتردار
مصر سابقا صاحب اللواء السلطاني المنصور السعيد الشهيد المشهور
المذكور بالاحسان الى يوم النشور ابرهيم بيك بن تغري بردي المحسن
اسكنه الله سبحانه في دار القرار جنات عدن تجري من تحتها الانهار ثم ملكها
عن المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم حسين افندي ناظر الصدقات السلطانية
حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالمين ذي الخلق الحليم والطبع

وسبعين

الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله تعالى الى جنات النعيم وملكه
ملكا اعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاه زاده يومئذ قبل ان يلي تخت
السلطنة العظمى ففرح بها كثيرا واستبشر بها وبحصولها ونوى ان ينشئ
فيها عمارات وخيرات وجهات تصرف الى الفقراء بهذه الجهات فلم يقعد
على ذلك وزاحمه امور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد
قبرس وغيرها ولم يمكنه الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغادر الغاشم
ولكن حصل له ثواب ما نواه من الخيرات والعمارات بالنيات وان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فصارت هذه الدار من املاك ملك
العصر والزمان **قلت** ولم اطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر
شيئا في ايامه من المسجد الحرام غير ان عامله بمصر موسى بن عيسى اهدى
الى مكة منبرا منقوشا مكلفا له تسع درجات فجعل في المسجد الحرام واخرج
المنبر القديم الذي يخطب عليه بمكة ووضع في عرفة وذلك في اواخر ايام الرشيد
في سنة ١٧٠ **وقيل** في سنة ١٥١ من الهجرة ووصل الى مكة منبر صغير له ثلاث
درجات ووضع في وجه البيت فخطب عليه معوية بن ابي سفيان رضي الله عنه **وهو** اول
من خطب بمكة المشرفة على منبر **وكانت** الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون
قياما على اقدامهم في وجه الكعبة وفي الحجر الشريف **قال** ابو الوليد الازرقي
حدثني جدي عن عبد الرحمن بن حسن عن ابيه قال اول من خطب بمكة على منبر
معوية بن ابي سفيان وساق ما قدمناه في ذلك ثم قال وذلك المنبر الذي
جاء به معوية ربما خرب وكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فاتى بمنبر

مطلب

له

له تسع درجات وخطب عليه فكان بمكة لم يغير الى ايام الواثق بالله العباسي
فاراد ان يحج فامر ان يعمل له ثلاث منابر منبر بمكة ومنبر بمنى ومنبر
بعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على اهلهما مالا كثيرا **وفي**
ايامنا التي ادركناها من الشباب الى المشيب تشاهد هذه المنابر عملها سلا
عصرنا وسنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى **فصل** اعلم ان من تحقق
العقل ولا يذهب عنه الا الابله ان الدنيا دار الاكدار ومحل الهموم والغموم
والحسرات وان اخف الخلق بلاء والما الفقراء واكثرهم تعبا وهما وغما
هم الملوك والامراء والكبراء **ويقال** لكل شبر من السرور قامة من الهموم
وهذا ليس بخاف على العقلاء **وقيل** شعر

لقد قنعت همتي بالخمول • وصدت عن الرتب العاليه •
وما جهلت طيب طعم العلى • ولكنها تؤثر العافيه •

وقيل ايضا

بقدر الصعود يكون الهبوط • فاياك والرتب العاليه •
وكن في مقام اذا ما وقعت • تقوم ورجلاك في عافيه •

وطالما رضيت الملوك والسلاطين بحال الفقراء والضعفاء والمساكين
شعر في كل بيت كربة ومصيبة • ولعل بيتك ان رايت افرغها •
فارض بحال فقرك واشكر الله تعالى على خفة ظهرك ولا تتعد طورك وقف
على حدك يجود لك نعمة وعافية ساقها الله تعالى اليك ورافة ورحمة
افاضها الله تعالى من خزاين لطفه عليك فاعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك

منبر

طين

الغافل

والحزن الافكار

حظا وافرا من هذه اللفظات وذلك ان هرون الرشيد من اعقل الخلفا
العباسيين واكملهم رايا وتدبيرا وفطنة وقوة واتسع مملكة وكثرة
خزاين بحيث كان يقول للسحاب امطري حيث شيت فان خراج الارض التي تمطر
فيها يجبى الي ومع ذلك كان اتعبهم خاطرا واشتتهم فكرا واشغلهم قلبا
وكان من اولاده محمد الامين من زبيدة بنت ابي جعفر المنصور فقسم هرون
الرشيد مملكته بين ولديه محمد الامين وعبد الله المامون وكانت زبيدة
قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف ارادت وكان ولدها منه
محمد الامين شديد الترف والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله
لا يصلح للملك ولا يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سودا اسمها
مراجل من جوار المطبخ ماتت في نفاسها وهو عبد الله المامون اتم عقلا واكمل
رايا واصلح تدبيرا واكثر فضلا ومعرفة فيه صلاح لتدبير الملك واهلية
لان يصير خليفة غير انه في خلافته وما قدر ابوه ان يجعله ولي عهده
بعده محاذرة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل محمد الامين ولي عهده
في سنة ١٧٥ ولقبه بالامين وعمره يوميذ خمس سنين بحرص امه زبيدة
على ذلك وجعل عبد الله المامون ولي العهد بعد محمد الامين في سنة ١٨٢
وولاه ممالك خراسان باسرها وعهد بالولاية الى القاسم في سنة ١٨٦ وولاه
الجزيرة والثغور وهو صبي ولقبه المؤتمن فقسم مملكته بين هولا الثلثة
فقال العقلاء لقد القى بينهم باسهم واضر الرعية بهم قال عبد الله بن صالح
● الله قد كان هرون فاضلا فقد ● لما اصطفاه فاحيي الدين والسنا ●

وقدم

● وقدم الامر هرون الرافقة ● بنا امينا ومامونا ومؤتمنا ●
وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه اميا فاراد
الله تعالى خلاف ما اراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المامون
وصارت الخلافة بعد المامون الى محمد المعتصم ساقها الله سبحانه اليه وجعل
الخلفا كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من اولاد الرشيد وان الملك
بيد الله يوتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع
الجموع وامرهم بمبايعة اولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب
بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ● ووضع الاعيان والاكابر والاركان والامرا
خطوطهم عليه وجهزه الى بيت الله الحرام وامر بتعليقه في وسط الكعبة ليشتد
الوثوق به ولا يقع خلافه والله سبحانه غالب على امره وفي ذلك قال ابراهيم الموصلي

● خير الامور مغبة ● واحق امر بالتمام ●
● امر قضى احكامه ● مولاي في البيت الحرام ●

ولم يفد ذلك التدبير ● عما رقمه قلم القدير في لوح المقادير والله على كل شي قدير وقال
القايل ● ولو كانت الدنيا تنال بفطنة ● وتدبير امر نيل اعلا المراتب ●
● ولكنها الاقدار تجري بقدرة ● من الله لا يجري بتدبير طالب
قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي ذكر محمد بن الصباح الطبري ان اباه
شيع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل يحادثه في الطريق ويشكو
الرشيد همومه ويتنفس عنده نفثات الصدور الى ان قال له يا صباح
اظنك لا تراني بعد هذا اليوم فقلت بل يطيل الله عمر امير المومنين فنعزيه بالدعا

وبعيش بها لما من الاوان فقال انك لا تدري ما اجد فقلت لا والله فقال انعال حتى
اريك ما اخفيه عن غيرك وتنحي عن الطريق واومى الى من معه بالتنحي عنه فبعد
عنهم وهم يرمقونه بطرف خفي ثم قال امانة الله يا صباح اكتم امري فقلت نعم
فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير عريض معصوبة على بطنه فقال هذه علة
اكتمها عن كل احد وحولي رقباء لكل واحد منهم والذي يعدون انفاسي على
مسرور رقيب المامون وجبريل بن بختيشوع رقيب الامين وفلان وعد
ثالث انسيته رقيب الموتمن وكل منهم يحصي انفاسي على ايامي ويستطيل
عمري وحياتي ويظهر ذلك الان منهم فاني اطلب منهم برذونا فياتوني
به اعجف ضعيفا يزيد في علتي وينغص علي مرضي ثم طلب منهم برذونا
لركوبه فاتوه ببرذون عاجز منقطع يتعب راكبه كما ذكره وهو يداريهم
ويصبر على ما يكابده فنظر الي نظرة حزين مكروب وركب على ذلك البرذون
فقبلت رجله وودعته وفي رقبته وهم ينظرون الى نظره خفت عاقبتها
وكفاني الله سبحانه شرهم واستمر الرشيد عليلا الى ان بلغ وفاته بطوس
انظر هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذي قل
ان يوجد له مثيل وهو عاجز في يد غلمانه مغلوب عليه في ملكه وسلطانه
متحسر على عظم شانه متاسف على علو مكانه سيد خزاين الارض
وما يملك منه نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على شي وكان ربك قديرا و
جرت المنية موسى الحمام على هرون ومزق ثياب رشد الرشيد مخالب المنون
وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته سماء الدموع بماء

الاجفان

الاجفان وحنطته بحنوط العمالة ولفت في خام خصاله وبطالته
ونقلته من سرير السعود الى لحود اللحود فمضى كان لم يكن شيا مذكورا
وكان امر الله قدرا مقدورا وقد حكي ان الرشيد كان راى مناما انه يموت
بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار
لنفسه مدفنا وقال احفروا الي القبر في هذا المحل فحفروا له وقال قربوني
الى ان ابصره فحملوه في قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وقال يا ابن
ادم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وامر ان ينزل الحفرة من يقرأ ختمة
فيه ففعلوا ذلك ثم مات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر بطوس لثلاث مضين
من جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ومائة ١٩١ وتقدم ان مولده بالري
١٤٨ سنة وكانت مدة مملكته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف شهر

فصل

لما توفي الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة ابيض
اللون فصيحا جميلا بليغا سي التدبير كثير التبذير ضعيف الراي ارعن
لا يصغي الى قول المشير ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر
جهارا وخلع العذار في العذارى واشترى غريب المغنية بمائة الف دينار
ولحن جارية من عمه ابرهيم بن المهدي بعشرين الف دينار وعزل اخاه
الموتمن وخلع اخاه المامون وارسل الى الكعبة المشرفة من جاء بصحيفة العهد
عهد والده له ولاخويه فمزقها وعهد الى ولد له رضيع سماه الناطق
بالحق ودعا له على المنابر وممن نصح الامين ومنعه من نقض العهد والنكث
حازم بن خزيمة فقال له يا امير المومنين لن ينصحك من كذبك ولم يغشك

الحشيشة

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في وحشة وفي انس
العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في ماتم وفي عرس
يضحكنا القائم الامين ويبكينا وفاة الرشيد بالامس
بدر ببغداد بات في رغد وبات بدر بطوس في الرمس

مطلب عهد الامين بن الرشيد

علامة

من صدقك واني انصحك واصدقك فلا الذنب في نصحك الا تجري القواد على
الخلع فيطيعون والا تحملهم على نكث العهد فينكثون عهدك فان الغدر شوم والناكث
منكوث مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب
اليه ورقة النفوس له ولذلك عنا تأثير في الطبع الظاهر فابى الامين عنه وبعد
كلامه وعمل برايه السقيم وصمم على ذلك اشد تصميم وارسل جيشا مع علي
ابن عيسى على اخيه المامون عدتهم اربعون الفا وارسل المامون لقتالهم طاهر
ابن الحسين ومعه اربعة الاف مقاتل فانهزم علي بن عيسى وقتل وفرح ونهبت
عساكره وجاء طاهر بن الحسين براسه الى المامون وكم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله فقوي قلب المامون لذلك وكثر اتباعه ومال الناس
اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال اخيه الامين ولا زال امر اخيه المامون
يحسن بحسن تدبيره وانقياد الناس اليه ويضعف امر الامين بكثرة لهوه
وتقصيره ونفور القلوب عنه الى ان حصر في بغداد وتفرق عنه جنوده
وهربوا عنه الى المامون كل ذلك والامين في لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه
بحضرته واحتجابه عن اهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل بغداد
فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو في جنب حوض ماء مع جواريه يصيد معهن
السمك في ذلك الحوض وكان وضع في انف كل سمكة درة نفيسة مشبكة بقصب
الذهب فكان من جواريه سمكة كانت الدرة التي في انفها لهن بيدها
فرفع الامين راسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد
فقال دعني فان الجارية فلانة صادت سمكتين وانا ما صدت شيا فرجع مسرور خائبا

واذا

واذا بالجند قد احاطوا بدار الخلافة ونهبوها وامسك طاهر بن الحسين
الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين
يا طاهر اعلم انه ما قام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر
لنفسك او دع يلوح بابي مسلم الخراساني وامثاله الذين بذلوا اموالهم
في قيام الدولة فكان ماله الى القتل وهذه عادة الله تعالى في مقيمي الدول
كعمرو بن عبيد الله ثم دولة عبد الملك بن مروان فقتله والى مسلم الخراساني القائم
بدولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين
قتله عبد الله المهدي وامثال ذلك كثيرة فيمن ذكر فاثرت هذه الكلمات في
قلب طاهر وصار يتحرز منه الى ان كان اخر اجله فقتله المامون بسببه
ولما راى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه وعدم سكون
الفتنة ادخل اعجميا لا يعرف اللسان على الامين وامرهم بقتله فقتلوه
واخذ راسه وطيف به في مدينة بغداد وينادى عليه هذا راس المخلوع
الى ان سكنت الفتنة وكان ذلك في المحرم ١٩٨ سنة ثمان وتسعين ومائة
قال محمد بن راشد اخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر
قال فطلبني في ليلة مقمرة مضيئة فقال اما ترى في حسن هذه الليلة وضوء
هذا القمر تشرب معي نبيذا فقلت نعم فسقاني ثم طلب جارية مغنية
فجاءت جارية اسمها ضعف فتطير من اسمها وغنت وانشدت وجعلت تقول
شعر الى ان بلغت الجحد: كليب لعمري كان اكثر ناصرا ... وايسر جرما منك ضرج بالدم
فتطير من ذلك فقال غني غير هذا فغنت وجعلت تقول

للاحباب بكاءُ
عداءُ

ابكي فراقهم يوماً فارقني • ان التفرق للاكباد فطّار •
ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم • حتى تفانوا وريب الدهر غدار •

فقال له لعنك الله تعالى اما تعرفين غير هذا فقالت •

اما ورب السكون والحرك • ان المنايا كثيرة الشرك •
ما اختلف الليل والنهار وما • دارت نجوم السماء في فلك •
الا لنقل السلطان عن ملك • قد زال سلطانه الى ملك •
وملك ذو العرش دائماً ابداً • ليس بفان ولا بمشترك •

فقال لها قومي لعنك الله تعالى فقامت فعثرت في كاس بلور فكسرته فاذا يطرح فقال له يا ابرهيم ما اظن امري الا قد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقام مغتماً وقر عينه فلما بعد ليلتين قتل وعظم قتل الامين على المامون وكان يريد ان يرسل به طاهر بن الحسين اليه ليرى رايه فيه فحقد ذلك على طاهر حتى عاش طريداً بعيداً وال امره الى ما ال والى الله تعالى المصير **فصل** لما تم على الامين ما تم وكان على امه زبيدة اشد ما تم انتقل الملك الى عبد الله المامون بعد قتل اخيه في سنة ثمان وتسعين ومائة وكان من رجال بني العباس حزماً وعلماً وحلماً وفراسة وفهماً **ولما** سمع الحديث على جماعة وتادب وتفقه وبرع في فنون التاريخ والادب كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الاوائل فضل واضل وامتحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من اكمل الخلفاء **وكان** يضرب المثل بحلمه ومن انصافه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم احق بالخلافة من غيرهم فهم بخلع نفسه

انا آمر

وتفويض

وتفويض الامر الى علي بن موسى الكاظم وهو الذي لقبه بالرضي وضرب الدراهم والدنانير باسمه وزوجه ابنته وامره بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولي عهده في الخلافة فاشتد ذلك على بني العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابرهيم بن المهدي ولقبوه المبارك فسار المامون عليه فهرب واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المامون في صفر سنة اربع ومائتين وتوفي علي بن موسى الرضي في سنة ثلاث ومائتين واسف عليه المامون واراد اقامة غيره **وذكر** الصولي ان بعض اصحابه قال له انك في بركة باولاد علي بن ابي طالب والامر فيك اقدر على برهم والامر فيهم وكلمه العباسيون في اعادة لبس السواد فابى فكرروا عليه ذلك الى ان اجابهم الى ذلك واعادوا لبس السواد **وكان** كثير الجماع وهو الذي فتح قرة محصار **وكان** كثير العبادة قيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثة وثلاثين ختمة **وكان** العلماء محن في ايامه بجبره لهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله تعالى **ويقال** ان سبب موته انه اشتهي اكلة سمكة تسمى الرعادة ان لمسها احد اخذته النفاضة من ساعته ولشدة بردها فاكل منها فمات لوقته ومن امن المامون من طوارق ريب المنون • ونقل من الملك الى هلاك جسمه المصون • وواراه التراب عن الاحباب وسالت عليه العيون • ورجع الى ربه الكريم فانا لله وانا اليه راجعون **وكانت** وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بارض الروم ودفن بطرسوس **وقد** قال ابو سعيد المخزومي • هل رايت النجوم اغنت عن المامون • او عن ملكه المانوس •

بين

وواراه

خلفوه بعرصتي طرسوس مثلما خلفوا اباه بطوس

مطلب خلافة المعتصم سنة ٢١٨

فصل لما مات المامون ولي بعده الخلافة ابو اسحق محمد المعتصم بالله ابن هرون الرشيد مولده سنة ثمان وثمانين ومائة وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن اولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية اعوام وعاش ثمانية واربعين سنة قال الصولي لقد كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال يا سيدي قد استراح من الكتاب قال يا ولدي ان الكتاب يبلغ منك هذا المبلغ وقال للمعلم اتركه لا تعلمه شيئا فانتشا عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرا قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من اشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها احد وهو اول من ادخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر الفا وبعث الى سمرقند وفرغانة اموالا لشراء الاتراك والبسهم اطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس وضاقت بهم البلد فشكا اهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك الاتراك عنا حاربناك قال كيف تحاربوني وانتم عاجزون عن حربي قالوا نرميك بسهام الاسحار ونسل عليك سيوف الدعاء فقال والله لا اطيق ذلك ولكن انظروني لانظر لكم ثم انتقل بهم اليها ولا تضروا بي وكفوا عني سهام دعائكم فبنى مدينة سر من راى تقرب

بغداد

مطلب غزوة عمورية

بغداد وانتقل اليها في سنة اثنين وعشرين ومايتين ٢٢٢ وللمعتصم غزوات مع الكفار من اشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها اليد البيضاء ونصر فيها الملة المحمدية نصرا عزيزا وخذل فيها الكفرة اعداء الدين واعز فيها الاسلام والمسلمين وملخصها ان ملك الروم ارسل كتابا الى المعتصم يتهدده فاستشاط غضبا وامر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شيء منه ومزق الكتاب الذي ورد عليه وامر ان يكتب في ظهر قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقراه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا ان الطالع نحس فقال هو نحس عليهم لا علينا وسار من يومه وتلاحقت العساكر ووقع حرب عظيم قتل فيه ستون الفا من الكفار واسر منهم ستون الفا وهرب ملكهم وتحصن بحصن عمورية فحاصره المعتصم ونازله الى ان فتحه واسر ذلك الملك الكافر وقتله وكان ذلك فتحا عظيما من اعظم فتوحات الاسلام ومدح الشعراء بقصائد طنانة واحسن ما قيل فيه قصيدة ابي تمام التي سارت بها الركبان وطنت حصاتها في الاسماع والاذهان وهي هذه القصيدة

السيف اصدق انباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب
اين الرواية بل اين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
ولو تبين امرا قبل موقعه ... ما يخف ما حل بالاوثان والصلب

لم ينحو

فتح تفتح أبواب السماء له ٭ وتبرز الارض من اثوابها القشب
تدبير معتصم بالله منتقم ٭ لله مرتقب في الله مرتغب
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد ٭ الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا ٭ من نفسه وحدها في عسكر لجب
عداك حر الثغور المستضامة عن ٭ برد الثغور وعن سلسالها الحصب
حتى تركت عمود الشرك منعفرا ٭ ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود اسود الغاب همتها ٭ يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن ٭ جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين صروف الدهر من رحم ٭ موصولة او ذمام غير منقضب
فبين ايامك اللاتي نصرت بها ٭ وبين ايام بدر اقرب النسب

انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذي يزري بجواهر العقود وتنزه في رياض الفاظه ومعانيه واجتن ثمار البلاغة من معاطف ازهاره ومجانيه وخذ بالحظ الوافي من ذوق تراكيبه ومبانيه وكان المعتصم من اغلاط الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من اعظم خلاله الرديئة مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل والعصبية وما كان اغناه هو واخوه عن الزام العلماء بهذه الجهليات عدوانا وبغيا وما لهم والدخول في هذه المسالك الضيقة ضلالا وغيا وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور بهذه الدنيا فانظر ماذا ذهبوا وذهب غرورهم وعزهم تركوا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم

ربك

ربك احدا ولما جرى عليه الاجل بسيف المنون ما عصم المعتصم ظهور الحصن ولا بطون الحصون ولا منعه حسام الحمام مال ولا بنون ومن بعض ما قيل شعرا

كل حي لاقي الحمام فمودي ٭ ما لحي مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيئا ولا تر ٭ عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر من شماريخ رضوى ٭ ويحط الصخور من هبود
ولقد تركت الحوادث والايام ٭ وهنا في الصخرة الجلمود
وانا كالزرع يحصدنا الدهر ٭ فمن بين قائم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويمضي ٭ ليس حكم الاله بالمردود
ليس ينجي من المنون حصون ٭ عاليات ولا احصار حديد

ومن احسن دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم اني اخاف من قبلي الامن قبلك وارجوك من قبلك الامن قبلي فيا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه وتوفي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين فصل وولي الخلافة بعد المعتصم ابنه ابو جعفر هرون ولقب الواثق بالله في تاسع شهر ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائتين ومولده لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة وامه ام ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه اشناس ولقبه بالسلطان وهو اول خليفة استخلف سلطانا والبسه وشاحين مجوهرين وتاجا مجوهرا وتبع اباه في الامر بخلق بالقول القرآن ثم رجع عن ذلك في اخر امره قال الخطيب كان القاضي احمد بن ابي داود قد استولى على الواثق وحمله على التشديد بنفسه

مطلب ولاية الواثق بالله هرون

بخلق القرآن فحمل اليه رجل ممن خالف في هذه المحنة والقاضي احمد بن
ابي دؤاد حاضر فقال الرجل وهو مكبل في الحديد اخبرني عن هذا الراي
الذي دعوتم الناس اليه هل هو شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس
اليه او هو شيء لم يعلمه فقال ابن ابي دؤاد بل علمه فقال الرجل وسع النبي
صلى الله عليه وسلم ان يسكت عنه وانتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق
وقام قابضا على فمه ودخل بيته ومد رجله وهو يقول وسع النبي صلى
الله عليه وسلم ان يسكت عنه ونحن لا يسعنا وامر ان يعطى الرجل ثلاثماية
دينار وان يرد الى بلده ولم يمتحن احدا بعد ذلك ومقت ابن ابي دؤاد من
يومئذ ولم يرتفع له شان والرجل هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازدي
شيخ النسائي وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثير الاكل اكثر بني العباس
رواية للشعر ومن شعره في واقعة حال هذه الابيات

حياك بالنرجس والورد • معتدل القامة والقد
فالهبت عيناه نار الجوى • وزاد في اللوعة والوجد
املت بالملك وصالا به • فصار ملكي سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده • فانصفوا المولى من العبد

قال الصولي اجمعوا على انه ليس لاحد من الخلفاء مثل هذه الابيات في الرقة
واللطف مات بسر من راى يوم الاربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢
اثنتين وثلاثين ومايتين وحكي انه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة
للمتوكل فجاء جرذان واستل عينه واكلها فسبحان العزيز المتعالي وتبارك

الكوا

مطلب ولاية المتوكل على الله

فصل القوي القادر ذو الجلال • مبيد الملك لا يزول ولا يزال
ثم ولي الخلافة بعده اخوه المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي
مولده سنة خمس ومايتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه اخوه
وامه ام ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما اعطى خليفة شاعرا
ما اعطاه المتوكل وكان سنيا اظهر السنة واكرم العلماء وامات
البدع ومنع القول بخلق القرآن وامر النصارى بلبس الغيار وشنع على
الجهمية والمعتزلة وامر نايبه بمصر ان يحلق لحية قاضي مصر محمد بن ابي
الليث ويطوف به الاسواق على حمار لانه كان جهميا يقول بالجهمية وبخلق
القرآن ففعل به ذلك ومن افعاله الشنيعة انه هدم قبر الحسين بن

مطلب شناعة المتوكل

علي رض في سنة ست وثلاثين ومايتين ٢٣٦ وهدم ما حوله من الدور وجعله مزرعة
ومنع من زيارته فتألم الناس من ذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

ابيات

تالله ان كانت امية قد اتت • قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثلها • هذا لعمري قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا • في قتله فتتبعوه رميما

اي النسئ

وبهذا الفعل الشنيع محا جميع محاسنه وصار ما عمله من الاحسان
مغلوبا بالجاحة والسيئة وعدت عليه هذه الزلة افضح فضيحة وهذه
الخلة الشنيعة اقبح قبيحة ووقعت في ايامه عجايب منها ان النجوم
ماجت في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت
قرية السويدا بناحية مصر بحجارة من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة

ارطال والتي جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع على جبل طائر ابيض
دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله تعالى اربعين مرة وجاء من الغد
ففعل كذلك فكتبوا خبر ذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيه شهادة خمسمائة
انسان سمعوا ذلك باذانهم وذلك في شهر رمضان سنة واحد واربعين ومايتين
وحصلت الزلازل وغارت عيون مكه فارسل المتوكل الى مكة مايه الف دينار
ذهبا لاجراء العين التي بعرفات فصرفت فيها الى ان جرت كذا ذكره الحافظ
السيوطي وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى باخبار
ام القرى في حوادث سنة خمس واربعين ومايتين فيها غارت عين مشاش
وهي عين مكه فبلغ ثمن القربة من الماء درهما فبعث المتوكل على الله جعفر
ابن المعتصم مالا انفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه
وهذه العين من عمل زبيده وهي عين بازان ظنا قلت عين مشاش
موجودة الى الآن وهي من جملة العيون التي تنصب في زبيدة عين حنين
وهي تجري وتضعف احيانا بقلة المطر ومحلها معروف ولما كثرت المماليك
وهم الاتراك في بغداد ودخلوا في امر الملك واستولوا على المملكة وصار
بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل الى ان حملهم الطغيان على العدوان
وسطوا على الخليفة المتوكل لما اراد ان يصادر مملوك ابيه وصيف التركي
لكثرة امواله وخزائنه فتعصب له باغر التركي وانحرف الاتراك عنه فدخل
باغر عليه ومعه عشرة اتراك وهو في مجلس انسه وعنده وزيره الفتح
ابن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فصاح الفتح ويلكم

هذا

هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على
وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غايب عن نفسه من السكر فضربه
باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربه
باغر ضربة ثانية فماتا معا فلفهما في بساط ومضى هو ومن معه ولم
ينتطح في ذلك كبشان وكان قتله في ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من
شوال سنة سبع واربعين ومايتين في القصر الجعفري وكان من بناه المتوكل
ولما قتل دفن فيه هو ووزيره الفتح بن خاقان الذي قتل معه وكانت
ولايته وخلافته اربع عشرة عاما وعمره احدى واربعون سنة فصل
مطلب خلافة المنتصر بالله
وولي بعده ولده محمد ابو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم
ابن هرون الرشيد بويع له بالخلافة بعد قتل ابيه ولم يتهن بالملك
لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وقيل انه واطى الاتراك على قتل ابيه
ليلي الخلافة بعده والله سبحانه اعلم وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول
هولاء قتلة الخلفاء فلم يامنوه وارادوا قتله فما امكنهم الاقدام على ذلك
لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلثين الف دينار عند توعكه
ليسمه ففصده بمبضع مسموم فاحس بذلك واراد قتل الطبيب فقال انك
تصبح طيبا وتندم على قتلي فامهلني الى الصبح فامهله فاصبح ميتا ويحكى
انه نام ليلة في وعكه وانتبه فزعا وهو يبكي فسالته امه ما يبكيك فقال
افسدت ديني ودنياي رايت ابي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لاجل
الخلافة والله لا تتمتع بها الا اياما قلايل ثم مصيرك الى النار فاستمر وهو

من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا ايامًا قليلة وذكر ابن يحيى المنجم ان المنتصر
جلس يومًا للهو وامر بفرش بساط من ذخاير الخزينة تداولته الملوك وفرش
فرأى فيه صورة راس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج
تلك الكتابة فاحضر لذلك رجلا من الاعاجم فقرأه بلسانه وعبس عند قراءته
فسأله المنتصر عنه فقال لا معنى له فالح عليه فقال هو انا الملك شيرويه بن
كسرى بن هرمز قتلت ابي فلم اتمتع بالملك بعده الا ستة اشهر وهي مشهورة
فتغير وجه المنتصر لذلك وقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذي اراده
وصار مغتمًا لذلك مهتمًا به وكان على خلاف راي ابيه في ال ابي طالب واعاد قبر
الحسين رض بعد ما كان هدمه ابوه وامر بزيارته ورد على الحسين فدك
وقصته مشهورة وهي مما تنقمه الشيعة على ابي بكر رض وانما فعل ذلك
بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي به
علي بن ابي طالب رض ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه ان ذلك
هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة اشهر كما توهمه
قال ابو منصور الثعالبي في العجايب ان اعرق الاكاسرة في الملك شيرويه قتل
اباه فلم يعش بعده الا ستة اشهر واعرق خلفاء بني العباس المنتصر
قتل اباه فلم يعش بعده الا ستة اشهر انتهى قلت وكل منهما مات مسمومًا
وكانت وفاة المنتصر بالله بالقصر بمبضع مسموم كما قدمنا لخمس مضين من شهر
ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومايتين وكان عمره ستا وعشرين سنة والله اعلم

فصل

مطلب خلافة المستعين بالله

فصل ثم ولي بعده ابو العباس احمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم
المقتدر بالله اخو المتوكل على الله وانما قدمته الاتراك واختاروه وعدلوا
عن اولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا ان يلي الخلافة احد من اولاده
فياخذ بثار ابيه فاختاروا من اولاد المعتصم المستعين بالله ومولده
سنة احدى وثلثين ومايتين وامه ام ولد تسمى مخارق وما كان له من الخلافة
الا الاسم وكانت ايدي الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه
لوصيف التركي وباغر التركي وقيل في ذلك
خليفة في قفص بين وصيف وبغا ... يقول ما قالا له كما تقول الببغا
واستمر كذلك وهو يتربص بهما فظفر بوصيف التركي فقتله وبقي باغر التركي
الذي كان سطا في المتوكل وفتك به فتنكر له الاتراك فخرج عليهم من
سامرا الى بغداد وارسلوا اليه يعتذرون منه ويسالونه العود الى سامرا
وهي محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين فاضلا اديبا اخباريا
مطالعًا في التواريخ مطلعًا عليها متجملا في ملبسه وهو اول من احدث لبس
الاكمام العراض فجعل عرض الكم ثلاثة اشبار وهو الان من شعار سادات
الاشراف بني حسن اشراف مكة ولما ابى المستعين على العود الى الاتراك
في سامرا قصد الاتراك خلعه فاتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمد ابا عبد
الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسع عشرة عاما
ولم يل الخلافة اصغر سنا منه وخلعوا المستعين بالله في اواخر سنة اثنين
وخمسين ومايتين وجيشوا الى بغداد جيشا كبيرا على المستعين بالله وقاتلوه

مطلب خلافة المعتز بالله

وقاتلهم ودام القتال اشهرا وكثر القتل وغلت الاسعار وعظم البلاء وملّ الناس
امر المستعين بالله الى ان خلع نفسه واشهد القضاة والعدول على
نفسه بذلك فاخذوه وانحدروا به الى واسط وحبسوه بها تسعة اشهر
ثم نبذله سعيد الحاجب فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة ٢٥٢ اثنين وخمسين ومائتين
وله احدى وثلاثون سنة واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع الحسن حسن
الصورة وليس في الخلفاء اجمل منه حسنا وكان متضعفا مع الاتراك وكان
صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خايفا منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا
منه ارزاقهم ووعدوه انه اذا انفق عليهم ارزاقهم ركبوا معه على صالح
ابن وصيف وقتلوه فضعف له الملك ولم يكن في خزاينه ما يصرفه عليهم
فطلب من امه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فابت
عليه وشحت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق
الاتراك على خلعه وركب صالح بن وصيف ومحمد بن بغا ومن معهما واتوا الى
دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروا برجله واوقفوه في الشمس وعذبوه حتى
خلع نفسه وادخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشانا ٥

فصل واحضروا ابا عبد الله محمد بن الواثق ولقبوه المهتدي بالله بن
الواثق بالله بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لليلة بقيت من شهر
رجب سنة خمس وخمسين ومايتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن
وصيف قبيحة ام المعتز وعذبها حتى اخذ منها الف الف دينار ذهبا جدد
ونصف اردب لولو ومثله زمرد وسدس اردب ياقوت احمر ثم خرجت الى

مكة

مكة فاقامت بها الى ان ماتت وقل الناس الترحم عليها حيث ظهر هذا المال
عندها وشحت به على ولدها **وكان** المهتدي كثير العبادة ليس له من الامر
شيء وكان قد اطرح الملاهي ومنع الظلمة من المظالم فاتفق الاتراك على خلعه
وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان امسكوه باليد وعصروا على
بطنه الى ان مات في شهر رجب سنة ست وخمسين ومايتين **وكانت** خلافته
سنة الا خمسة عشر يوما **فصل** ثم ولي الخلافة بعده ابن عمه
ابو جعفر احمد ويلقب المعتمد على الله وسيأتي ترجمته

مطلب خلافة المعتمد على الله

الباب الخامس في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد تربيعه الذي
امر به المهدي بن المنصور العباسي وشرع فيه فادركته الوفاة قبل
اتمامه وتم في ولاية الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم
ووقع ترميم في الجانب الغربي من المسجد الحرام قبل الزيادتين في ايام المعتمد على
الله العباسي ثم بنيت الزيادة الكبرى من الجانب الشمالي من المسجد الحرام في
ايام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب الغربي من المسجد الحرام
ايام المقتدر بالله **فلنذكر** تراجم هذه الخلفاء ونذكر ما احدثوه في المسجد
من عمارة وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكر في ضمن ذلك
من الفوايد الاستطرادية ترويحا للنفس وتسببا لحصول الفوايد وتوقيفا
على احوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث في كل عصر لئلا يعتمد العاقل
على هذه الدنيا ويعتبر بمن قبله في غدر هذه العجوز العميا وهذه الفوايد
في الحقيقة نتايج علم الاخبار ليعتبر المعتبر بها لنفسه كما غيره في هذه الدار

وأن قواعد الحكمة أن أفعال الفاعل الواحد متشابهة الآثار والله سبحانه وتعالى
هو الفاعل المختار والعبد العاجز غير مختار وربك يفعل ما يشاء ويختار
وقد وصلت بحر القول ذا سعة فإن وجدت لساناً قائلاً فقل ولما
قتل متغلبة العبيد الأتراك الخليفة المهتدي بالله صبراً عمدوا إلى الحبس
فأخرجوا منه ابن عمه أبا جعفر أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بن
الرشيد ولقبوه المعتمد على الله وبايعوه على الخلافة في شهر رجب
سنة ست وخمسين ومائتين وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين
وأمه أم ولد رومية اسمها فتيان وكان له انهماك على اللهو واللذات
فقدم أخاه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده
وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند
وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض إلى الله وولاه الغرب والشام
والجزيرة وعقد لهما لواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط
على أخيه الموفق أنه إذا حضرته الموت وولده صغير كان الموفق ولي عهده
وإن كان حينئذ ولده كبيراً كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة
كتب كل منهما خطه عليه وكتب عليها القضاة والعدول خطوطهم وأرسلها
إلى مكة المشرفة لتعلق في الكعبة فعلقت فيها وما أفاد مع هذه التدابير شيئاً
حذر من قدر وما وقع إلا ما قدره الله تعالى وكان الموفق عاقلاً مدبراً متمكناً
مستقلاً بأمور المملكة ملتفتاً لأمور الرعية وكان أخوه المعتمد منهمكاً
على لهوه ولذاته مهملاً لأحوال الرعية غير ملتفت لأمور المملكة فكرهه

الناس

الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت فيه نجابات كثيرة وكان
ميمون النقيبة مظفراً في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله
طائفة الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رأس اسمه بهبول
يدعي أنه أرسله الله تعالى إلى الخلق وادعى علم المغيبات وفتك في المسلمين
بحيث أنه على ما ذكر الصولي قتل ألف ألف مسلم وخمسمائة ألف مسلم وكان
يستأسر نساء المسلمين ويبيعهن بأرخص الأثمان وينادي على العلوية
والشريفة بدرهمين وكان عند الزنجي عشرة نساء من الأشراف يطؤهن
ويمتهنهن في الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الإسلام
وتملك هذا الكافر مدناً كثيرة أخذها من المسلمين واستأصل أهلها
وجعل دار مملكته كواسط ورامهرمز وما والاهما فانتدب لقتاله الموفق
بالله وجمع الجموع والعساكر من حنكته ووقائع الحروب وسمته قوارع
الخطوب فاتخذهم جناناً ويداً ورضي بهم ساعداً وعضداً وتعصب
بعمود الإسلام وأعد السيوف والرماح والسهام فركب بجيشه الجحافل
للأعداء والكفرة اللئام إلى أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا
كؤوس الطعن والضرب فجعل السودان من لقاء الصارم الأبيض ولوا الأدبار
للفرار كما يفر الليل الأسود من النهار الأبيض فانهزموا ما بين مقتول ومأسور
ومجروح ومكسور إلى أن قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره المخذول ونصر
الله تعالى ملة الإسلام ومحا بنوره ذلك الظلام واسترد المدن التي أخذها
بالكفر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأن المسلمون

وكافة العباد ولقبوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ لقبان ودخل
بغداد في نصرة وعلو شان ورأس ذلك الكافر علي رمح ورؤوس كبار عسكره ٥
علي الارماح وقصده الشعراء بالقصايد والامداح واحبه الناس
وبعد صيته وكثر في بابه المداح واستفحل امره ولاحت له السعادة والفلاح
واستمر اخوه المعتمد علي حالة منهمكا علي اللهو واللذات وله اسم الخلافة وجميع
الامور بتلك ها الموفق بصدر منشرح وسد غاية السداد وفي ايامه في سنة
احدى وسبعين ومايتين وقع وهن في بعض جدران المسجد الحرام من الجانب
الغربي قبل زيادة باب ابرهيم في نفس الجدار الغربي من المسجد الشريف بين باب كانت
له باب الخياطين وكان بقربه دار زبيدة بنت ابي جعفر المنصور فسقطت تلك
الدار علي سقف المسجد فانكسر بعض اخشابه وانهدمت اسطوانتان من اساطين
الحرم ومات تحت ذلك عشرة انفس من خيار الناس وكان عامله يوميذ بمكة هرون
ابن محمد بن اسحق وقاضيها يعقوب بن يوسف القاضي فلما رفع امر هذا الهدم
الي بغداد امر ابو احمد الموفق بالله عامله بمكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من
المسجد وجهز اليه مالا بسبب ذلك وشرع في عمارته وصوب له سقفا من
خشب الساج ونقشه بالالوان المختلفة واقام الاسطوانتين الساقطتين
وبني عقودهما وركب السقف وجعل في ايام عمارته سرادقا بين العمال والبناة
وبين الناس ليسترهم عن اعين من بالمسجد الي ان اكمل ذلك في سنة اثنين وسبعين
ومايتين وركب من الحجر لوحين في جدار المسجد في ذلك الجانب نقش علي احدهما
بالنقر في لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر ابو احمد الموفق بالله الناصر لدين

الله

الله ولي عهد المسلمين اطال الله تعالى بقاه بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى
اجزل الله تعالى له ثوابه واجره وتم ذلك علي يد عامله هرون بن محمد بن العلا
ابن عبد الجبار في سنة اثنين وسبعين ومايتين وعلي اللوح الثاني نقر
كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم امر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين
ابو احمد الموفق بالله اخو امير المومنين اطال الله تعالى بقاهما القاضي يوسف
ابن يعقوب بعمارة المسجد الحرام للذي ذكره عن رجاء ثواب الله تعالى والزلفى
اليه وتم ذلك علي يد عامله بمكة ومخاليفها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى
في سنة اثنين وسبعين ومايتين واللوحين المذكورين لا وجود لهما
الان بل محاهما الدهر والزمان وعفى اثرهما القديم والجديدان كما عفى اثر
غيرهما من العماير والبنيان ودار عليهما الدوران فلا يبقى الاثر ايضا بعد زمان
وقيل الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء علي الاشباح والصور
وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام ابي عبد الله محمد
ابن اسحق الفاكهي رحمه الله وكان للموفق بالله ولد نجيب هو احمد ابو اسحق جعله
الموفق ولي عهده واستعان به في حروبه واحواله وظهرت به نجابته وقوته
فخشي الموفق منه علي نفسه وعلي اخيه المعتمد لما راى من شجاعته وبسالته
فاودعه بطن الحبس ووكل به من يتوثق من امره واستمر محبوسا الي الزمان
الذي قدره الله تعالى له ثم وقعت الوحشة بين الخليفة المعتمد واخيه الموفق
المذكور وتباغضت قلوبهما وتشاحنت الصدور فان الرياسة الدنيوية
لا تقبل الاشتراك والغيرة علي الملك والسلطنة اسرع شيء لو غرض ور

الاملاك والانفراد والاستقلال مما يتفانى عليه ابناء الدنيا من اصحاب الاملاك ومما
قيل: وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
ولما كان المعتمد مع كونه عاجزا عن اخيه الموفق كان يحسده ويريد هضمه
لاستيلائه على المملكة ورضى الناس عنه واشتغاله بالفحص عن احوالهم
الرعية ونبذ الملاهي والملاذ فاستعان المعتمد في هضم جانب اخيه بصاحب
مصر يومئذ احمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود
كثيرة جماعا للاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر ياخذ خراجها وكانت
يومئذ عامرة اهلة كثيرة المحصول لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم
ظلمه وجوره عليهم وكان يحصل منها اموال كثيرة جدا بسبب عمارتها
وكانت كالروض البهيج على زهرتها ونضارتها وما كانت خرابات باكثرها
البوم والصدا ولا يفرق اهلها ورعيتها من جور ولاتها بددا اغمرها الله تعالى
بمعدلة سلطاننا الاعظم وخليفة عصرنا الاكرم الافخم الذي عمر
البلاد السلطان مراد الهمه الله سبحانه العدل والرفق بالعباد ومحا بسيف
الصدم اهل الظلم والفساد واطال عمره ودولته حتى يلحق الاحفاد فكاتب
المعتمد على الله احمد بن طولون وامره ان يقاتل اخاه الموفق ليخرج امره
على ذلك وبهون وجرت بينهما في ذلك شؤون واشتغل الموفق بذلك
عن اخيه وصار يواليه تارة ويداريه ويساعده تارة ويدانيه ومضى
على ذلك ايام وانقضت عليه اعوام الى ان مالت قناة حياة الموفق كل الميل

لتم

ولزم

ولزم بطون الفراش بعد متون سوابق الخيل وهي جرده وهذه قواه
وما صانه حصانه ووقاه ومما قيل:
وخانته يده عن حمله قلما من بعد حطم القنا في لبة الاسد
فلما اشتد حاله وتحقق عنده علما انه ماله بلوره الى الحبس فكسروه واخرجوا
منه ولده المعتضد فاووه ونصروه وجاؤا به الى والده الموفق فلما
راه ايقن بالموت وتحقق وقال له يا ولدي لهذا اليوم خباتك وفوض اليه
الامر واوصاه بعمه المعتمد خيرا وكان ذلك قبل موت الموفق بثلاثة ايام
فعطف الموت على الموفق عطف النسق فركب طبقا عن طبق الى الطباق
الثرى والعنق ومضى عن الدار الفانية الى الدار الباقية والتحق وكا نت
وفاته في سنة ثمان وسبعين ومايتين وسر في موته اخوه المعتمد وظن
انه استراح من الموفق وما علم انه عما قليل باخيه يلحق وحسب انه
صفا له دهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا
لاحد من البشر وان صروف الدهر تاتي بالغير والعبر وانها لا تبقي ولا تذر
فمال عليه الحول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد خلان
الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حول القاصر
ولم يبق للمعتمد عماد ولا اعتماد على الدهر الخئون الغدار فانتقل
سرير الملك الى حظيرة الهلاك ومضى كان لم يكن شيا مذكورا وكان امر
الله قدرا مقدورا وكانت وفاته يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة
بقيت من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومايتين فصل وولي الخلا فة

بعده في تاريخه ابن اخيه ابو العباس احمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق
والناصر لدين الله بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي مولده
سنة ٢٤٣ ثلاث واربعين ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد في تاريخ
وفاته المذكورة آنفا وامه أم ولد اسمها صواب وكان ملكا مهابا ظاهر
الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السطوة
قليل الرحمة اذا غضب على احد القاه في حفرة وطم عليه التراب وكان
اسقط المكوس في ايامه ورفع الظلم عن الرعية جدد ملك بني العباس بعد
ما وهي ووهن واظهر عز الملك بعد ما تذلل وامتهن وكان يسمى السفاح
الثاني حيث جدد كل منهما ملك بني العباس وفي ذلك يقول ابن الرومي

هنيئا بني العباس ان امامكم * امام الهدى والباس والجود احمد *
كما بابي العباس اسس ملككم * كذا بابي العباس ايضا يجدد *
امام يظل الامس يشكو فراقه * تاسف ملهوف ويشتاقه غد *

وقال عبد الله بن المعتز

اما ترى ملك بني هاشم * عاد عزيزا بعد ما ذللا *
يا طالبا للملك كن مثله * تستوجب الملك والا فلا *

وكان مع سطوته وباسه يتوخى المعدلة ويبرز امورا في صورة الجور
والعسف وهو في الباطن محق فيما يفعله وهذا هو الراي السديد والحاكم
الرشيد لجمعه ما بين سياسة الدنيا ونيل الحظ الحق عند الله وقد
نقل الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفا عن عبد الله بن حمدون قال خرج

المعتضد

المعتضد للصيد يوما وانا معه فمر بمقثاة فصاح بعض جنده فيها
فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن صياحه فقال
ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فاخربوها فامر غلمانه باحضارهم فضرب اعناقهم
ومضى وهو يحادثني فقال اصدقني يا عبد الله ما الذي تنكره علي من امري
فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال اما سفكت دما حراما قط فقلت له بأي
ذنب قتلت احمد بن الطيب فقال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده فقتلته
لنصرة الدين فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بما استحل دماءهم
ولأي شيء قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما احضرت ثلاثة من قطاع الطريق
واوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقثاة فامرت بضرب رقابهم ثم احضر
صاحب الشرطة فامره باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة فاحضرهم فاراهم
وشاهدتهم ثم امر باعادتهم الى الحبس وهكذا ينبغي تدبير السياسة والطمع
النصفة وتخويف الجند وارهابهم ومن محاسنه انه كتب الى الآفاق
بابطال ديوان المواريث والامر بتوريث ذوي الارحام وكانوا يحرمون الميراث
وكانوا يستولون على مخلفات الاموال بالظلم ولا يتصل الوارث بجميع حقه
من الارث بل يوخذ كثير من غير حقه بانواع التعللات وكان يحصل على
الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن بسائر البلاد ازاله الله على
يد سلطان عصرنا وفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المراحم واعانه
على ابطال المظالم ولما امر المعتضد بابطال ديوان المواريث في سائر مملكته
فرح الناس واحبوه ودعوا بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم

مطلب ابطال ديوان المواريث

وأجر جسيم عند الله الكريم ولعله هو الذي ينفعه في يوم آخرته وربما
أدخله جنات النعيم وكان من قضاته العالم أبو خازم بالخاء المعجمة
والزاي وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى وكان من بعض تصلبه
في الدين أن شخصاً انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عليه عند القاضي المذكور
فأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وكان قد انكسر على ذلك المديون
مال للخليفة المعتضد أيضاً فأرسل المعتضد إلى القاضي أبو خازم يقول
له تشركني مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فإن لي أيضاً مالاً في ذمته
فاجعلني كأحد غرمائه فقال أبو خازم إني لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة
فأرسل وكيلاً وبينة أرضاها لتكون بأسوة غرماء هذا المديون
فأحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة والتزكية سراً وجهراً فأمر
المعتضد شهوداً ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه
فما حضر أحد منهم إلى القاضي خوفاً من رد شهادتهم ولم يحكم القاضي
للمعتضد أن يكون بأسوة غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة
القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله إليه وما أحوج زماننا
هذا إلى قاض مثل هذا خصوصاً في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت هذا
ولا يميل إلى خواطر العباد وكان المعتضد أنشد شعراً أحسن ما قيل
بجارية له وهو هذا

يا حبيباً لم يكن يعدله عندي حبيب
أنت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب

لك

لك من قلبي على قلبي وإن غبت رقيب
لو تراني كيف حالي في عويل ونحيب
وفؤادي حشوه من حرق القلب لهيب
لتيقنت بأني فيك محزون كئيب

وقال لما احتضر

تمتع من الدنيا فإنك لا تبقى وخذ صفوها لما صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر إني أمنته فلم يبق لي حالاً ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع عدواً ولم أمهل على حسد خلقا
وأخليت دار الملك عن كل نازع وفرقتهم غرباً وشردتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزاً ورفعة ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فأخمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ملقى
وأفسدت دنياي وديني سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى لرحمة ربي أم إلى ناره ألقى

مطلب

فصل ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد زيادة دار الندوة
وإدخالها في المسجد الشريف من الجانب الشامي وهي أول الزيادتين وهي
صحن مربع بأربعة أروقة من جوانبه أضيف إلى المسجد الحرام في وسط
الجانب الشامي ملصقة إلى رواق الجانب المذكور وهذا المسجد يسمى دار الندوة
وهي كانت في زمن الجاهلية داراً يجتمع فيها صناديد قريش عند نزول الحوادث
بهم للاستشارة فيما وقع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون
على كونه صواباً فيأتون به بعد ذلك وكانت دار الندوة مما تتفاخر

به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي بن كلاب الرفادة والسقاية
والسدانة والندوة واللواء فعرفتهم في اولاده ولما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم
وامن به كثير من قريش ومن الانصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة
وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم ابليس في صورة الشيخ النجدي واختار
لهم من الراي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين فاذن له في الهجرة كما هو
مذكور مشهور في كتب السير وذكر الله سبحانه في كتابه العزيز حيث قال تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
وليست الزيادة هي عين دار الندوة باجمعها في تلك الاماكن الا على التعيين
من خلف مقام الحنفي الى اخر هذه الزيادتين وكانت دار الندوة بعد ظهور
الاسلام وكثرة بناء الدور دارا واسعة ينزل فيها الخلفاء اذا وردوا مكة ويخرجون
منها الى المسجد للطواف والصلوة وكان لها فناء واسع صار سباطة يرمى
فيه القمايم فاذا حصلت الامطار القوية سال من الجبال التي في يسار الكعبة
مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة الى ذلك الفناء وحملت
اوساخه وقمايمه الى دار الندوة والى المسجد واحتيج الى تنظيف تلك الاوساخ
والقمايم من المسجد كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على
المسجد فكتب قاضي مكة يومئذ من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد
الله المقدمي وامير مكة يومئذ من قبله ايضا عج بن حاج مولى المعتضد المذكور
مكاتبات الى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب تتضمن
ان دار الندوة قد عظم خرابها وتهدمت وكثر ما يلقى فيها القمايم حتى

صارت

صارت ضررا على المسجد وجدرانه واذا جاء المطر سال السيول من
بابها على بطن المسجد وحملت تلك القمايم الى المسجد وانها لو اخرج ما فيها
من القمايم وتهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام وجعلت رحبة
يصلي الناس فيها وينتفع الحجاج بها لكانت مكرمة لم تتهيا لاحد من
الخلفاء بعد المهدي والهادي ومنقبة قايمة وشرفا واجرا باقيا على
طول الزمان وان بالمسجد خرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه المطر
اذا جاء المطر وان وادي مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الارض عما
كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليماني ايضا الى المسجد ولا بد
من قطع تلك الاراضي وتمهيدها وتنزيلها الى الحد الذي ترفع فيه السيول
منحدرة عند الدخول الى المسجد ووفد ايضا على بغداد سدنة الكعبة
ورفعوا الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد
تشعث وان الرخام المفروش في ارضها قد تكسر وان عضادتي باب الكعبة
كانتا من ذهب فوقعت فتنة بمكة سنة ٢٥١ احدى وخمسين ومايتين بخروج بعض العلويين
فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتي باب الكعبة من الذهب فضربه دنانير
واستعان به على حرب العلوي الذي خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون
العضادتين بالديباج ووقعت ايضا بعدها فتنة بمكة في سنة ٢٦٦
فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذي كان مصفحا على باب
الكعبة ومن اسفله وما على انف الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير
واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة مموهة على

الباب وعلى انف الباب فاذا تمسح الحجاج به في ايام الحج تبركا بذلك المكان
ذهب صبغ الذهب وانكشفت الفضة فيحتاج في تمويهها كل سنة والى سبب
اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون
الجيم قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة لم يكن
تاما ويحتاج الى ان يتمم من جوانب الكعبة كلها وان في ذلك من اعظم القربات
واكبر المثوبات وقد رفع ذلك الى الديوان العزيز للمبادرة الى انهاء ذلك
والامر راجع الى امير الخلافة والسلام فلما اشرف على هذه المكاتبات
كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان
من اهل الخير له قدم راسخ في قصد الجميل وفعل الخيرات ونية جميلة في
نشر الاجر والمثوبات فبادر الى عرض ذلك على اسماع الخليفة المعتضد
وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليه وبذل المقدور فيه فبرز
امر المعتضد اليه والى العلامة المومى اليه بالحضرة بعمل ما رفع اليه من
ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد وان تهدم دار الندوة
وتجعل مسجدا ملحقا بالمسجد ويوصل به وان يحفر الوادي والمسيل
والمسعى وما حول المسجد الحرام ويعمق حفرها الى ان يعود الى حالة الاول
ويجري ماء السيل فيه ولا يدخل شي منه الى المسجد فيتضرر المسجد بذلك من
دخول السيول فيه وان يحكم ذلك غاية الاحكام ويعمر ما يجب عمارته على
وجه الاتقان والاستحكام وامره ان يحمل من خزاينه مالا عظيما لهذا
العمل وامر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب انه يرتب

ذلك

ذلك ويجهز العمال من يعتمد عليه وامر بحمل المال فجهز بعضه نقدا في
ايام الحج مع ولده ابي بكر عبد الله بن يوسف وكان مقدما في حوايج
الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارته وارسل باقي المال سفاتج
الى ولده المذكور ليتسلمها ممن كتب اسمه في تلك السفاتج بمكة ووجه
ي
معه لهذه الخدمة رجلا يقال له ابو الهياج عميرة بن حيان الا
له امانة وحسن راي ونية جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في
موسم حج سنة احدى وثمانين ومايتين فحلى بالذهب الخالص باب
الكعبة وحج وتخلف بعد الحج بمكة ابو الهياج المذكور ومن معه من
العمال والاعوان وعاد عبد الله بن القاضي يوسف مع الحجاج الى بغداد
ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما امر به من العمارة المذكورة
فشرع ابو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفر حفرا جيدا
حتى ظهر من درج المسجد الشارعة على الوادي اثني عشر درجة وانما
كان الظاهر منها درجات خمس فحفرت الارض ورمي بترابها خارج مكة
ونظفت دار الندوة من القمايم والاتربة وهدمت وحفر اساسها
وبنيت وجعلت مسجدا وادخل فيه ابواب المسجد التي كانت شارعة قبل
هذا البناء ثم فتح لها من جدران المسجد الكبير ستة ابواب كبار سعة كل باب
خمس اذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة السماء احد عشر ذراعا
وجعل بين الابواب الكبار ستة ابواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية اذرع
وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابا بطا

قال

شارعين إلى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي
وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الأربعة وركبت سقوفها على
أساطينها وسويت سقوفها بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ
من عمارتها في ثلاث سنين وأما إكمالها وقع في سنة أربع وثمانين ومائتين
إلا أنها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل إلى وضع آخر
أحسن منه بعد المعتضد المذكور قال محمد بن إسحق الفاكهي في
تاريخ مكة أن أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له أن القاضي
أي قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان أمير البلد جدد بناء زيادة
دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدران المسجد الكبير
وجعلها متساوية واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من
مصل ومعتكف وجالس بمكة مشاهد البيت الشريف وجعل أساطينها حجرًا
مدورًا منحوتًا وركب عليها سقوفًا من الخشب الساج منقوشًا مزخرفًا وعقودًا
مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولًا أحسن من
الأول وجدد شرفاتها وبيضها وأنه عمل ذلك في سنة وثلثمائة
انتهى ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة الكبرى مأثرة عظيمة ومنقبة
كريمة أتى بها المعتضد وأثرًا باقيًا على صفحات هذا الدهر ما فاز بها
سواه وفعل الخير لا يزال يذكر وصاحبه يمدح ويحمد بألسنة الخلق ويشكر
ولو بليت عظامه تحت التراب الأعفر فما مات من يذكر بالجميل بعد الرفقة
وما عاش من عاش بالشر بالمكرم ومما قيل

ما عاش

ما عاش من عاش مذمومًا خصائله ولم يمت من يكن بالخير مذكورا
واستمرت تلك الأساطين المنحوتة من الأحجار السود وعليها السقف
الساج المزخرف المنضود مشيدة باقية إلى أن أدركناها في عصرنا
ثم بدلت بالأساطين المنحوت من الرخام الأبيض المرمر ما بينها للتوثيق
الأساطين المنحوتة من الشميسي الأصفر بعقود محكمة أزين من عقود الجوهر
وجعل عوض السقف الذي بلي خشبه كل حين قبابًا مرفوعة تزهو للناظر
في غاية الإتقان والتزيين في زمان سلطاننا الأعظم الأفخم الأكرم
سلطان سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان بن
عثمان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وأفاض على العالمين بره وإحسانه ثم نرجع
إلى ما كنا فيه من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من اليأس الذي ليس له
منه أسى ولما أن عض المعتضد عاض الموت العاض ووقع في غمر
حياته مباضع الزمان الحاسد ولم تحمه عند الحمام قوته ولا منعته
عنه شدته ولا هيبته فأنزلته يد المنايا من سرير الخلافة والملك
وأركبته سرير الآلة الحدباء إلى حفير شفير الفناء وأهالت فوقه
في تربة عمله الصالح وسقت ثراه بما طاب من ثنائه الفائح ومن أغرب
ما حكاه المسعودي عن المعتضد في وفاته أنه اعتل في أقرب مدة من
كثرة الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان
لا يجسر أحد عليه لشدة هيبته فتقدم إليه الطبيب يختبره بجس نبضه ففتح
عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فدحاه أذرعًا فمات

الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان
بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد
اربعة ذكور واحدى عشر بنتا وكانت مدة المعتضد تسع سنين وتسعة *خلافته م*
اشهر ونصف **فصل** لما اشتد الامر بالمعتضد جعل ولي عهده من
بعده ولده ابا علي محمد ولقبه المكتفي بالله واخذ له البيعة قبل موته
بثلاثة ايام فلما توفي المعتضد كان المكتفي غايبا بالرقة فنهض باعباء
البيعة الوزير ابو الحسين علي القاسم ابن عبد الله فكتب اليه فوصل الى بغداد
من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا وانفقت
له بغداد ودخل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع عظيمة ومدحه
الشعراء وانعم عليهم بالجوائز السنية وكان مولده في غرة شهر ربيع الاول
سنة اربع وستين ومايتين وامه ام ولد تركية اسمها جيجك وكان
مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القايل يصف الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها • فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي •
والله لا اختارها لو انها • كالبدر او كالشمس او كالمكتفي •

وكانت سيرته حسنة وافعاله حميدة فاحبه الناس وفرحوا بخلافته
ودعوا له وذكر عبد الغفار في تاريخه وهو تاريخ نيسابور عن ابن ابي
الدنيا وكان معلما للمكتفي قبل ان يلي الخلافة قال فلما افضت الخلافة الى المكتفي كتب
اليه هذين البيتين •

ان حق التاديب حق الابوه • عند اهل الحجى واهل المروه •
وهو حق الرجال ان يحفظوا ذاك ويرعوه اهل بيت النبوه •

ومن

مطلب ظهور القرامطة

ومن اعظم الحوادث في ايام المكتفي ظهور القرامطة الملحدين من الكفرة المفسدين
اعداء الدين فاول من خرج فيهم يحيى بن بهرويه القرامطي ومحل خروجهم
ودار ملكهم هجر وهم طايفة اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين
يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية ابن ابي *ابن علي م*
طالب رضي وينتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه اقاويل باطلة
لا اصل لها ويكفرون من عداهم وهم الكفرة الفجرة قاتلهم الله تعالى ولما *جهز عليه المكتفي بالله جيوشا م*
ظهر بالخروج يحيى وقع بينه وبين عسكر الخليفة الى ان قتل وسبق
الى جهنم وبيس المصير فقام بعده اخوه الحسين واظهر شامة نحو
الاسود وزعم انها آية وظهر ابن عمه عيسى بن مهدويه ويلقب بالمدثر
وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ودعى لنفسه على المنابر *ولقب غلاما له مطلبا بالمطوق بالنور وتسمى امير المومنين وزعم انه المهدي م*
وافسد بالشام وعاث فيها فحوربوا وقتل الثلاثة وحزت روسهم وطيف
بها في البلاد في سنة ٢٩١ احدى وتسعين ومايتين وخلف من بعدهم خلف
ظهر منهم مفاسد ياتي ذكرها وتعب المسلمون كثيرا في امرهم الى ان خذلهم الله *استطرادا م*
وسنذكر ذلك قريبا ان شا الله تعالى ولم يطل زمان المكتفي بالله وكانت مدة ملكه
ستة اعوام ونصف ولما مرض مرض الموت وتيقن بالموت والفناء والفوت
سال عن اخيه ابي الفضل جعفر بن المعتضد فقيل له انه احتلم واتضح ذلك
عنده فجعله ولي عهده ولقبه بالمقتدر بالله وبويع له على ان يكون الخليفة
بعده قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته التي مات فيها والله ما اخشى الا
سبعماية الف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين في ابنية وعمارات لا احتاج

ج

اليه وذكر ابو منصور الثعالبي قال حكى ابرهيم بن نوح ان الذي خلفه المكتفي مما
جمعه هو وابوه لا غير ماية الف الف دينار عينا وامتعة واواني وعقارات
وكان من جملة الامتعة ثلاثة وسبعون الف ثوب ديباج فسبحان من بيده
خزاين السموات والارض واليه يرجعون جاءه الاجل المحتوم المقدر وتلا لسان
حاله ان اجل الله اذا جاء لا يوخر انقصف غصن شبابه القشيب ودبس عود
جماله النضير الطيب وصار بدر كماله مخسوفا وعاد بعد محياه المشرق
بالجمال مظلما مكسوفا فانتقل من دار الفنا الى دار الخير والبقا في ليلة الاحد
لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة الحرام سنة خمس وتسعين وماييتين وخلف
ثمانية اولاد ذكور وثمان بنات فصل وولي بعده باستخلاف اخيه ابو محمد
علي المقتدر بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد
العباسي بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله اصغر سنه
ذكره الجلال السيوطي وامه ام ولد تسمى شغب وولي الخلافة ثلاث مرات هذه
الاولى منها ولم يتم له فيها امر لصغر سنه فتغلب الجند عليه واتفقوا على خلعه
فخلعوه وعقدوا البيعة لابي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم
ابن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من شهر ربيع الاول
سنة ست وتسعين وماييتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار وعبد
الله بن المعتز لقصر زمان خلافته لا ينبغي عده من الخلفاء ولكن نذكره لادبه
وفضله وهو اشعر بني العباس بل اشعر بني هاشم على الاطلاق واكثرهم ادبا
ودخولا ومعرفة بعلم الموسيقى واشعر الشعراء على الاطلاق في التشبيهات

المبتكرة

المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة المطربة التي يشوق غباره فيها احد
مولده في سنة تسع واربعين وماييتين قال المعافى بن زكريا لما بويع
لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث
المورخ فقال لي ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز فقال فمن رشح
للوزارة قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت ابو المثنى فاطرق وقال لا تم
هذا الامر لا يتم فقلت فلم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت متقدم شان عظيم
متقدم في علمه وفضله وعقله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر فلا
مناسبة لاحد ممن ذكرته رياسة في مثل هذا الزمان وما ارى هذا العقد
الا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله سبحانه انهم خلعوه في ذلك اليوم وانتشر
امره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له الخلافة ارسل الى المقتدر يامره باخلاء
دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر في امره فلما جاء الرسول
الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس لي عندي جواب الا السيف ولبس
السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل في
غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك والقى الله
في قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من في دولته وديوانه
ظنا انه خلف هولاء اعوانا وانصارا وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز
وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلمهم الى يونس بن الخادم وقتل منهم اناس وحبس
عبد الله بن المعتز ثم اخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر بالله والله يوتي
ملكه من يشاء وهذه ولايته الثانية على ما ذكر فسار احسن سيرة واستقام

مطلب
خلافة المقتدر الثانية

أمره من بعد الاضمحلال وطلعت شمس سعادته بعد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا باس بتنميق هذه العجالة وتزويق هذه الرسالة بذكر بعض اشعاره المستظرفه ليعلم البلغاء رتبته في البلاغة واقتداره على الكلام ونورد قصيدته في الحماسة التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعا المثل هذا المطلب العالي ممن امثاله مجبوع في الاسماع منفور في الطباع فاذا ابرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال الاديب المغوم ابن الرومي

في زخرف القول تزيين لباطله • والحق قد يعتريه سوء تعبير •
تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان تعب قلت ذا قيء الزنابير •
مدحا وذما وما جاوزت حدهما • سحر البيان يرى الظلماء كالنور •

وهذا منتهى تلك القصيدة الرائية واما ابن المعتز فقد فاخر في قصيدته بين قومه بني العباس وآل بني المطلب في الخلافة وما انصف فيها ولا فيما ادعاه ولكنه اتى بشعر بليغ في معناه حيث قال

الا من لعين وتسكابها • تشكى القذى وبكاها بها •
ترامت بنا حادثات الزمان • ترامي القسي بنشابها •
ويا رب السنة كالسيوف • تقطع ارقاب اصحابها •
وكم دهي المرء من نفسه • فمن قد حذا انيابها •
وان فرصة امكنت في العدى • فلا تبد فعلك الا بها •

مجاج كغراب العسل قاموس

دبكاها

فان

فان لم تلج بابها مسرعا • أتاك عدوك من بابها •
وما نافع ندم بعدها • وتاميل اخرى وانى بها •
وما ينتقص من شباب الرجال • يزد في نهاها والبابها •
نصحت بني رحمي ناصحا • نصيحة بر بانسابها •
وقد ركبوا بغيهم وارتقوا • معارج تهوي بركابها •
فراموا فرايس اسد الشرى • وقد نشبت بين انيابها •
دعوا الاسد تفترس ثم اشبعوا • بما تفضل الاسد في غابها •
قتلنا امية في دارها • ونحن احق باسلابها •
ولما ابى الله ان تملكوا • نهضنا اليها وقمنا بها •
ونحن ورثنا ثياب النبي • فكم تجذبون باهدابها •
لكم رحم يا بني بنته • ولكن بنو العم اولى بها •
فمهلا بني عمنا انها • عطية رب حبانا بها •
وكانت تزلزل في العالمين • فشدت لدينا باطنابها •

فرد عليه شاعر زمانه وفصيح اوانه الشيخ صفي الدين الحلي بقوله

الا قل لشر عبيد الاله • وطاغي قريش وكذابها •
أأنت تفاخر آل النبي • وتجحدها فضل انسابها •
بكم باهل المصطفى ام بهم • فرد العداة باوصابها •
أعنكم نفى الرجس ام عنهم • لطهر النفوس والبابها •
ام الشرب واللهو من دابكم • وفرط العبادة من دابها •
هم الصايمون هم القايمون • هم العالمون بادابها

هم الزاهدون هم العابدون ... هم الساجدون بمحرابها
هم قطب ملة دين الاله ... ودور الرحى بأقطابها
تقولون ورثنا ثياب النبي ... فلم تجذبون بأهدابها
وعندكم لا تورث الانبياء ... فكيف خصصتم بأثوابها
أبوهم وصي نبي الاله ... وأهل الوصية أولى بها
أجدكم ما رضي بما قلتم ... وما كان يوماً بمرتابها
وكان بصفين من حزبهم ... لحرب البغاة وأحزابها
وصلى مع الناس طول الحياة ... وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم ... وهل كان من بعض خطابها
وإذ جعل الامر شورى لهم ... فهل كان من بعض أربابها
وقولكم انتم بنو بنته ... ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنت أيضاً بنو عمه ... وذلك أدنى لأنسابها
وقلتم بأنكم القاتلون ... أسود أمية في غابها
كذبتم ولولا أبو مسلم ... لعزت على جهد طلابها
وقد كان عبد لهم لا لكم ... رأى عندكم قرب أنسابها
وكنتم أسارى بطون الحبوس ... وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها ... وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزاء ... لطغوى النفوس وإعجابها
فدع في الخلافة فصل الخلاف ... فلست ذلولاً لركابها

ذلت
كذبت

وما

وما أنت والغصن عن شانها ... وما قمصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة ... فما كنت أهلاً لأسبابها
ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف ... وجاؤوا القناعة من بابها
عليك بلهوك بالغانيات ... وخل المعالي لأربابها
ووصف العذار وذات الخمار ... ونعت العقار بألقابها
فذلك شأنك لا شأنهم ... وجري الجياد بأحسابها

ومن السحر الحلال الذي عقد في سلك اللآل ورقمه بقلم البلاغة على صفحات الايام والليال هذا الموشح الذي يصلح وشاحاً لكواكب الجوزاء وإكليلاً للتاج المحلى بنجوم الثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بالسنة الزمان قوله

أيها الساقي اليك المشتكى ... قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته ... وبشرب الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكى ... وسقاني أربعاً في أربع
ما لعيني عشيت بالنظر ... أنكرت بعدك ضوء القمر وإذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت عيناي من طول البكا ... وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى ... مات من يهواه من فرط الجوى خفق الأحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى ... ويحه يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد ... يا لقومي عذلوا واجتهدوا أنكروا شكواي مما أجد
مثل حالي حقها أن تشتكي ... كمد اليأس وذل الطمع
كبد حرى ودمع يكف ... يذرف الدمع ولا يعترف أيها المعرض عما أصف

الهوى

قد نمى حبي بقلبي وزكا • لا تقل في الحب اني مدعي •
ومن تشبيهاته الرائقة واستعاراته الفائقة قوله
ومقرطق يسعى الى الندماء • بعقيقة في درة بيضاء •
والبدر في افق السماء كانه • ملقى على ياقوتة زرقاء •
وله في المثلث وهو معنى بديع
خليلي طاب الراح من بعد طبخها • وقد عدت بعد السكر والعود احمد •
فهاتا عقارا في قميص زجاجة • كياقوتة في درة تتوقد •
يصوغ عليها الماء شباك فضة • لها حلق بيض تحل وتعقد •
وقتني من نار الجحيم بنفسها • وذلك من احسانها ليس يجحد •

كدرهم

وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب اشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعره وغير ذلك ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة لا نطول بها هذه العجالة **ولما** تقرر امر المقتدر في التمكن والاقتدار واستقر خلافته اتم استقرار استوزر ابا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار احسن سيرة واستقر في الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج مونس الخادم على المقتدر فركب وركب معه الجيش والامراء وجاءوا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من داره فنهبوا دار الخلافة وكان مما نهب ستمائة الف دينار لام المقتدر واشهد على نفسه المقتدر بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم الحرام

سنة

سنة سبع عشرة وثلثمائة **فصل** واحضروا ابا المنصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هرون وبايعه مونس الخادم والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير ابي علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابو علي بن مقلة الى الحكام الى سائر البلاد وعمل يوم الاثنين الديوان فجاء العسكر يطلبون انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول الى الخليفة فقتلوا الحاجب ومالوا الى دار مونس واخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على اعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير واتوا باخيه محمد القاهر اليه وهو مقهور يبكي ويقول الله الله يا اخي في روحي فاستدناه المقتدر وقبل بين عينيه وقال له يا اخي لا ذنب لك وانت مغلوب على امرك والله لا ينالك مني ما تكرهه فطب نفسا وقر عينا فلما زال روعه اوى اليه اخاه وقال انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واستقام وثبتت له الخلافة **وهذه** ثالث مرة والثالثة ثابتة **فصل** ومن جملة محاسن المقتدر انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابرهيم وهي الزيادة التي في الجانب الغربي من المسجد ويقال لها زيادة باب ابرهيم وليس المراد به ابرهيم الخليل عليه السلام بل كان ابرهيم هذا خياطا يجلس عند هذا الباب عمرا دهرا فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل باروقة المسجد يقرب باب الحزورة يقال له باب الخياطين وبقربه باب ثان يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة ام الامين بنيتا في سنة ثمان ومائتين وما

مطلب خلافة المقتدر الثالثة

لتلك الدارين اثر الآن والذي يظهر ان دار زبيدة كانتا احداهما في الجانب
الشامي في مكان رباط الخوزي الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليماني من
تلك الزيادة وهو رباط رامشت الذي يعرف الآن برباط ناظر الخاص فادخلت
هذه الساحة التي بين الدارين في المسجد الحرام وابطل البابان يعني باب الخياطين
وباب بني جمح حيث دخلا في المسجد الحرام وجعل عوض البابين بابا كبيرا هو المسمى بباب
ابرهيم في عرض هذه الزيادة قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة ست
وثلثماية في كتاب اتحاف الورى باخبار ام القرى وفيها زاد قاضي مكة يومئذ
محمد بن موسى من الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين وباب بني جمح وهو
السوح الذي كان بين دار زبيدة ام الامين وعمل ذلك مسجدا اوصله
بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التي توازي جدار المسجد الحرام
الى العتبة التي عليها باب ابرهيم سبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع
وعرض هذه الزيادة من جانبها الشامي الى الجانب الغربي وذلك من جدر رباط
الخوزي الى جدر رباط رامشت اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع وفي هذه
الزيادة من جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير صفان من الرواق على اساطين
منحوتة من الحجارة وكذلك من جانبها الشامي ولم يكن في جانبها الغربي رواق
وفي جانبها الشامي سبيل ماء وسط رواقه وكانت بهذه الزيادة منارة
ذكرها التقي الفاسي في شفاء الغرام قلت اما المنارة فلا ادري من بناها ولا
متى بنيت ولا متى هدمت واما السبيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وتسعين
وتسعماية فهدم عند وصول العماير الشريفة السلطانية اليه واعيد بناؤه

سبيلا

سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت في ايام المقتدر العباسي
ومن جملة محاسن المقتدر ايضا انه ابطل من دواوينه استخدام اهل الذمة
من اليهود والنصارى وابطل من دواوينه استخدامهم وتصرفهم في الاموال
السلطانية واعاد الامر بتوريث ذوي الارحام في ساير ممالك الاسلام
واتلف كثيرا من الاموال وافرغ خزاين بيت المال وباع كثيرا من الضياع
حتى ارضى الجند باكمال اعطياتهم وكان يصرف يوم عرفة كل عام من الابل
والبقر اربعين الف راس ومن الغنم خمسين الفا كذا ذكره الجمال يوسف بن
تغري بردي في تاريخه مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة وقال
ابو المحاسن سبط ابن الجوزي كان المقتدر يصرف في كل عام في طريق مكة والحرمين
ثلثمائة الف دينار وخمسة عشر الف دينار وقال الحافظ السيوطي كان النساء
غلبن على المقتدر فاخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفايسها واعطى
بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة مثاقيل واعطى زيدان
القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلها وكان في داره احد عشر الف غلام خصي غير
الصقالبة والروم والسودان وكان مبلغ النفقة على [illegible]
ام المقتدر في كل عام سبعة الاف دينار وانه ختن خمسة من اولاده
فصرف في ختانهم ستماية الف دينار وقدمت رسل ملك الروم بهدايا
لطلب الهدنة فعمل المقتدر موكبا عظيما لارهاب العدو فاقام مائة وستين
الف مقاتل بالسلاح الكامل سماطين من باب الشماسية الى دار الخلافة
ببغداد ثم مر الرسل بينهما في هذه المسافة واقام بعدهما الخدام وهم سبعة

مطلب

الا خادم من الحجاب وهم سبعماية حاجب وكانت الستور التي نصبت على حيطان
دار الخلافة ثمانية وثلاثين الف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة
التي فرشت في الارض اثنين وعشرين الف بساط وفي الحضرة ماية سبع في السلاسل
الذهب والفضة وغير ذلك **وزاد** الجمال يوسف بن تغري بردي من جملة
الزينة شجرة صيغت وصنعت من الذهب والفضة واغصانها تتمايل بحركات
مصنوعة وعلى الاغصان طيور من ذهب وفضة ينفخ الريح فيها فيسمع لكل
طير تغريد وصفير خاص فهذا بعد وهن الدولة العباسية وضعفها
فكيف كانت زينتها في ايام قوة دولتهم في كمال وصفها فسبحان من لا يزول ملكه
ولا يزال ولا يفنى ولا يعتريه زوال ولا يغيره الشئون ولا تحول الاحوال
وهو الله الكبير المتعال لا اله الا هو جل لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا امثال
كون الاكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا تعالى شانه
وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا **فصل** واول ما ظهر
من وهن الخلافة في ايام المقتدر ظهور الطايفة الملعونة التي تسمى القرامطة
لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يبيحون دماء الاسلام وينتسبون
الى موالاة محمد بن الحنيفية من اولاد علي بن ابي طالب رض ويرون كافة ضلال
المسلمين **فاول** خبيث نجس ظهر منهم ابو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر
وسماها دار الهجرة واراد نقل الحج اليها قبحه الله تعالى واخزاه وكثر فتكه في الحاج
وسفك دماء المومنين الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج في ايامه خوفا منه

ومن

ومن طايفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففي اخر سنة سبع عشرة وثلثمائة
لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله ابو طاهر القرمطي
في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطايفين
والمصلين والمحرمين مجردين في احرامهم الى ان قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة المشرفة
وشعابها ثلاثين الف انسان وتلك مصيبة ما اصيب الاسلام بمثلها وركض ابو
طاهر بسيفه مشهورا وهو سكران يصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال
وراث والحجاج يطوفون حول بيت الله الحرام والسيوف تنوشهم الى ان
قتل في المطاف الشريف الف وسبعماية طايف محرم ولم يقطع طوافه علي بن بابويه
وجعل ينشد ويقول • ترى المحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا •
والسيوف تعلوه الى ان سقط ميتا وطمت باشلا الشهداء بير زمزم وما
بمكة من ابار وحفر قد مليت بهم وطلع ابو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار
يقول • انا بالله وبالله انا • يخلق الخلق ويفنيهم انا • وصاح بالحجاج يا حمير
انكم تقولون من دخله كان امنا فاين الامان وقد فعلنا ما فعلنا فاخذ
بلجام فرسه شخص وقد استشهد للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت
وانما معناها من دخله فامنوه فلوى ابو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت
اليه وصانه الله تعالى ببركته بذل نفسه في سبيل الله تعالى والرد على هذا الكافر واخذ الحجر
الاسود واقتلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا يقلعه فاصيب بسهم
من جبل ابي قبيس فما اخطا نحره وخر ميتا وامر اخر مكانه فسقط من فوق
الى اسفل على راسه فهاب الناس عن الاقدام على القلع فمضى ابو طاهر وترك

على رغم انفه وقال اتركوه حتى ياتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم انه يخرج
فيهم وكان ممن قتل بمكة اميرها ابن محارب والحافظ ابو الفضل محمد بن الحسين
ابن احمد الجارودي الهروي اخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلقة باب
الكعبة الشريفة حتى سقط راسه على عتبة باب بيت الله الحرام واخوه
امام الفقهاء الحنفية الفقيه ابو سعيد احمد بن الحسين البردعي والشيخ
ابو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية الشيخ علي بن
بابويه الصوفي والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعي نزيل مكة وجماعة
كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من اهل خراسان والمغاربة
ونهبت اموالهم وسبيت نساهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من
وجد من اهلها وممن اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها
يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي بهمان ونهبت
القرامطة من داره وثيابه وامواله ما قيمته مائة الف دينار وخمسين
الف دينار فافتقر بعد ذلك بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور اهل مكة الى
ان صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون ولم يحج في ذلك
العام احد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فازوا بانفسهم وسمعوا باخوانهم
فوقفوا بدون امام واتموا حجهم متسللين من الموت واخذ ابو طاهر خزائن الكعبة
وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة وحليها وما نهبه من اموال الحجاج ح
فقسمه بين اصحابه واراد اخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم ابراهيم الخليل
عليه السلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة غيبوه في بعض شعاب مكة ونال لذلك

واستدعى

واستدعى بجعفر بن ابي علاج البنا وامره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه
بعد العصر يوم الاثنين رابع عشر ليلة خلت من ذي الحجة ذلك العام وصار
من زندقته يقول فلو ان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغي سوى ربها ربا
وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة واقام بمكة احد عشر يوما وقيل
ستة ايام ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد ان يحول
الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة
مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد وبقي موضع الحجر الاسود من
البيت خاليا يضع الناس ايديهم فيه ويستلمونه تبركا بمحله وامر هذا
الفاجر ان يخطب لعبيد الله المهدي اول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان
اول ظهوره فبلغ عبيد الله المهدي المذكور ذلك فكتب اليه ان اعجب العجب
ارسالك بكتبك الينا مهنئا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت
الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء
المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وفتكت وتجرأت على بيت
الله الحرام وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده
وحملته الى منزلك ورجوت ان اشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله
والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما يجزاه
في غده عملا وصل كتاب عبيد الله المهدي الى ابي طاهر القرمطي وعلم ما فيه

انحرف عن طاعته واستمر الحجر الاسود عندهم اكثر من عشرين سنة يستجلبون
به الناس طمعا ان يتحول الحج الى بلادهم ويابى الله تعالى ذلك والاسلام وشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم وهذه من اعظم مصايب الاسلام واشد وهن في الدين
من اوليك الكفرة اللئام فذابت لها اكباد العباد وعمت فتنتها الحاضر والبادي
الى ان قصم الله تعالى تلك الطايفة القاهرة وابتلى ابو طاهر الخبيث هذا بالاكلة فصار
يتناثر لحمه بالدود ومات اشقى ميتة الى دار الخلود ويعذب بانواع البلا
في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى ولما ايست القرامطة عن تحويل
الحجاج نحوهم بحجرهم ردوا الحجر الاسود الى محله وورد شبير بن الحسن القرمطي
الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثا عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلثماية
ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه امير مكة يومئذ
وهو ظنا ابو جعفر محمد بن الحسن عبد العزيز العباسي فاخرج سفطا فاظهر
اخرج منه الحجر الاسود وعليه ضباب فضة في طوله وعرضه تضبط شقوقا
حدثت فيه بعد قلعه واحضر معه جصا يشد به فوضع حسن بن المرزوق
البناء الحجر الاسود في مكانه الذي قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال
اخذناه بقدرة الله تعالى واعدناه بمشيته وقد اخذناه بامر ورددناه بامر
ونظر الناس الى الحجر الاسود فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك
محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وقبله وتامله فاذا السواد في
راسه دون سايره وسايره ابيض وحضر معهم من حج تلك السنة محمد بن عبد
الملك بن صواف الاندلسي وشاهد رد الحجر الاسود الى مكانه ولما اعيد الحجر

الاسود

الاسود الى مكة حملوه على قعود هزيل فسمن وكانوا لما مضوا به مات تحته اربعون
جملا وكانت مدة استمراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا اربعة
ايام وكان المنصور بن القايم بن المهدي العبيدي بذل لاحمد بن ابي سعيد القرمطي
لابي طاهر خمسين الف دينار ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل الحكم
التركي مدبر الخلافة خمسين الف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فابوا
وقالوا اخذناه بامر ولا نرده الا بامر الى ان اراد الله تعالى رده على الوجه الذي
ذكرناه وفي التواريخ صورة اخرى لهذه القصة رايناها متناقضة وهذه
اصح ما روي فيها فاعتمدنا عليه فعضضنا عليه بالنواجذ ثم ان الحجبة خافوا
على الحجر الاسود من استطالة يد خاين اليه لعدم استحكام بنايه فقلعوه
وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا عمن اراده بسوء ثم امروا
صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة الاف وسبعماية وثمانون درهما
فطوقوا به الحجر الاسود وشدوا عليه به ثم احكموا بناه في محله كما كان
ذلك قديما وكما هو الآن كذلك ايضا وكان قلع الحجر الاسود في ايام المقتدر
ثم وقع بينه وبين مونس حرب فتقاتلوا في المعركة فضربه واحد من البربر من
خلفه فسقط الى الارض فقال الضارب ويحك انا الخليفة فقال الان
المطلوب فذبحه بالسيف ورفع راسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف
العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له مكان ودفن فيه وعفي اثره فسبحان
المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شي قدير وكانت
مدة خلافة المقتدر اولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة الا اياما وقتل لثمان

بقين من شوال سنة اثنين وعشرين وثلثماية **فصل** وولي الخلافة بعده
اخوه ابو منصور محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر بالله وقهر القاهر المذكور وسمل
عينيه وجاؤوا بابي العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضي
بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثماية وصار خليفة الى ان مات
في سنة تسع وعشرين وثلثماية وبويع لاخيه ابي اسحق ابرهيم بن المقتدر
بعده بالخلافة ولقب المتقي بالله وقبض عليه توزون التركي وسمل عينيه
في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثماية وبويع بعده بالخلافة لابن عمه ابي القسم
عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد ولقب المستكفي بالله واستمر في الخلافة سنة
واحدة وامسكه من امرائه معز الدولة ابن بويه وسمل عينيه وضمه الى
المكتفي بالله والقاهر بالله وصار ثلاثة اشخاص في العمى وولي بعده الخلافة
ابو القسم الفضل بن المقتدر ولقب المطيع لله وبويع في سنة اربع وثلثين
وثلثماية **وكان** رد الحجر الاسود من بلاد هجر الى مكانه من البيت الشريف في ايام
المطيع لله هذا وتم امره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلا بني بويه على
الملك وطالت ايامه الى ان خلع نفسه وبويع بالخلافة لولده ابي بكر عبد الكريم
في سنة ثلاث واربعين وثلثماية ولقب الطايع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرايه
وما كان له الا العظمة ظاهرة للعين بحيث الماوردي في سنة تسع وستين وثلثماية
رسول العزيز بالله بن المعز العبيدي صاحب مصر الى بغداد ليسا عضد الدولة
ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالسلطنة من الطايع وبيده امر المملكة ان يزيد في
القابه ويقال له تاج الملة ويجدد عليه الخلع ويلبسه التاج فاجابه الى ذلك

فجلس الطايع على سرير عال واوقف حوله ماية سيف مسلول وبين يديه مصحف
عثمان بن عفان رض وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
وهو متقلد بسيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك كله مما يتوارثه الخلفاء ويجعلونه
لمواكبهم العامة واحتجب بستارة حتى لا يقع عليه نظر الجند قبل رفع الستارة
وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف ارباب الستارة صفين ثم اذن لعضد
الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وادخل رسول العزيز صاحب مصر
فارتاع واهاله ما راى وقال لعضد الدولة هذا هو الله تعالى فقال له عضد
الدولة هذا هو خليفة الله تعالى في ارضه ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات
فالتفت الطايع الى خادمه المقرب عنده واسمه خالص وقال له استدنه
فقربه الى وجه السرير وقدم الى ان قبل رجله فثنى الطايع يمينه على راس
عضد الدولة فامره ان يجلس على كرسي مرصع وضع له قريبا من السرير فاستعفى
عضد الدولة من ذلك فاقسم عليه ليجلس فقبل الكرسي ثم جلس عليه فلما استقر
جالسا قال له الطايع قد فوضت اليك ما وكل الله تعالى الي من امور الرعية في شرق
الارض وغربها فقال يعينني الله تعالى على طاعة امير المومنين وقبل الارض فامر
ان يفاض عليه سبع خلع فافيضت عليه وهو يقبل الارض في كل واحدة
وانصرف وانصرف الناس خلفه وقد هالهم ما راوه واستعظموا ما ناله
وما كانت هذه العظمة الا صورة صناعية وكلفة اصطناعية حقيقتها
واهية وقوتها واهنة فان السلطنة لما آلت الى عضد ابن بويه ركب الطايع اليه ثم
وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق مجوهر وسوره بسوارين ولقبه تاج الدولة

وضياء الملة في سنة تسع وسبعين وثلثماية ثم في سنة احدى وثمانين وثلثماية جاء بهاء الدولة الى الطايع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسي وامر خواصه من الديلم فجذبوا الطايع من سريره ولفوه في كساء وامره بهاء الدولة ان يخلع نفسه ففعل ذلك والله اعلم بالصواب **فصل** وولي ابو العباس احمد بن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان في ذلك العام وكان على غاية من العبادة والديانة والفضل **وصنف** كتابا في الرد على القايلين بخلق القرآن الكريم وامر بقرائته في كل جمعة في حلق اصحاب الحديث بحضرة الناس **وعده** ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدة خلافته حتى انافت على احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر **وتوفي** رحمه الله تعالى في سنة اثنين وعشرين واربعماية

مطلب خلافة القادر بالله

فصل وولي الخلافة بعده ابنه ابو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بامر الله وكان خيرا دينا باهر الفضل الا انه كان مغلوبا بيد امرائه وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسا واربعين سنة ووفاته في شعبان سنة سبع وستين واربعماية وولي بعده حفيده ابو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولقب المقتدي بامر الله وبويع له بالخلافة يوم موت جده بحضرة الامام الكبير الولي الشهير مولانا ابي اسحق الشيرازي احد ايمة الشافعية وكان خيرا دينا نجيب بني العباس وصلحائهم ومن جملة صلاحيته وبركته ان السلطان ملك شاه من آل سبكتكين قصد ان يتحكم عليه ويظهر العسف والخسف على الخليفة المذكور فارسل اليه وهو يقول لا بد ان تترك بغداد

مطلب خلافة القائم بامر الله

وتذهب

وتذهب الى اي بلد شئت فارسل الخليفة يتلطف به في ذلك فابى الا شدة وغلظا فقال لرسوله اسئله المهلة لي ولو شهر فابى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة ايام فامهله فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجي رب الارباب ويدعو على ملك شاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم فنفوذ السهم المسموم في كبد المظلوم واستجاب الله تعالى دعاءه وتقبل تضرعه ونداءه فهلك السلطان ملك شاه قبل مضي عشرة ايام وكفاه الله تعالى شره وما ربك بظلام للعبيد وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدي فهذه عقبى كل ظالم ومعتد **فرحم** الله تعالى من قال

وكم لله من لطف خفي ... يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر اتى من بعد عسر ... وفرج كربة القلب الشجي
وكم هم تساء به صباحا ... فتاتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ... فثق بالواحد الصمد العلي
تمسك بالنبي فكل هم ... يزول اذا تمسك بالنبي

وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا ... ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين ان ترافقها ... يغير الدهر من حال الى حال

وانتباهتها

وكانت وفاة الخليفة المقتدي بامر الله في محرم الحرام سنة سبع وثمانين واربعماية

فصل وولي الخلافة بعده ابنه ابو العباس احمد ولقب المستظهر بالله بويع له بالخلافة يوم مات ابوه **وكانت** امه ام ولد تركية اسمها الطون وكان

مطلب خلافة المستظهر بالله

كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه احد في كتابته حافظاً للقرآن الكريم عالماً
فاضلاً وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته اربعاً وعشرين
سنة وثلاثة اشهر وتوفي يوم الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة
اثني عشر وخمسماية فصل وولي الخلافة بعده ابو منصور الفضل بن المستظهر
بالله ولقب بالمسترشد بالله وبويع له بالخلافة يوم مات والده وامه ام
ولد تسمى لبابة وكان شجاعاً ديناً مشغولاً بالعبادة حفظ القرآن والحديث ونظم الشعر
ومن شعره قوله انا الاشقر المدعو لي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحم
وكان هذا التخييل من حيث الآية الفاسدة فانه ما ملك من الدنيا ولا فناء
داره وخرج الى قتال مسعود محمد بن ملكشاه السلجوقي فلم يقاتله معه احد فقتل
وصل الى ان قتل في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وخمسماية فصل
وولي الخلافة بعده ابو جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله وبويع
له بالخلافة يوم قتل ابوه ولم تطل مدته بل قبض عليه السلطان مسعود
السلجوقي وخلع من الخلافة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة
٥٣٠ سنة ثلاثين وخمسماية وقتل في حبسه فصل وولي الخلافة بعده عمه ابو محمد
ابن المستظهر بالله ولقبه المقتفي بالله وبويع له بالخلافة يوم خلع ابن اخيه
وكان عالماً فاضلاً حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعاً توفي يوم الاحد لليلتين
خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسماية وولي بعده ولده يوسف
ابن المقتفي ولقب المستنجد بالله وبويع له يوم وفاة ابيه وامه ام ولد حبشية
اسمها طاووس ويحكى انه قبل ان يصير خليفة رأى في منامه ان ملكاً نزل من

السماء

السماء فكتب في كفه خمس خاءات فلما اصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال له
انك تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسماية فكان كذلك توفي في يوم السبت
لليلتين خلتا من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسماية فصل وولي الخلافة
بعده ولده ابو محمد الحسن المقتفي بالله ولقب المستضيء بالله وبويع له يوم وفاة
والده وكان حسن السيرة كريم النفس اسقط المكوس في ممالكه وكثر الثناء من الخلق
عليه وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسماية فصل
وولي بعده الخلافة ابنه ابو العباس احمد ولقب الناصر لدين الله وبويع له بالخلافة
لثمان ليال مضين من ذي القعدة وهو اليوم الثاني من وفاة والده وفي ايامه ظهر
السلطان يوسف صلاح الدين بن ايوب واستخلاصه بيت المقدس من ايدي
الفرنج واستيلائه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر
العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين بن ايوب منافرة
بسبب تلقبه به والفاطميون ويقال لهم العبيديون اربعة عشر خليفة اولهم
عبيد الله المهدي واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء
رضي الله عنها وانكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بانهم من اولاد الحسين بن محمد بن
احمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسياً وثانيهم المنصور وثالثهم
القايم ورابعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد العرب الى مصر وملكها من الاخشيدية
وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان
اخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسماية
وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن ايوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر

ومكان هو

وكان السلطان صلاح الدين تلقب به هو

للناصر لدين الله العباسي وانقرضت دولة العبيديين وكانوا ارفاضا سبابين
منهم ملاحدة كالحاكم بامر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة واكثر المؤرخين على نفي
شرفهم والله اعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة خلافة الناصر لدين الله فاحيى رسوم
الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكر صائب وكانت ايامه غرر
الزمان وكان له احسان الى اهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة تكسى الديباج الابيض
في زمن المامون الى اواخر ايام الناصر فكساها الديباج الاسود ثم كساه الحمام
ثياب اكفانه وعزله عن سرير ملكه وتخت سلطانه واودعه بطون المقابر وما له
من قوة ولا ناصر وكانت وفاته في سلخ شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة فصل
وولي الخلافة بعد موته ولده ابو نصر محمد بن الناصر ولقب الظاهر بامر الله وبويع
له بالخلافة في يوم مات والده فبعث منه اليه فاظهر العدل والاحسان وابطل
المكوس وقرب ذوي الارحام وكان العمال تكيل للديوان بكيل زائد على ما يكيلون
به للناس فابطل الظاهر ذلك وكتب الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
الآية فقال الوزير ان تفاوت الكيل يتوفر على ثلاثين الف دينار فقال ابطله ولو
انه ثلاثمائة الف دينار وفرق ليلة عيد النحر على الفقراء مائة الف دينار
فلامه الوزير على ذلك فقال اتركوا فعل الخير في ايديكم كم اعيش فلم يلبث
ان وفاه الله تعالى بالكيل الاوفى واثابه على عمله الصالح الزلفى فعاش حميدا ومات
سعيدا فتوفي في شهر رجب الحرام سنة ثلاث وعشرين وستمائة فصل وولي الخلافة
بعد موت والده ابو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله وبويع له بالخلافة يوم
وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب اهل العلم والدين وبنى المساجد

واستمرت الى زماننا هذا تكسى الديباج الاسود

شهيدا

والربط

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة المستنصرية ببغداد التي لم يبن مثلها
في مدائن الاسلام ولم يوجد في المدارس اكثر كتبا منها ولا اكثر اوقافا عليها
وكان لهذه المدرسة اربع مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربع ورتب
فيها الخبز واللحم والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل
للايتام بيتا ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة سردها الذهبي وغيره
فرحم الله تعالى اهل الخير والاحسان ورفع الله تعالى درجاتهم في اعلا الجنان والهم فعل
الخير سلاطين الزمان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس
بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماير واتقان المهاد وطيب الماء ولطف
الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب
فصل وقد حكي ان اول مدرسة بنيت في الدنيا مدرسة نظام الملك في بغداد
فبلغ علماء ما وراء النهر هذا الخبر فاتخذوا للعلم ماتما وحزنوا على سقوط
حرمة العلم فسئلوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة وجبلة لا تطلبها
الا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتي والمناسبة الطبيعية
ولما جعل عليه الاجرة تطلبه النفوس الرذلة وتجعله مكسبا لحطام الدنيا وتزاحم
عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب الدنيوية الفانية فيبتذل العلم
برذالتهم ولا يشرفون بشرفه ألا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا
لما تعاطته اراذل اليهود ذل برذالتهم ولم تشرف اراذل اليهود بشرف
علم الطب وهذا حال اكثر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شان
طلاب هذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق الخاسر الكاسد فانك

مطلب اول مدرسة بنيت

ترى اكثرهم مع دابه في الطلب والكتابه على فنون العلم والادب يزداد كل وقت
عجبا وكبرا ويتعاظم على كل احد تيها وفخرا ولم يتنق من اطوار الاخلاق
الرذيله ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيله وقل ما يتصل منهم احد الى
الاخلاق الحسنة الجميله والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة
كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طرق الاصول والفروع
فالله سبحانه وتعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينور
بصر بصايرنا ويزيل عوار قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه
ويرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه **قلت** وحيث انجر بنا الكلام
الى ذكر نظام الملك فاذكر لك حكاية لطيفة ذكرها صاحب كتاب فضل الحبيب
ونديم اللبيب فانه ذكر ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان ابي
الفتح السلجوقي قام بالدولة احسن قيام فشيد اركانها واسس بنيانها ووالى
الاولياء واستمال الاعداء وعم احسانه العدو والصديق والقريب والبعيد
وكان اقبل اقبالا عظيما على العلماء والصلحاء والفقهاء وبنى المدارس العظيمه
والخانقاهات العاليه واجرى الخيرات الكثيره والكساوي الجليلة الفاخره
لطبقات طلبة العلم والمشايخ الصوفيه وغيرهم ممن يتوهم فيه الصلاح وعم بذلك
ساير الاقطار من بلاد العراقين الى الحرمين الشريفين بحيث كان يخرج من
خاصة الخالصة السلطانيه والخزاين الديوانيه في هذه الوجوه ما ينوف على
ستمايه الف مثقال ذهب غير الذي ينفقه من خاصة امواله ومحصلات غلاله
وما يدخل عليه من الهدايا وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذي كان

العوار ... الحبيب قاموس

الحجر

والسجن

يخرج

يخرج من اموال السلطنة فطار صيته في الافاق وكثر حساده ولا يخلو السعد
من حساد في كل زمان كما هو مشهود بالعيان في كل اوان وما وجدوا
للطعن على نظام الملك طريقا غير اجحافه في الاخراج من الاموال السلطانيه
في هذه الوجوه فوشوا به الى سلطانه السلطان ابي الفتح من طرق شتى
وكرروا في سمعه ان نظام الملك اخرب بيت المال وان هذه المصاريف الزايده
التي يخرجها في هذه الوجوه يمكن ان تصرف في جمع جيش كثيف يركز رايته
في سور القسطنطينية وكانت يومئذ مدينة النصارى وهي الآن بحمد الله تعالى
دار ملك الاسلام عمرها الله سبحانه بمعدلة سلطان السلاطين الانام وحرسها
بالنصر والتاييد الى يوم القيام وانه يمكن ان يوخذ بذلك الجيش الكثير من الممالك
والاقاليم وتتسع به المملكة ويكثر الخراج والاموال فلما تكرر ذلك على
سمع السلطان اثر كلامهم في قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع
قبله القلب والطبع ولو واهنا واهيا في نفس الامر فطلب نظام الملك وقال
له يا ابي وكان يخاطبه بالاب تعظيما له لكبر سنه وعقله بلغني انك تخرج من
بيت المال في كل سنة ستمايه الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يضرنا فبكى نظام
الملك وقال يا بني انا شيخ عجمي لو نودي علي في السوق ما سويت خمسة دنانير
وانت شاب تركي لو نودي عليك عساك تساوي بالف دينار ولقد اختارنا الله تعالى
وفوض امور عباده وبلاده الينا فلم نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعم الله سبحانه
فاستمرينا في كتابي وضبطي وانت في لذاتك ولهوك منهمكا واكثر ما يصعد الى
الله سبحانه معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين اعددتهم للنوايب

اذا احتشدوا يوما كافحوا اعدائك بسيف طوله ذراعان وسهم لا يبعد مداه
وهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والخمر والملاهي هم احرى بنزول القهر من
نزول الظفر والفتح والنصر فاتخذت لك جيشا كثيفا وعسكرا منيفا يسمى
جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على اقدامها
صفوفا بين يدي ربهم وارسلوا دموعهم واطلقوا بالدعاء السنتهم ومدوا
الى الله اكفهم فرموا سهاما تخترق السموات والارضين وسلوا سيوفا
تعمل في كل حين طولها لا تبلغ الى الصين فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون
وببركاتهم تمطرون وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان ابو الفتح بكاء
شديدا وقال رشا باشا يا ابتا استكثر من هذا الجيش فانه هو الذي لا بد
لنا منه ولما كان كل منهما له قابلية الخير معجونا ما اثر عنده كلام
الحساد مع تكراره الا تاثيرا ضعيفا وزال في الحال وعاد الى حب الخير
الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى على ما فرط من تقصيره فرحم الله تعالى
تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فلقد زالوا وما زالت
اخبارهم تروى واحاديثهم الحسنة تنشر على السنة الرواة ولا تطوى فعدنا
الى ما كنا فيه ومن جملة خدام المنتصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابي
المنتصري العباسي بمكة المشرفة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من
باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى واربعين وستمائة
وذهبت [illegible] والمدرسة باقية الى الآن وقد صار [illegible] بالطاق
محل الدرس وبه كتب وقفها بعض فقهاء اهل الخير ممن ادركناه ومن رحمهم الله

وبلصق

وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام جبريل عليه السلام حجر من الرخام الا
[illegible] فيه منقور بالقلم الثلث ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارة هذا
المطاف الشريف مولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم ابو جعفر
المنصور المنتصر بالله امير المؤمنين بلغه الله تعالى اماله وختم بالصالحات
اعماله وذلك في سنة واحد وثلثين وستمائة وهذا اللوح باق الى زمان
تاليف هذه الرسالة وكانت وفاة المنتصر بالله لعشر بقين من جمادي
الاخرة سنة اربعين وستمائة وكتم موته وخطب له بعد موته الى ان جاء الامير
اقبال الشرابي الى ولده احمد بن المنتصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة
اربعين وستمائة فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء
العباسيين في بغداد وبزواله زالت دولتهم كما سنشرحه ان شاء الله تعالى
وحجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى واربعين وستمائة وهي ام ولد
حبشية اسمها هاجر وكان في خدمتها اقبال الشرابي الدويدار ومعه
الاف خلعة وتصدق بنحو ستين الف دينار وعلق جمال ركب بغداد
تلك السنة فكانت مائة الف وعشرين الف جمل ثم عادت الى بغداد ولما
جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء به عز وجل آلت دولة
آل العباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم
الاحوال ودالت الدولة لغيرهم ولكل زمان دولة ورجال وقال لسان الحال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الدهر من حال الى حال ولكن لتلك
الاسباب وعلة يدور عليها التقلب والانقلاب وكان سبب ضعف خلفاء

مطلب خلافة ابن المنتصر

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن الا خالي البال

بني العباس استيلاء مماليكهم وامرائهم عليهم وتفويض جميع امور المملكة اليهم
وتلقبهم بالقاب السلطان وفرط ادلالهم على مواليهم وامتهانهم غاية الامتهان
الى ان صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولانية يتصرف فيها بالمحو
والاثبات وصار امراؤهم يغشونهم ويغشونهم ويصل ارباب الغرض الى
اغراضهم الفاسدة لما يرشونهم **فاول** سبب زوال الملك ان المنتصر بالله كان
له ولدان احدهما يسمى بالخفاجي كان سديد الراي شجاعا صعب المراس
والثاني المستعصم بالله وكان هينا لينا ضعيف الراي فاختاره الامير
اقبال الشرابي على اخيه الخفاجي ليستبد بالامور ويستقل باحوال الملك
ولا يناله مكروه من المستعصم ولا يخشاه كما يخشى من اخيه الخفاجي فلما
توفي المنتصر بالله اخفى الامير اقبال موته نحو عشرين يوما حتى دبر لولاية
المستعصم وبويع له بالخلافة وفر اخوه الى العربان وتلاشى امره ثم
اعظم سبب الزوال ان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الملك العلقمي صار
وزيرا للمستعصم وكان رافضيا سبابا مستوليا على المستعصم عدوا له
ولاهل السنة يداريهم في الظاهر ويناقضهم في الباطن وكان يدبر على ازالة
الخلافة عن بني العباس واعادتها الى العلويين وطمس اثار اهل السنة واطفاء
نورهم وتقوية اهل البدعة وابقاء ديارهم فصار يكاتب هلاكو خان
ويطمعه في ملك بغداد ويطالعه باخبار بغداد ويخبره عن صورة احوالها
وضعف الخليفة وانحلال العسكر وصار يحمل المستعصم على توفير الخزينة وعدم
الصرف على العسكر والاذن لهم في التفرق والذهاب اين شاءوا ويقطع ارزا

وشدد

ويشدد عليهم بحيث اذن مرة لعشرين الف مقاتل ان يذهبوا اين شاءوا
ووفر علوفاتهم في الخزينة واظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن اموال
عظيمة في بيت المال فاعجب المستعصم رايه وتوفيره وكان يحب المال ويجمع
وما علم انه يجمعه لعدوه **وقد** سئلت بنو امية بعد ذهاب ملكهم
ما الذي كان سببا قويا في ذهاب الملك عنكم قالوا اقواها انا اعتمدنا على
المال واستوهنا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فاخذ العدو مالنا
وتقوى به علينا وانا ابعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو
استئلافا بالمحبة فصار الصديق عدوا بالابعاد ولم يصر العدو صديقا بالاقبال

ومما قيل:
احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق ... فكان ادرى بالمضرة

وكان من قضاء الله سبحانه وقدره ان هلاكو سلطان المغول وجغتاي من
دشت قفجاق زحف على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرار لا يعلم عدده الا
الله سبحانه وكان اقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك السلطان علاء الدين خوارزم
شاه وكان يملك من العراق الى اقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر
وافر وجنود متكاثرة فظهر هلاكو فقابله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى
ان قتل هو واولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل اهلها
بالقتل العام وصار يجول هلاكو في الديار وناره في غاية الاشتعال
والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لاخفاء ابن العلقمي عنهم الاخبار
الى ان وصل هلاكو الى بلاد العراق واستاصل من بها اسرا وقتلا وتوجه الى بغداد

وارسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على
غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله وجمع من
اهل بغداد وخاصة عبيده وحشمه ما يقارب اربعين الف مقاتل لكنهم
مرفهون بلين المهاد ساكنون على شط بغداد في ظل نخيل وماء معين وفواكهة
وشراب واجتماع احباب واصحاب ما كابدوا حربا ولا دافعوا طعنا ولا ضربا
وعساكر هلاكو يتوفون على مايتي الف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب
وباسل وفاتك وقاتل يثبون وثوب القرده ويتشكلون باشكال المرده
يقطعون المسافة الطويلة في ساعات قليلة يخوضون الاوحال ويتعلقون
بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ولا يبالون بالم البرد والحر والسهر
والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد احدهم
يتقوى بطرف اذن فرسه ويقطعه ويأكل نية ويصبر على ذلك اياما
عديدة او يكتفي هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديدة فوقع المصاف
والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخميس الى الخميس في يوم الخميس
عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وصبر اهل بغداد مع ترفههم على
حد السيوف وصبروا مصطبرين على طعم الحتوف واعطوا الدار حقها
واستمطروا غمائم السهام ونبلها وودقها فاستقبلوا النحر وجوههم حتى صعق
المجبور فيها فرزقوا في تلك الكائنة الفوز بالشهادة وارتقوا في الاخرة رتب
السعاده وجادوا بانفسهم في سبيل الله وجادوا واحسن الجهاد واستمروا
كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا واشتد انكسارهم

ويهجرون الغمض والهجوع

وولوا

وولوا الادبار بالادبار وانهزموا وما اغنى عنهم الفرار ومما قيل

ولزهم الطراد الى قتال ... لتحصن سلاحهم منه الفرار
مضوا متسابقي الاعضاء فيه ... لارؤسهم بارجلهم عثار
يرون الموت قداما وخلفا ... فيختارون والموت اضطرار

وغرق كثير منهم في دجلة وقتل اكثرهم اشر قتلة واعقبهم التتار ووضعوا
السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة ايام ما ينوف على ثمانمائة
الف وسبعين الف نفس وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزاين والاموال
واخذ هلاكو جميع النقود وامر باحراق ما في دور مواكب مدارس بغداد في الدجلة
والفرات فكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء
بعد ذلك وكانت هذه الفتنة من اعظم مصايب الاسلام فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم واستوسر المستعصم هو واولاده وجماعته واتوا به الى
هلاكو اسيرا ذليلا حقيرا فسبحان المعز المذل السميع البصير القادر القاهر
تعالى شانه الباهر وعلا سلطانه على كل ذي سلطان قاهر فاستبقى هلاكو
الخليفة اياما الى ان استصفى امواله وخزاينه وذخايره ودفاينه ثم ضرب
رقاب اولاده وذويه واتباعه وامر ان يوضع الخليفة في غرارة ويداس بالارجل
الى ان يموت ففعل به ذلك واستشهد في يوم الاربعاء رابع عشر ليلة خلت من
صفر سنة ست وخمسين وستمائة وانقطعت خلافة بني العباس وهم سبع
وثلثون خليفة اولهم السفاح واخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون
بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما اراده من نقل الخلافة الى من اراد ولم يفد غيره

بغداد

الكتابة الى السواد

يستند

سلامة اهل الحلة من النهب والقتل بمساعدته لهم فكان مجد الدين محمد بن الحسن
ابن طاووس الحلي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي ارسلا كتابا الى هلاكو
على يد ابن العلقمي وفيه كلام يروونه عن علي بن ابي طالب رضه وصورته اذا جاءت
العصابة التي لا خلاق لها تنجو من بابه الظلمة ومسكن الجبابرة وام البلايا
ويل لك يا بغداد ولدارك العامرة التي لها اجنحة كالطواويس وتماثيل كتماثيل
الملح في الماء وياتي بنو قنطوراء ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالمجان
المطرقة وخراطيم كخراطيم الفيلة لم يصلوا الى بلدة الا فتحوها ولا راية الا نكسوها
فلما وصل الكتاب الى هلاكو امر ان يترجم له فلما قراه امر لهم بسهم الامان
وسلموا بسبب ذلك من القتل والنهب وباء ابن العلقمي باثمه واثم من ظلم بسببه
وكان من اهل الرفض وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار قلت واما هذا الكلام
فليس عليها طلاوة كلام علي رضه ولا حلاوته واثار الوضع عليها ظاهرة وكانهم
اخترعوها بعد وقوع الطامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا
لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله سبحانه اعلم بالسرائر
وما تجن الاحشاء والضماير وصلى الله على سيدنا محمد وسلم فصل كان ممن نجا من
سيوف هلاكو من بني العباس ابو العباس احمد ويلقب المستنصر بالله بن
الظاهر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي العباسي فوصل الى مصر وافدا
على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري
في سنة ست وخمسين وستماية فخرج السلطان بيبرس الى ملاقاته واكرمه
واثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف واعانه الظاهر

بيبرس بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثاني ذي القعدة سنة
ست وخمسين وستماية فقاتله قره بغا نايب هلاكو على بغداد فقتل المستنصر
ومن معه ولم ينج منهم الا القليل فلم يتم لهم امر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من
بني العباس ابو العباس احمد ويلقب بالحاكم بامر الله بن المسترشد
ابن المستظهر بن المقتدر العباسي فاكرمه الملك الظاهر ايضا واثبت
نسبه من قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة واجرى عليه نفقة واسكنه
بمصر وليس له من الامر شيء وانما اسم الخليفة واولاده من بعده على هذا المنوال
ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه
ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد
فكانت سلاطين الاتراك يتبركون بهم ويرسلون اليهم احيانا يطلبون
منهم تفويض السلطنة باللسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه
بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو يطلبها فيتبركون بهذا التقليد
ويتيمنون به ولا يخفى ان هولاء ليس لهم الخلافة ولا الصورة كما كان للخلفاء
العباسيين ببغداد المحجور عليهم من جانب امرايهم صورة الخلافة فقط وهولاء
ليس لهم ولا تلك الصورة ايضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه
ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رح عدهم من جملة الخلفاء العباسيين
وكتب تاريخا للخلفاء ذكر هولاء من جملتهم وقام بشانهم واعتبارهم وآخر
من ذكر منهم في تاريخ الخلفاء المتوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب
وانه بويع له بالخلافة في يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة اربع

وثمانين وثمانماية بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة الاعيان
بالقلعة من مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه اختتم كتاب
تاريخ الخلفاء ورايت في تاريخ لطيف للسيوطي ايضا سماه الورقات
في الوفيات في سنة ثلاث وتسعين وثمانماية مات في المحرم فيها الخليفة
المتوكل على الله ابو العز العباسي المصري قال وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه
فلقبه الناس المستمسك بالله انتهى قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله
خليفة الى ان كبر سنه وضعف نظره وتمت ايام الدولة الشريفة العثمانية
وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الافخم السلطان سليم خان بن السلطان
بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وازال عنها مظالم الجراكسة وظلمها وعاد
مع الفتح والبشر الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى توفي الخليفة
المذكور بمصر لعشر بقين من شهر ربيع الاخر سنة سبع وعشرين وتسعماية
فصل وولي الخلافة بعده ولده ابو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل
على الله وكان المرحوم السلطان سليم لما افتتح مصر اخذه معه الى بلاده عوضا
عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم
عاد المتوكل هذا الى مصر ومكث خليفة بها واستمر الى ان توفي ليلة ثاني عشر
شعبان سنة خمس وخمسين وتسعماية في ايام داود باشا الخادم صاحب مصر
وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر ايضا وكان المتوكل
هذا فاضلا اديبا شاعرا لبيبا له شعر حسن ولفظ مستحسن منه قوله
لم يبق محسن يرتجى والحسن • ولا كريم اليه مشتكى الحزن •

وانما

وانما ساد قوم غير ذي حسب • ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني • ضمن قول الطغرائي
ما كنت اوثر ان يمتد بي زمني • حتى ارى دولة الاوغاد والسفل •
وقد اجتمعت به واخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم في سنة ثلاث
واربعين وتسعماية وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة
بالفضلاء الفخام ميمونة بيمن بركات المشايخ الكرام كانها عروس تتهادى بين اقمار
وشموس وقيل ثم انقضت تلك السنون واهلها • فكانها وكانهم احلام •
الباب السادس في ذكر ما عمرته ملوك الجراكسة لان بعضهم اثار واكثرهم
عمر في المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صار من سلاطين
الاسلام واعلم ان الجراكسة جنس من الاتراك في جنوب الارض لهم مداين
عامرة ولهم جبال ومزارع يزرعون ويرعون الغنم وهم تابعون السلطان
سراي قاعدة ملك خوارزم شاه وملوك هذه الطوايف لملك سراي كالرعية
يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والاولاد ويجلبونهم الى اطراف البلدان
والاقاليم هكذا ذكره المقريزي في عقوده قال واستكثر الملك المنصور قلاوون
صاحب مصر من ملوك الاتراك بعد الايوبية ملوك الاكراد اصحاب مصر من
شراء المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وادخلوهم في الخدم الخاصة
فصاروا سلحدارية وجمدارية وجاشنكيرية وامراء وكبروا واعيانهم وسلكوا
طريق استاذهم من ملوك الترك ودخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها
واستكثروا من جنسهم وعملوا لهم قوانين وقواعد ينتظم بها دولتهم وقلد
منهم من اولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة

مطلب

مائة سنة وثمانية وثلاثين سنة **فصل** وأولهم السلطان الملك الظاهر
سيف الدين برقوق بن أنص العثماني الجركسي كما ذكره المقريزي في عقوده وخططه
قال الجمال يوسف بن تغري بردي هو جركسي الأصل قدم بدولة الجمال يوسف الجركسي
جالبه عثمان بن مسافر في ولذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الأتابك يلبغا العمري
وهو من جملة الأتراك الذين مسهم الرق من مماليك بني أيوب المتغلبين عليهم عصر
ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وإنما سمي برقوق لجحوظ في عينيه وتنقلت
به الأحوال إلى أن صار أمير مائة مقدم ألف **وكان** أتابكا للملك الصالح حاجي
ابن الأشرف شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون
من ملوك الأتراك من مماليك الأيوبية الأكراد المتغلبين عليهم غير الجركسية وكان
سن الملك الصالح حاجي لما ولي السلطنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة
غير الاسم فالزم الأمراء الأتابك برقوق أن يخلع الملك الصالح ويتولى السلطنة
بدله فخلعه بعد سنة ونصف وذلك في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان
سنة أربع وثمانين وسبعماية **ومن** آثاره مدرسة أنشأها بين القصرين
كان مشد عمارتها جركس الخليلي فقيل في ذلك العمل

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة ۞ فاقت على إرم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي أن جاءت لخدمته ۞ صم الجبال لها تمشي على عجل

وجهز إلى الحرم المكي مالا لعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبي من
مصر بعد انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا واستغلبوا
على ملك مصر إلى أن كثر شرهم وظلمهم وزاد عسفهم فأزالهم الله سبحانه بعد ذلك

بالسيوف

بالسيوف الصارمة العثمانية وتشرفت بدولتهم القاهرة مصر والتخوت
اليوسفية الكنعانية ملكهم الله سبحانه كافة البسيطة وجعل معدلتهم
ورأفتهم عامة بسائر أهل الأرض محيطة **وكان** الظاهر برقوق متمكنا
من المملكة وجمع الأموال والخزاين وأكثر من شراء المماليك الجراكسة فتمكنوا
من الملك وتلاعبت بعده المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها
بالقوة والغلبة والاستقلال **وكانت** تقع فتن وقتال وجدال وجلاد
وقتل نفوس وحرب بسوس إلى أن يستقر الأمر على واحد منهم فركب في شعار السلطنة — سلطنتهم
واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها من الملوك الأكراد الأيوبية وزادوا
فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولا عندهم فإن العرف يحسن ويقبح وإن
كانت صورة مضحكة عند من لا يألفه ولكل إقليم وضع خاص وسلاطين
ذلك الإقليم تكون مهيبة مهولة في أعين أهل ذلك الإقليم لإلفهم تلك الهيئة
لسلاطينهم **وكان** من شعار سلاطين الجراكسة عمامة كبيرة ملفوفة
بصنايع مكلفة يجعلون في مقدمها ويمينها ويسارها شكل قرون بارزة — سنتهم
من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في موكبه
وديوانه ويلبس قفطانا من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين قطعة طراز
مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار إلا أن ذلك ليس مخصوصا بالسلطان
بل يلبس ذلك من الأمراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز على من أراد
ويحمل على رأس السلطان قبة صغيرة لطيفة في وسطها صورة طير صغير
يظلل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان هو أمير كبير

وظيفته ان يصير سلطانا بعد ذلك واكابر امرائه اربعة وعشرون اميرا
بطبلخانة تضرب على ابوابهم صبحا وعصرا لكل واحد منهم امير مائة مقدم الف
بمنزلة البكلربكية عندهم ويلبس كل منهم عمامة باربع قرون ودون امير
عشرة مقدم مائة بمنزلة الصنجق يلبس كل منهم عمامة بقرنين ودونهم الخاصكية
يكون له فرس وخادم وعلى راسه دنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت
حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على روسهم طواقي من جوخ احمر ضيق
من موضع يدخل فيه راسه وسيع من اعلاه لا يلطا براسه وملبوس اكثرهم
الملوطة البيضا المصقولة يكون على كتفه طرازين من مخمل او اطلس او زركش
وفي اوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها اوساطهم ويسدلون
طرفيها الى انصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس
ويتغالون في اثمانهم الى ان كثروا بمصر وبلغوا من عشرين الف فارس الى
ثلثين الف وكانت لهم اصطلاحات في ترتيبهم وكانت لهم الاطباق ويوظفون
فيها المسلمين من حفاظ القرآن وكان الجلب يدخله سيده اولا الى الطبقة
للخط والاستخراج والصلاة والقرآن بحسب قابليته فقد يفوق في الخط
ومعرفة القرآن والفقه وامور دينه ثم يترقى الى معرفة الثقاف والصراع
ورمي السهام ثم يترقى الى الفروسية الى ان يتفرس في ساير انواع الحرب والحيل
والخداع واللعب بالسيف والعود والسهام ثم يترقى الى الخاصكية ثم الى الامرة
ثم الى الدوادارية والمقدمية ثم الى السلطنة وكان خيال السلطنة في دماغ
كل واحد منهم من حين يجلب الى السوق ليباع الى ان يموت حتى ان واحدا من الجلبان

جلب

جلب وهو حقير فاحش القرعة فاحش العرج قال الدلال الذي يبيعه هذا
يلي الاقرع الاعرج سلطانا في مصر وبالجملة فقد كانوا طوايف سوانح
لهم سماحة وسماحة وصداقة لمن صادقهم وكانت ارزاق مصر بايديهم وكا[ن]
اهل مصر تتلاعب بهم فيما بايديهم من الارزاق وكانت بيد فقهائهم ومباشريهم
فيكون لهم مباشر من المصريين الظرفاء فيكون للجندي فقيه يعلمه القرآن واماما
يصلي به ومكبر ومباشر يكتب دخله وخرجه وخازندار وكتابدار وجامدار
ومهتار وسراج وسايس وجلاق وغير ذلك فاذا ترقى الامير للامرة ترقى
معه خدامه ويرتبون له سماطات حلوى وفواكه وكانوا في رفاهية
وكان اهل مصر يعيشون في ظلهم رغدا بحيث ان اسمطتهم تكفي لساير جيرانهم
وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وساير
النفايس وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من اطعمتهم التي اخذتها خدامهم
من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع
والترب والربط وكانت لهم خيرات زايدة ومبرات عايدة الى ان فشى فيهم
الظلم والعدوان وكثر منهم المصادرات وغلبت سيئاتهم على حسناتهم وزادت
مظالمهم على احسانهم ومالوا الى العوانية والمفسدين واخلوا بشعاير الشرع
والدين فاستجاب الله تعالى فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالم
خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم بالظلم والله لا يحب الظالمين
وان الملك يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين وكانت مدة سلطنتهم بمصر من
سنة اربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وهذا

الكلام وقمع الهين ولنرجع الي احوال الملك برقوق فنقول انه بعد سلطنته
استمر علي حاله سلطانا الي ان اختلفت عليه الامراء ووقعت حروب كثيرة
ثم خلع وحبس في الكرك ثم خرج من الحبس وجمع الجموع وقاتل وغلب علي الممالك الجيوش
واعيد الي السلطنة وصار يتتبع اعداه ومن خرج عليه وخالفه ويقتل
من وافقه الي ان استصفاهم وما صفي له الزمان وظن انه امن وابن
الامان في يد الدهر الخوان ومالت شمس سلطنته الي الزوال وانمحي بدر جبروته بد
من المحاق بعد الكمال ومرض برقوق ولازم برقوق وشاهد الانفصال فعهد
بالسلطنة الي ولده الناصر فرج بن برقوق وطلب الخليفة والقضاة والامراء
واشهد علي نفسه انه ترك السلطنة لولده فرج وسنه عشرة اعوام وعين
الاتابك ايتمش البجاسي لتدبير المملكة وتوفي ليلة الجمعة وقت التسبيح [illegible]
منتصف شوال سنة احدي وثمانماية وفي ذلك يقول احمد المقري
مضي الظاهر السلطان اكرم مالك الي ربه يرقي الي الخلد في الدرج
وقالوا استانا شدة بعد موته فاكرمهم ربي وما جا سوي فرج
وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين الفي الف دينار واربعماية الف دينار
ومن القماش والفرو والاثاث ما قيمته الف الف دينار واربعماية الف دينار
ومن الخيول المسومة والبغال الفارهة ستة الاف ومن الجمال البختية
ستة الاف جمل وكان علي دوابه في كل شهر احد عشر الف اردب شعير وفول
وفي ايام الناصر فرج بن برقوق وقع حريق في المسجد الحرام في ليلة السبت ذكر الحريق الواقع بالحرم المكي
لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنين وثمانماية وسبب ذلك ظهور نار من

رباط

رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من ابواب المسجد الحرام في الجانب الغربي ورامشت
هو الشيخ ابو القاسم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط علي الرجال الصوفية ابراهيم
اصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسماية فتقرر بعض اصحاب الخلاوي
سراجا موقودا في خلوته وبرز عنه فسحبت الفارة الفويسقة فتيلة السراج
الخارج فاحرق ما في الخلوة واشتعل اللهب في سقف الخلوة وخرج من شباكها
المشرف علي المسجد الحرام واتصل بسقف المسجد لقربه منه فما كان اسرع من
اشتعال سقف المسجد والتهب به وعجز الناس عن طفيه لعلوه وعدم وصول
اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تاكل في السقف
وتسير ولا يمكن الناس اطفاها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الي ان
وصل الحريق الي الجانب الشمالي واستمرت تاكل في سقف الجانب الشمالي الي ان
انتهت الي باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم المهول
الذي دخل المسجد في اليوم الثامن من جمادي الاولي في ذلك العام يعني عام
حريق المسجد واخرب عمودين من اساطين المسجد عند باب العجلة بما عليهما
من العقود والسقوف وكان ذلك سببا لوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن
ذلك المكان والا كان يعم المسجد جميعه من الجوانب الاربعة فاقتصر الحريق علي باب
العجلة وسلم الله تعالي باقي المسجد الحرام وهو المسلم والسلام ومما قيل
وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي فصار ما احترق من
المسجد الحرام كوما عظاما يمنع من رؤية الكعبة ومن الصلوة في ذلك الجانب بد
من المسجد الحرام قال النجم بن فهد وتحدث اهل المعرفة بان هذين [illegible]

جليل يقع في الناس وكان كذلك فقدر ووقعت المحن العظيمة بقدوم تمرلنك
الخارجي الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم
ونهب اموالهم واحرق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور في التواريخ المفصلة
قال الحافظ السخاوي في ذيله على دول الاسلام للذهبي وفي اواخر شوال
سنة عشرين وثمانماية وقع بالحرم المكي حريق اتى على نحو ثلث المسجد ولولا العمود
اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق المسجد جميعه واحترق من العمد الرخام
مائة وثلاثون عمودا صارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع
السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأفواه
القرب ثم عم السيل فامتلأ المسجد الحرام حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة الشريفة
من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العجلة عدة اساطين وخرب
منازل كثيرة ومات في السيل جماعة قال التقي الفاسي ثم قدر الله سبحانه
عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهري وكان قدومه الى
مكة المشرفة لذلك في موسم سنة ثلاث وعشرين وثمانماية وكان هو امير الحاج
المصري وتخلف بعد الحج لتعمير المسجد فلما دخل الحجاج الى مكة شرع في تنظيف
الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض وكشف عن اساس المسجد
وعن اساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم وبعض الجانب الشمالي
منه الى باب العجلة فظهر اساس الاسطوانات مثل تقاطيع الصليب تحت كل
اسطوانة فبناها واحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت
الارض وبناها الى ان رفعها على وجه الارض على اشكال زوايا قائمة

وقطع

وقطع من جبل الشبيكة على يمين الداخل الى مكة المشرفة احجار صوان ابيض
منحوتة على نصف دايرة تصير مع اخرى منحوتة دايرة تامة على سمك ثلثي
ذراع ووضعت على قاعدة مربعة منحوتة على محل التقاطيع الصليبي على الاساس
المرتفع عن الارض ووضع عليها دايرة اخرى مثل الاولى ووضع بينهما عمودا
بالطول حديدا منحوتا له بين الحجرين المدورين وسبك على جميع ذلك بالرصاص
الى ان ينتهي طوله الى طول اساطين المسجد الحرام فيوضع عليه حجر منحوت
من الحجر وقاعدة ذلك العمود من فوق ويبنى له خشب مربع يوضع عليه
ويبنى من فوق طاق يعقد الى العمود الاخر ويبنى ما بين ذلك بالجص
والاجر الى ان يصل الى السقف الى الان ثم الجانب الغربي من المسجد الحرام على
هذا الحكم وبقيت القطع التي من الجانب الشمالي الى باب العجلة كملوها
بالقطع من عمد الرخام الابيض موصولة بالصفايح من الحديد الى ان
لاقوا به العمد التي بنوها بالعمد الصوان المنحوتة لعدم القدرة على
العمد الرخام فصارت الجوانب الثلاث من المسجد الحرام بالحجر الرخام والجانب الغربي
بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكملت عمارة هذه العمد
في اواخر شعبان سنة ٨٢٤ ولم يبق غير عمل السقف واخر عمله لعدم وجود خشب
يصلح لذلك بمكة اذ لا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك
طول ولا قوة ويحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند وخشب
الصنوبر والسرو ونحو ذلك ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخير اكماله الى
احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس همة الامير

بيسق على سرعة اتمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومبادرته
الى تنظيف المسجد الحرام الى ان صلح للصلوة فيه وكان ذا همة عالية وحسن
توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وحج الامير بيسق في ذلك العام
وعاد الى مصر ليجهز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام
ن ووصل الى مصر في اوايل سنة ثمانماية وخمسة وكان صاحب مكة يوميذ جد
سادتنا الاشراف ملكة الآن السيد حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان
وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويرغب اليه وهو الذي
يقول فيه شرف الدين بن المقري الشافعي صاحب الارشاد والروض وعنوان الشرف
وغيرها من قصيدة له يمدحه ويتعرض لصاحب اليمن يوميذ بقوله
احسنت في تدبير ملكك باحسن • واخذت في تسكين اخلاط اليمن •
الى ان يقول: موسى هزبر الطاق الذي في الحرب لكن ابن موسى من حسن •
هذا كريم يمن وما سلمت لكم يمن وذا في الشام لم يدع اليمن •
ومن جملة خيره وآثاره انه لما راى رباط رامشت وما آل اليه بعد الحريق
الى ان صار سباطة بذلك المحل امر باعادته رباطا للفقراء كما كان اولا ووقف
من ماله عليه الى ان عاد احسن من الاول وزالت السباطات من ذلك المكان
وانصان الحرم الشريف وتضاعفت ادعية الناس له بسبب ذلك والله يجزي
المتصدقين ويسمى الآن رباط ناظر الخاص الله رحمه وعمر بعد الهد
في اوايل القرن العاشر وهو من طايفة المباشرين بديوان السلطنة بمصر
في خدمة السلطان جقمق العلايي ومن بعده وكان من اهل الخير وفي سنة ٨٠٧

سبع

سبع وثمانماية قدم الى مكة الامير بيسق لعمارة سقف الجانب الغربي من
المسجد الحرام وغيره مما تشعث من سقف المسجد من كل جانب فنهض الى هذه
الخدمة واحضر الخشب المناسبة لذلك وجلبه من بلاد الروم وهيأ العمل
السقف ونقشه بالالوان وزوقه واستعان بكثير من خشب العرعر الذي يوتى
به من جبال الحجاز من جهة الطايف لعدم وجود خشب الساج يوميذ في مكة
وبذل همته واجتهاده الى ان سقف جميع الجانب الغربي من المسجد واكمله بخشب
العرعر المذكور وعمر معه بعض الجانب الشامي الى ان بلغ الى باب العجلة وتمم
ف عمارة المسجد على تلك الاسطوانات المنحوتة من الحجر الصوان وعلق في تلك السقوف
سلاسل من نحاس وحديد لتعليق القناديل من الرواق الوسطاني من الاروقة
الثلاثة على حكم ساير المسجد غير ان الجانب الشرقي واليماني واكثر الشامي الى باب
العجلة كان في كل عقد من العقود التي تلي صحن المسجد ثلاث سلاسل واحدة
في وسط العقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل واما
هذا الجانب الغربي فكان فيه السلاسل على هذا الحكم فلما احترق هذا الجانب واعيدت
عقوده لم يتركب فيها هذه السلاسل ولا ادري هل كانت هذه السلاسل التي
خارجة عن الاروقة تحت عقود البرانية منها تعلق فيها القناديل احيانا
ام كانت لمجرد الزينة ولم اطلع على ذكر قناديلها ولا كيف كانت ومتى بطلت وكمل
عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في
٨٠٧ سنة ثمانماية وسبعة وعمر مع ذلك في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من
سقفه كان قد انكسر اعوادها ومال بعضها وكان يسيل منه الماء الى المسجد الحرام

فاصلح الامير بيسق جميع ذلك بالطبطاب والنوره في سطح السقف وجلكه
وسواها وانفق عليه وعمر ما في صحن المسجد من المقامات الاربعة التي وضعت
للمذاهب الاربعة علي الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الاموال العظيمة
وشكره الناس علي ذلك وكان ذلك في ايام الملك الناصر زين الدين ابي السعادات فرج
ابن برقوق بن انص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد ابيه عند
وفاته كما تقدم صبيحة يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٨٠١ وصار الامير
الاتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الامير يشبك خازنداره فوقع بينهما منافره ثم
ادت الي مشاجرة ثم الي مقاتلة فانكسر ايتمش فهرب الي نايب الشام الامير تنم الظا
فجيش جيوشا الي مصر لقتال الناصر ويشبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا
منه واضطربت احوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تمرلنك الي بلاد الشام
واخذها من يد سودون الظاهري فاسره وقتله وخرب الشام واخرب ديار
الدول وخرج الناصر فرج بجيوشه التي بمصر لقتال تمرلنك فوجده قد
ترك البلاد وتوجه الي بلاد الروم فاعطي الشام لتغري بردي وعاد الي مصر
وذلك في سنة ٨٠٣ ثم كثرت الفتن في مصر من الامراء الظاهرية مماليك الظاهر
برقوق واختلت الاحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الي ان ضجر فرج من
ذلك وهرب من القلعة سادس شهر ربيع الاول سنة ٨٠٨ ثمان وثمانماية واختفي عند
سعد الدين بن غراب احد رؤس المباشرين فاخفاه عنده فلما اصبح الامراء وفقد
السلطان اقاموا في السلطنة اخاه الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق
ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت امور المملكة في ايامه لصغر سنه واختلاف

امراء

امراء دولته وكيف تستقيم الملك مع الخلاف والحال انه لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وكانت مدة ملك المنصور شهرين وعشرة ايام فظهر الملك
الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه امراء من مماليك ابيه واخذ
القلعة بالحرب من اخيه الملك المنصور عبد العزيز وفرج تسلطن ثانيا في يوم
الجمعة الاربع مضين من جمادي الاخرة سنة ٨٠٨ ونفي اخوه الملك المنصور
عبد العزيز واخا له اسمه ابرهيم الي الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين
ثاني شهر ربيع الاخر سنة ٨٠٩ واتهم الناصر بقتلهما والله سبحانه اعلم ثم صار الملك
فرج الناصر يتتبع اعداءه من الامراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد فتجمعوا
عليه وخرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم وخرجوا عنه الي الشام فتبعهم
فصاروا يمكرون به ويهربون عنه ويتعبونه في طلبهم مع غاية الاحتراز
منه والحرب خداع ومخالفة الجم الغفير والجمع الكثير لا تستطيع الي ان ملّ
منه الخدم والاتباع وتفرقوا عنه وسيموا من الاتباع وهو يتبعهم بالجد
في الطلب الي ان صادفوه في طلبهم بعد التعب والاعيا وهو ومن معه
اتعبوا خيولهم في طلب العدو من العشاء الي الصباح واشرفوا في الصبح
علي الامراء العصاة عليه وهم بطول الليل في الراحة والارتياح فحمل
السلطان الناصر فرج ومن معه وهم نفر قليلون حقيرون علي امرائه
العاصين له وهم متوفرون كثيرون فمنعه اصحابه من هذه الحملة وعلموا
انه هو ومن معه في غاية التعب والقلة فلم يطعهم واطاع غروره وجهله
واغتر بشجاعته وحوله وظن انه لا يقابله احد لعزته وطوله ولانه

يقاتله احد لهيبته ودولته فدلاه خياله الى سد لغروره وخاطنته كما
يحبط ظن كل مغرور وخانه الزمان الفاسد الجاير ودارت عليه الدوائر وانقلب
اليه بصره وهو حسير وظفر به عدوه الحقير وقيد وهو اسير كسير وقل ما للناصر
نصير ومَا جاء الفرج فيما الا ببشرى الشهادة والى الله المصير وطعن بعد المقاتلة
بالسكاكين الى ان انقطع منه الوتين وسكن منه الانين فصار عبرة للناظرين
وهو محبوس مقيد بايدي القاتلين في ليلة السبت منتصف شهر صفر سنة خمس عشرة
وثمانماية ثم القي بعد هذه القتلة على سباطة مزبلة وهو عريان عن اللباس بمرا من
الناس ينظرون الى ذلك البدن الممتهن والجسد العاري الممتحن وذلك من اعظم
العبر واكبر المحن الى ان حنن الله تعالى عليه بعض الانام بعد عدة ايام فحمله وغسله
وادرجه في كفن وواراه في التراب في مقبرة باب الفراديس ولعل الله سبحانه سامحه
واسكنه الفراديس والرجا من الله سبحانه ان يكون قد غفر له فان السيف محا
الذنوب والله سبحانه علام الغيوب ومن العماير الحرمية في ايامه تجديد
عقد المروة بعد سقوطه في سنة احدى عشرة وثمانماية ومنها ان تاجرا
يسمى الخواجا حسين بن محمد الشهرواني اوصى في مرض موته ان يصرف على عمارة
عين مكة من ماله عشرة الاف درهم وان يعمر الميضاة الصغير بشبيكة بخمسة
الاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام المذكور ووقع في ايام الناصر
فرج ايضا ان سلطان بنكالة من بلاد الهند اقصى الهند يومئذ السلطان
غياث الدين اعظم شاه ابن اسكندر شاه ارسل الى الحرمين الشريفين صدقة
كثيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على اهل الحرمين ويعمر له بمكة

مدرسة ورباطا يوقف على ذلك اوقافا ويصرف ريعها على افعال الخير
كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت
المذكور باوراق سلطانية الى الشريف السيد حسن بن عجلان شريف مكة
يومئذ جد اشرافنا الآن جمل الله تعالى بوجههم الزمان وكان وصول ياقوت الغياثي
الى السيد الشريف حسن المذكور مع هدايا جليلة فقبلها وامره ان يفعل ما امر
به السلطان غياث الدين لكنه اخذ ثلث الصدقة على معتاده ومعتاد
ابائه واجداده ووزع الباقي على الفقهاء والفقراء بالحرمين فعمهم ونهض عن
الدعاء له بالخير والثناء عليه واشترى ياقوت الغياثي لعمارة المدرسة
والرباط دارين متلاصقتين على باب ام هاني هدمهما وبناهما في عامه
رباطا ومدرسة واشترى اصيلين واربع رحبات وجعلها وقفا على
المدرسة وجعل لها اربع مدرسين من اهل المذاهب الاربعة وستين طالبا
ووقف عليهم ما ذكرناه واشترى دارا مقابلة للمدرسة المذكورة بخمسماية
مثقال ذهبا وقفها على مصالح الرباط واخذ منه السيد حسن بن عجلان الدارين
اللتين بناهما رباطا ومدرسة والاصيلين والاربع رحبات في قراره عن الدكاكين
اثني عشر الف مثقال ذهبا واخذ منه قدرا لا يعلم قدره كان جهزه معه سلطانه
لتعمير عين عرفة فذكر السيد حسن المذكور انه يصرفه على عمارتها ويقال
ان قدره ثلاثون الف مثقال ذهبا ولما قتل الناصر فرج بن الظاهر برقوق
على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم احد من امراء الجراكسة على التلبس بالسلطنة
فولي المستعين بالله العباسي وكان القايم بتدبير المملكة شيخ المحمودي ثم خلع

ملك سلطنة المؤيد شيخ المحمودي

هر

المستعين بالله وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان سنة
خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان اصله من مماليك الظاهر
برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمود الهروي وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل
قدره وفي ايامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الغرارة الحنطة وهي
حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان عاما في جميع المأكولات وكان ذلك
في سنة خمس عشرة وثمانمائة ايضا ومن عجيب ما وقع في ذلك ان جملا كان لجمال
يقال له القاروني حمله فوق طاقته فهرب منه في جمادى الاخرة في تلك السنة
ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت الشريف والناس حوله يريدون امساكه
وهو يعضهم ولا يمكن احدا من امساكه ومن نفسه فتركوه الى ان تم له ثلاثة
اسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك
تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى والقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين
الصفا والمروة ودفنوه هناك وفي سنة ستة عشر عمرت اماكن من سقف المسجد
وعقدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد الحرام وفي هذه السنة عمر شريف
مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد شريف مكة الآن السيد حسن
بالجانب الشمالي من المسجد البيمارستان الذي كان وقفا للمستنصر بالله العباسي
فخرب ودثر فاستأجره من قاضي القضاة يومئذ القاضي جمال الدين محمد بن
محمد بن ظهيرة الشافعي اجارة طويلة مائة عام باربعين الف درهم واذن
القاضي جمال الدين ان تصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب من البيمارستان
المذكور ويهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمم ما يحتاج الى الترميم وان ينتفع به

طلبغا الناصري واعتقه وجعله امير عشرة ثم صاحب طبلخاناه
ثم مقدم الف ثم ولي نيابة طرابلس ثم امرة
تيمور لنك لما اسر نواب البلاد الشامية ثم
هرب منه ووقعت له امور مع الناصر فرج
من الخروج عليه وعصيانه الى ان آل الامر الى
ان صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد
الشامية وتوجه الى قتالهم مرارا كثيرة وافتتح
الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه
الم المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب
المحفة وكان شجاعا مقداما مهابا وكانت
اسواق ذوي الفنون نافقة عنده لحذقه
وذوقه صح

مدة

ره

مدة اجارته فشرع السيد الشريف حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة
حسنة وجدد فيه ابوابا وصهريجا ووقف جميع ذلك بما عمره وبما يستحق
الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى والمنقطعين بأم القرى ووقفه
علوا وسفلا وينتفعون بالاقامة والسكنى فيه لا يزعجهم احد ولا يخرجهم
من بيتهم ولا الى ان يحصل الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم فاذا خلا
البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة
المشروحة وجعل النظر في ذلك لولديه بركات واخيه ثم من بعدهما للارشد
فالارشد من ذريتهما المذكورين الذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن
وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي رضي الدين ابو حامد محمد بن عبد الرحمن
الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة
وثمانمائة وانما استحكم فيه المالكي لان متاخريهم اجازوا وقف الحنفي فيه وهو
خلاف رأي ابي حنيفة والشافعي رحمهما الله واستمر الى ان خرب ودثر واستبدل
مرارا آخر ذلك في دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان
سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط السلطان
الهندي السلطان احمد الكجراتي ورباط الخواجا الظاهر واشتريت دور اخر وعمر
في مكانها المدارس الاربعة السليمانية لاهل المذاهب الاربعة وسيأتي ولعله
مدرسة الحنفية ساكنا فيها جزى الله تعالى خيرا من كان سببا في انشائها
بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم
الى الحج الشريف احمد من خواص مماليك السلطان المؤيد شيخ المحمودي فرأى جانب

مطلب وقف المنافع جائز عند المالكية

وسيأتي

باب الكعبة الايمن محتاجا الي التحلية فاخرج من ماله ما يقارب مايتي درهم فضة
خالصة فبراه ثم طلاها بالذهب وفرغ من عمل ذلك قبل الصعود الي عرفة وشكر
الناس صنعه علي ذلك وعرفوا تعظيمه لبيت الله الحرام واثنوا علي همته والخير
يذكر ولو بعد حين ۞ وفي اواخر سنة ثمانية عشر وثمانمائة ارسل الملك المويد المذكور
منبرا حسنا الي المسجد الحرام ودرجة يصعد عليها الي الكعبة الشريفة ووصل ذلك الي
مكة في الموسم وخطب الخطيب علي المنبر الجديد خطبة التروية في سابع ذي الحجة
وارسل الملك المويد ايضا صدقة كثيرة لتفرق بالمسجد فتولي تفرقتها الامير
تغري برمش باش الترك المقيمين بمكة ۞ ولسبع مضين من شهر ربيع الاول
٨٢٢ سنة هدمت ظلة المؤذنين التي فوق زمزم لحصول خشبها وتآكله وبنيت
بالحجر المنحوت ووسعت احواض زمزم واتقن عملها وفرغ منها في شهر رجب من
هذه السنة ۞ وفيها عمرت قناة عين بازان لان السيل كان قد اخربها
فانقطع ماء العين فجرت الي ان جرى الماء وامتلات البرك التي في المعلا
ورخص الماء بعد غلوه ۞ وكانت وفاة المويد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع
خلون من المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة ٨٢٤ وقد ناف علي الخمسين وكانت مدة
سلطنته ثمان سنين وخمسة اشهر والله يولي ملكه من يشاء ۞ فصل وتسلطن
بعده ولده الملك المظفر ابو السعادات احمد بن المويد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين
تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام
وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار مدبر مملكته الامير ططر امير مجلس
اتابك العساكر وخالف عليه امراء الشام فتجهز اليهم ططر ومعه الملك

ملك احمد بن المويد شيخ

المظفر

المظفر احمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الي ان صفي له الملك فخلع
الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة
اربع وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر احمد بن المويد شيخ الي مصر واستمر
بالقلعة الي ان نقل الي الاسكندرية فتوفي فيها مطعونا في سنة اربع وعشرين
وثمانمائة وكان مدة سلطنته سبعة اشهر وعشرين يوما ونقلت جثته من
الاسكندرية الي مصر ودفن بالجامع المويدي داخل باب زويلة ۞ فصل
وتسلطن بعده السلطان ابو الفتح سيف الدين ططر الظاهري في يوم الجمعة
لليلة بقيت من شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك
الجراكسة واولادهم بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق واعتقه وقدمه
ولا زال يترقي في الخدم حتى صار عند المويد راس نوبة النوب ثم امير مجلس ثم تسلطن
كما ذكر وتلقب بالظاهر لقصد سادات فمهد مملكة الشام وقتل نايبها وقبض
علي الامراء المخالفين له وقدم الطايعين له ۞ وله اثار جميلة ومقاصد حسنة
جليلة من اعظمها انه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان الف دينار ذهبا
تحمل اليه من خزينة مصر في كل عام وجعل ذلك له في مقابلة ترك المكس علي
الخضرة والفواكه وغيرها بمكة وامر ان يكتب عهده واعترافه بذلك
علي سوار المسجد الحرام من ناحية باب السلام ومن ناحية باب الصفا من اسقاط
المكس الذي كان يوخذ منها ومن غيرها من انواع الماكول وان لا يكلف من في
مكة المشرفة التجار علي اخذ القرض منهم والسوار المكتوب عليها هذا العهد
موجودة الي الآن في المسجد الحرام ثم لما ملك الملك الظاهر ططر المذكور مملكة ال

ملك سلطنة الظاهر ططر

وحاج عاد الى مصر فمرض في اثناء الطريق وصار يتعلل الى ان دخل مصر وجعل
فيه موكبا ولزم الفراش ولم يتهن بالسلطنة وما كمل فرحته بالملك وما
امهله الدهر الى ان سلبه الملك واسلمه الى الهلاك وتوفي في يوم الاحد
لاربع مضين من ذي الحجة سنة اربع وعشرين وثمانماية وكانت مدة سلطنته
اربعة وتسعين يوما فصل وتسلطن بعده الملك الصالح محمد بن
الظاهر ططر في يوم موت والده وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك
الجراكسة واولادهم وصار اتابكه ومدبر مملكته الاتابك جاني بك الاتابك
الصوفي الى ان تغلب على الاتابك برسباي الدقماقي وقبض عليه وارسله الى
الاسكندرية وصار مكانه اتابكا واستبد بامور المملكة والملك من
غير مشارك فخلع السلطان الصالح وتسلطن عوضه في يوم الاربعا الثاني
عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانماية وكانت
مدة سلطنته ثلاثة اشهر واربعة عشر يوما واستمر الملك الصالح بعد الخلع
عند والدته في القلعة الى ان توفي بالطاعون سنة ثمن وعشرين وثمانماية وعمره
نحو العشرين عاما فصل وولي بعده برسباي السلطنة وتلقب بالملك
الاشرف سيف الدين ابي النصر برسباي الدقماقي وهو الثامن من ملوك الجراكسة
بمصر اخذ من بلاد جركس وبيع في بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام
فاشتراه الامير دقماق الظاهري نائب السلطنة وقدمه الى الملك الظاهر برقوق
فقربه واعتقه فصار في الحال ولاه الملك المؤيد شيخ مقام الغز وجرت عليه
نكبات وحبوس الى ان ولي الملك الظاهر ططر فقربه وانعم عليه بتقدمة الف ثم

جعله دوادارا واستمر على ذلك الى ان تسلطن على الوجه الذي قدمناه واستمر
هو في السلطنة مدة طالت وحسنت ايامه ومن جملة مناقبه انه اخذ
بلاد قبرس واسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانماية وهو في تخت ملكه بمصر
لم يتحرك وكان عاقلا مدبرا سيوسا ذا وقار وسكينة متجملا في ملابسه وموكبه
محبا لجمع المال واشترى من ماله ثلاثة الاف مملوك جركس وعمر بالقاهرة المدرسة
الاشرفية وهي من محاسن مدارس مصر ووقف عليها اوقافا كثيرة وعمر جامعا
عظيما ايضا بخانقاة سرياقوس ووقف عليه اوقافا كثيرة وفي اوائل
سلطنته ارسل الامير مقبل القديدي وامر بعمارة اماكن متعددة بالمسجد الحرام
كان قد استولى عليها الخراب فاحسن بناها وجدد كثيرا من سقف المسجد كان قد
تاكلت اخشابه وكذلك صوب سطح الكعبة وكانت الاخشاب التي يربط فيها
كسوة الكعبة قد تاكلت وذابت فقلعها ووضع عوضها اخشابا جديدة
محكمة بمسامير كثيرة من الحديد واحكم ذلك غاية الاحكام واتقنه نهاية
الاتقان وفي سنة ٨٢٦ امر الملك الاشرف برسباي اميرا له بمكة يقال له مقبل
القديدي الاشرفي ان يقلع الرخام الذي هو مفروش في باطن الكعبة وجدرانها
من داخل لتخربه وتقلعه وان يجدده برخام جديد وان يعيد ما كان جديدا
غير مكسر وكذلك يصلح الاساطين التي في جوف الكعبة ويحكمها وذكر شيخ
الكعبة انه سمع صريرا في سقف الكعبة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى
احدى الاسطوانات التي تلي باب البيت قد مال راسها عن محلها فاعادها الى
محلها واحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الملك الاشرف برسباي

في لوح رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق فيه
الى الآن وكان مشد العمارة هو الامير مقبل القديدي الاشرفي والناظر عليها
الخواجا علي الكيلاني تاجر السلطان وحضر العمارة شيخ الكعبة وناظر الحرم
الشريف والقضاة الاربعة والمعلم جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ غ
من هذه العمارة في صفر وفي اول هذا العام عمر الرخام الذي في ارض الحجر في
باطنه وظاهره واعلاه واسفله على يد الامير مقبل المذكور وفيها عمر باب
الجنائز احد ابواب المسجد الحرام الواقع امام رباط العباس وانما سمي باب الجنائز يز
لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلوة عليها فيه وجرت
عادة اهل الحرمين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة
وكذلك اهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد ويقفون بها امام وجه النبي
صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام
الشافعي والامام مالك والامام احمد بن حنبل ايضا رضي الله عنهم واما السادة الحنفية
رضي الله عنهم فيقلدون في ادخال الجنائز الى الحرمين الشريفين اولئك الائمة لتجويز
هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رض عدم جواز ادخال
الميت المسجد وطالما تصفحت كتب الفتاوى وتصفحت عن الرواية عن رواية عن ائمتنا
بالجواز الى ان ظفرت بعون الله سبحانه برواية عن ابي يوسف في جواز ذلك وهي رواية
عن ابي حنيفة رض ففرحت بها كثيرا كاني ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من
مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين فعض عليها بالنواجذ واعتمد
على ما افتيت به في هذه المسئلة فقد ذكر علماؤنا رض ان كل قول له ابو يوسف

اوالامام

مطلب سوال رفع الى المولف في دخول الموتى الى الحرمين

او الامام محمد او الامام زفر فهو رواية عن ابي حنيفة رض وحيث ثبتت هذه
الرواية عن ابي حنيفة فهي قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فالاخذ بها
تصحيحا لعمل جيران الله سبحانه وجيران رسوله عليه السلام في الحرمين
الشريفين في صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتاثيم من سلف مع
وجود المسوغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي يقلده وقد رفع
الي سوال في ذلك صورته ما قولكم في مسئلة الصلاة على الميت في المسجد
الحرام المكي ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي
ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو عمل اهل الحرمين الشريفين قديما
وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن ام لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب
ابي حنيفة رض كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثمون على
ذلك وهل يأثمون السلف الصالح على ادخالهم موتاهم الى مقابلة وجه النبي صلى
الله عليه وسلم طلبا لبركته ويمن جهته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي بنص
الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى
المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منطرحا في باب مولاه الكريم ويحرم من
هذه البركات كلها ويأثم من ادخله مواطن هذه الرحمة والخير افتونا ماجورين
فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب اعلم رحمنا الله تعالى واياك ان فضل المسجد
الحرام وروضة النبي صلى الله عليه وسلم ونزول الرحمة فيهما على من حل بهما امر واضح
لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله تعالى حسن
وقد تواطأ اهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم قديما وحديثا من

صدر السلام والى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا لمزيد التبرك والاستنزال للرحمة
ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأبي عن ذلك او الانكار على فاعله مع
انه سايغ في مذهب غير الامام ابي حنيفة رض من الايمة والمجتهدين رض فلا نقدر م
على تاثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واختلاف
المذاهب رحمة ويجوز للمقلد الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسايل
وان خالف امامه ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا في المحيط البرهاني عن
الامام ابي حنيفة رض وعن الايمة المجتهدين فلا نقدم على تاثيم السلف الصالح
فيما فعلوه طلبا للرحمة وقد وجدت نقلا صريحا في المحيط البرهاني عن الامام
الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رض وصورة ما نقل
وانما تكره الصلاة على الجنايز في المسجد الجامع والمسجد الحي عندنا وقال الشافعي رض
لا تكره وعن ابي يوسف رض وانه في رواية كما قال الامام الشافعي رض وفي
رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى
وترجح عندي ان افتي بالجواز من غير كراهة واعتمد على هذه الرواية لان
الظن بالسلف الصالح وكفى بابي يوسف قدوة في هذه المسيلة فاعلم ذلك
واحفظه فانه نفيس والمتجهد مع الجاهدين على ان الكراهة كراهة تنزيه
نص عليه الامام العقيلي فيما نقله عن الامام الزاهدي قاله الفقير قطب الدين
الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى باخبار ام
القرى في حوادث سنة تسع وعشرين وثمانماية وفيها عمر الامير مقبل القديدي
باب الجنايز على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق اعتاب باب الجنايز انتهى

جدر

جدر المسجد الحرام المقابل للرباط المراغي وتحرر خارج هذا الباب والباب الاخر
وازيل الحاجز الذي كان بينهما وازيلت الاسطوانتين الرخام اللتين كانتا
تليان هذا الحاجز وعمره بحجارة منحوتة حتى ارتفع وعمر اماكن بهذا الموضع
بين باب علي وباب العباس رض وموضع اخر يتصل بباب الافضلية انتهى
قلت رباط المراغي هو الآن محل مدرسة السلطان الاشرف قايتباي
التي هي منزل امير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الافضلية هي من
اوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد الحرام اصلهما باب واحد
يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار
السيدة خديجة في هذا الصعاب ويقال له الآن باب الحريريين لان الحرير الحريريين
يباع خارج هذا الباب قلت وعادة الناس في زماننا ادخال الجنايز من
باب العباس ويخرج من باب السلام وانا ارجح ان تدخل الجنايز وتخرج من باب
الحريريين ما بين مدرسة قايتباي ودار الخواجا محمد بن عباد الله لان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد الحرام ويخرج منه ولا شك انه
اكثر بركة وخير من سائر ابواب المسجد وانما يقال له باب القفص لان الصاغ
يصيغون بقرب هذا الباب الحلي في اقفاص للبيع قال النجم عمر بن فهد وفيها
عمر الامير مقبل المذكور عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من
الدكة المنسوبة الى القاضي ابي السعود بن ظهيرة الى باب العجلة جاور مقام
الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب لان عقود الصف
الثالث والحكم للاساطين التي عليها هذه العقود وهو سبع اساطين في الرواق

الاول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجدار المسجد
وجدد في ابواب المسجد باب العباس وهو ثلاثة ابواب وباب علي وهو ثلاثة
ابواب ايضا والباب الاوسط من ابواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو
باب واحد وباب الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمّم
باقي ابواب المسجد وبيّض عاليه واصلح سقفه وكان ذلك على يد الامير مقبل
المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس وفي هذه السنة
جدد الملك الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من
داخل وازال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة
الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي تلي باب
العجلة على يسار الداخل الى المسجد وهي مدرسة وخلاوي للفقراء في غاية
الاستحكام والاتقان وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل
الى جانب المدرسة باقية الى الآن بيد الخزاندارية مقام الحنفي يسكنها
الاعيان الواردون الى الحج الشريف وكان عليها اوقاف بمصر دثرت الآن وبنى
عبد الباسط سبيلا وحفر بيرا في طريق العمرة على الثنية على يسار الذاهب
الى العمرة موجود الى الآن بقرب الموضع الذي يسمى فخ بالفاء والخاء المعجمة
فيه مدفن الامام ابي عبد الله الحسين بن علي بن حسن المثلث ابن الحسن بن
علي بن ابي طالب رضه وكان احد الاجواد في الاسلام وكان يقول ما اظن اجرا
فيما اعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون ووالله ما هذا عندي وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خروجه

ع

على الهادي العباسي بمكة المشرفة وقاتل خالد اليزيدي ومن معه من جنود
العباسيين وهزمهم ثم وصل سليمان بن محمود بجنود اخرى من
قبل الهادي ونزل الحسين بن علي بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل
هو وجماعة من شيعته اشراف بني حسن وحملت رؤوسهم ومن مائة
راس يقدمهم راس الحسين بن علي صاحب فخ الينبعي وروى ابو الفرج الاصبهاني
في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى النبي صلى الله عليه
وسلم الى فخ فصلى باصحابه صلاة الجنازة ثم قال يقتل ههنا رجل من اهل
بيتي في عصابة من المسلمين ينزل لهم باكفان وحنوط من الجنة تسبق
ارواحهم الى الجنة اجسادهم او كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى وعبد الباسط
هذا هو ابن خليل بن ابراهيم الدمشقي ثم القاهري ناظر الجيش في ايام الملك الظا هر
ططر وفي من بعده كان عزيزا رئيسا كريما نافذ الكلمة عالي الجاه واسع
العطايا كبير الهمة له في كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك
بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وغيرها وله على جميع هذه المدارس اوقاف
كثيرة كانت تغل غلالا كثيرة واستولى عليها الخراب وكان للفقراء سحابة
تنصب لهم يستظلون تحتها وكانوا يحملون على جمال شقادف اعدها لهم
وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطري والبقسماط
وكان يطبخ لهم في المناهل ويذبح لهم الغنم في الذهاب من مصر الى مكة وفي
مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم واصلح
كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على اوقاف كسوة البيت بمصر فعمرها ونماها

الدار فاضت وكثرت في ايامه وقد ذكر قاضي القضاة بمصر الشهاب احمد بن حجر
العسقلاني في كتابه فتح الباري ان الصالح ابن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثي
قرية بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها على كسوة الكعبة ولم تزل تكسى
من ريع تلك القرية الى ان فوض امرها الملك المؤيد شيخ المحمودي الى الزيني عبد الباسط
ابن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن
حسنها جزاه الله تعالى خيرا على ذلك انتهى وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل
في مثل هذا التاليف العظيم ورأيت في شرح ايضاح المناسك للسيد على
نور الدين السمهودي الحسني عالم المدينة المنورة ما لفظه وكسوة الكعبة
الشريفة وكسوة الحجرة الشريفة النبوية في هذا العصر من وقف قرية يقال
لها سندبيس في طرف القليوبية مما يلي القاهرة شراها السلطان الصالح
اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها لان يكسى منها
الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية في كل خمس سنين مرة على
ما قاله الزين المراغي وذلك في عشر الستين وسبعماية اقول هذه القرية موجودة
الى الآن بمصر لكن ذكر لي من كتبة الديوان المصري افضل الكتاب مصطفى جلبي
ابن سرحزاده لما كان مقيما ناظرا على الحرم المكي ذكره الله بالصالحات ان هذه
الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت لا تفي بكسوة الكعبة فعرض ذلك
على ابواب المرحوم السلطان سليمان خان اسكنه الله تعالى فسيح الجنان فامر بالحاق
قرى اخرى اشتريت من بيت المال واوقفها والحقها باوقاف كسوة الكعبة الشريفة
وهي باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة في كل عام انتهى ولنعد الى تكميل

ترجمة

ترجمة ناظر الجيش عبد الباسط كانت وفاته يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من
شوال سنة اثنين واربعين وثمانماية وتوفي الملك الاشرف برسباي
يوم السبت لثلاثة عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنين واربعين وثمانماية

وخمسين
اربع

وفي يوم وفاته تولى بعده ولده الملك العزيز جمال الدين يوسف وعمره

مطلب سلطنة الملك العزيز بن الاشرف

يومئذ اربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته
الاتابك جقمق العلائي ولا زال يقوى امره والاقدار تساعده الى ان خلع
الملك العزيز يوسف بعد ان تسلطن نحوا من خمسة اشهر لم يكن له فيها سوى
مجرد الاسم اعني السلطنة وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشر بقين من
شهر ربيع الاول سنة اثنين واربعين وثمانماية ولقب الملك الظاهر سيف

مطلب سلطنة الملك الظاهر جقمق

الدين ابو سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم امره وهو
العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد جركس الى مصر وباعه جالبه
فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك اينال اليوسفي فنسب اليه فقيل له جقمق
العلائي ثم انتقل الى الظاهر برقوق فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا
ثم صار في الدولة الناصرية ساقيا ثم صار امير عشرة ثم صار دوادارا في دولة
المؤيد خازندارا ثم صار من المقدمين الالوف ثم صار في دولة الاشرف حاجب
الحجاب ثم امير اخور كبير ثم امير سلاح ثم صار اتابكا الى ان تسلطن فخرج عن
طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله ثم
خرج عن طاعته نائب حلب تغري برمش ثم اينال الجكمي نائب الشام فجهز عليهما
العساكر فقاتلهما واحدا بعد واحد فظفر بهما وقتلهما وبعد قتل هؤلاء

صغر له الوقت فلحضر واعطى واقدم وبسط وكان متواضعاً محباً للفقهاء
والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفاً عن المنكر طاهر
الفرج والذيل لا يعلم من ملوك الجراكسة قبله ولا بعده اعف منه وكان على
قاعدة الاتراك الدعوى عند من سبق ذكره بمذاهب فقهية ويتعصب
لمذهب ابي حنيفة رحمه الله وملك مصر نحواً من خمسة عشر عاماً الى ان اودى له الدهر
من ذلك نار اوقد لعيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجد له انصاراً وانحدر تحت
الارض بعد تخت الملك قراراً واصفرت الارض منه في سابع صفر سنة تسع وخمسين
وثمانمائة وكان الملك الظاهر جقمق اول ما ولي السلطنة انفذ الى مكة المشرفة
وارسل خلعاً ومراسيماً للسيد الشريف بركات بن السيد حسن بن عجلان بولاية
مكة وارسل اليه سودون المحمدي ليكون اميراً على خمسين فارساً من الترك
مقيماً بمكة وولاه نظر الحرمين الشريفين ومشد العمائر بهما وكان من عمارة
الامير سودون بالمسجد الحرام سنة ثلاث واربعين وثمانمائة انه قلع الرخام
الذي في سطح الكعبة لانه كان يسقط منه الماء في وقت المطر الى جوف الكعبة الشريفة
ولان الخشب الموضوع في السطح الشريف الذي يربط فيه حبال الكسوة قد تاكل
وتاكل الخشب الروازن الاربعة التي في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير
ذلك جميعه وجرد الكعبة من خارجها عن الكسوة ووضعت الكسوة داخل البيت
واستمرت مجردة يومين وليلتين فصار مكشوفة فتشاهد الناس احجارها الى
ان كمل ترميمها واصلاحها واعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين لثمان بقين
من صفر سنة ثلاث واربعين وثمانمائة واصلح ايضاً رخام داخل الكعبة من الجدار

المقابل

المقابل للباب واصلح ايضاً رخام الحجر الشريف وبيض مأذنة باب السلام
واصلح مأذنة باب العمرة وباب الحزورة وبيض مأذنته ورمم اسافل مأذنة
باب علي واصلح سقف المسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم عليه السلام وعلو مقام
الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التي بلصق دار العباس في المسعى
والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله والذي هو علامة
المسعى بينهما وعين في كل ميل قنديلاً يوقد بالليل في قناديل الحرم
في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان يضيء للمعتمرين وفي بعض ذي
الحجة للاضاءة على الحاج اذا ارادوا السعي وجعل على الصفا قنديلاً وعلى
المروة قنديلاً ثم عمر الامير سودون المذكور ما بقي من المواضع المأنوفة من
منى وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وبقطع جميع اشجار
السلم والشوك الذي كان على المازمين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة
الشقادف والمحاير عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت الحرامية تكمن
تحت الاشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحجاج وتخطف جميع ما تقدر عليه
منهم فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وازال الصخور الكبار ونظف
الطريق ووسعه وشكر الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر بالطريق
وتؤذي في طريق المسلمين والا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فاثابه الله
الحسنى ورحمه ورحم اموات المسلمين وكذلك الامير خوشكلدي نائب جدة
في عصرنا في حدود سنة ٩٥٠ قطع اشجار السلم ما بين المازمين وكسر الحجار
الكبار ووضعها في سفح الجبلين ومهده ووسع الطريق للحاج ودفع عنهم

في تلك الجهة لخرابه واصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام صح

بذلك الشرفاء الذين كانوا يكمنون خلف تلك الأشجار والأحجار وشكره
الناس على ذلك وسيأتي شيء من عمارته فيما بعد إن شاء الله تعالى وفي موسم سنة
ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ
ميرزا بكسوة الكعبة وصدقة لأهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك
الكسوة في يوم عيد الأضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم الشريف وفي سنة
خمسين وثمانمائة وصل بيرم خواجا ناظرا على المسجدين وبنى بالمعلاة سبيلا
ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين الصاعد إلى المعلاة بدرب صار الآن في عصرنا
بستانا عمره خواجا أفندي محمد بن محمود أفندي قاضي مكة في سنة سبع وستين
وتسعمائة ووقفه لخانم سلطان بنت خاصكي سلطان زوجة الوزير
الأعظم رستم باشا واسمها والدة السلاطين خاصكي سلطان وهو الآن
في تصرف ناظر عمارتها بمكة وفي موسم سنة ٨٥٠ أيضا حج وزير من وزراء السلطان
مراد الغازي جاء بصدقات جزيلة وخيرات وافرة جليلة لأهل الحرمين وأجرى
في بركة قبة العباس بالحرم الشريف ثلثمائة وستين رأس سكر وعدة جليلة
قناطير من العسل وسقى الناس ماء الغرب وخرج به السقاءون إلى المسعى
فسقوا الناس وتصدق على الحجاج وأهل الحرمين بأموال جزيلة تقبل الله منه
صالح أعماله وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم الشريف
بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد الحرام تلي رباط السدرة التي
هو الآن يعرف برباط الأشرف قايتباي وعمر شباكا وخلوة منسوبة للشيخ جمال
الدين محمد بن إبراهيم المرشدي وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي

عفيف الدين عبد الله
ابن أسعد اليافعي
وشباك خلوة الشيخ
م

سبع

سبعة عقود بحجر وعمر أيضا عين حنين وأصلح مجراها ورممها ترميما محكما
ووصل في ذلك العام كسوة الحجر إسماعيل عليه السلام مع كسوة البيت
الشريف ولم يكتس الحجر بها لأنه لم يجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت
داخل البيت ثم كسي بها الحجر من داخله في العشر الأخير من ذي الحجة سنة ثلاث
وخمسين وثمانمائة بعد أن حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة وعمر
ناظر الحرم الشريف بيرم خواجا عين بركة في عرفة كانت دائرة مملوءة بالتراب
فأخرج ترابها وأصلحها وساق إليها الماء من الآبار التي بقربها لشرب الحجاج
وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما في جهات
الخيرات ثم عزل ناظر الحرم الشريف المذكور بالتاجي الأمير بردبك ووصل إلى
مكة ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة
وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلا مكة في الزفة
ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلع السلطانية وقرأ المرسوم بالحطيم
وهو مورخ بثاني عشر جمادى الآخرة يتضمن أنه ولي نظر الحرم الشريف
والربط والأوقاف والصدقات وأن يحاسب من كان قبله وأن
يكون محتسبا بمكة واستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة
وباشرها مع التمكين فعمر في أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام
وفي هذه السنة أحرق قاضي القضاة أبو السعادات بن ظهيرة الشافعي
رباط رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص ثم وصلت فتاوى بعدم
صحة إجارة الوقف إجارة طويلة فاستبدله وحكم بصحة الاستبدال

حاكم حنفي ثم أمر بعمارة رباطه فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفتح
فيه عدة شبابيك على الحرم على الوضع الذي هو باق عليه الآن وفي سنة سبع
وخمسين وثمانماية وصلت احكام من الملك الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على
الكعبة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى السلطان شاه رخ ميرزا والكسوة
المنسوبة الى الملك الاشرف برسباي وان تبقى كسوة الملك الظاهر جقمق وحدها
ففعلوا ذلك وفيها سافر امير التركمان الواكز بمكة الامير جانبك النوروزي وولي
عوضه في منصبه ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفي سنة ٨٥٧ سبع وخمسين وثمانماية
ورد القصاد بمصر يخبر بان الملك الظاهر جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من
السلطنة في يوم الخميس لتسع بقين من المحرم الحرام سنة المذكورة لولده ابي السعادات
فخر الدين عثمان ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة ورضى الناس به وطمعوا
وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وتسلطن وسنه دون العشرين وركب
بشعار السلطنة وحمل الاتابك اينال العلاي امير كبير القبة والطير على راسه وجلس
على تخت السلطنة في قلعة الجبل وباشر الامور الى ان توفي والده بعد سلطنة ولده
المذكور باثني عشر يوما فوقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك المنصور عثمان في سنة
سبع وخمسين وثمانماية وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر اينال العلاي
صبيحة يوم الاثنين لثمان مضين في شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانماية
وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وهو جركسي جلبه الخواجا علاء الدين
الى مصر واشتراه الظاهر برقوق واعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل في
الدولة الى ان صار في ايام الملك الاشرف برسباي امير ماية مقدم الف وولاه

مطلب سلطنة الملك المنصور عثمان

مطلب سلطنة الملك الاشرف اينال

الظاهر

الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله اتابكا واستمر الى ان تسلطن وتم
امره في الملك وطالت ايامه نحو ثمان سنين وشهرين وايامًا وكان طويل الاخضر خفيف
اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرود وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء
متجافيًا عن الخطأ والتقصير الا ان مماليكه ساءت سيرتهم في الناس وفي
ابتداء السلطنة سافر اليه امير التركمان الواكز بمكة الامير بردبك التاجي وولي
عوضه امير التركمان الواكز بمكة يشبك الصوفي وطوغان شيخ الحرم الشريف وجدد بمكة
مكة وولي مشدًا على جدة جانبك وهو الذي بنى البستان على يسار الذاهب
الى المعلاة المعروف به الى الآن وحفر فيه عدة ابار وغرس فيه ما قدر عليه من الاشجار
شجر التمر هندي وادركناه ووقف عليه مسقفات بمكة المشرفة ولم يقع في
ايام السلطان اينال عمارة بالحرم الشريف واستمر الى ان خلع نفسه من السلطنة
وعقدها لولده الملك المؤيد شهاب الدين احمد ابو الفتح ابن اينال العلاي في
يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٨٦٥ وتوفي والده
بعد ذلك بيوم ولم يتم حتى خلعه اتابكه خوشقدم بعد خمسة اشهر وخمسة ايام
وولي السلطنة عوضه الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد خوشقدم الناصري
في يوم الاحد احدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٨٦٥ وهو رومي جلبه الخواجا
ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ واعتقه فصار خاصكيا عنده ثم
تقلب في الدولة الى ان جعله الملك الاشرف اينال اتابكا لولده فخلعه وتسلطن
مكانه وكان محبا للخير وكسا الكعبة في اول ولايته على العادة ولكن كانت
كسوة الجانب الشرقي والجانب الشامي منها بيضاء بجامات سود وفي الجامات التي

ومثله

مطلب سلطنة الملك المؤيد ابن اينال

مطلب سلطنة الظاهر خوشقدم

بالجانب الشرقي بعض ذهب وارسل في سنة ست وستين وثمانماية ٨٦٦ منبرًا وكان
خشقدم فركب في يوم الاربعا والخميس وخطب عليه الخطيب في يوم الجمعة ثاني عشر
ذي الحجة وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصف تقريبًا ومرض فطال مرضه
وتوفي في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ثمانماية اثنين وسبعين وتسلطن
بعده في ذلك اليوم خشداشه الاتابك يلباي وهو الملك الظاهر ابو النصر يلباي
المويدي وخلع علي الامير تمربغا الظاهري بالاتابكية عوضًا عن نفسه وهو
الرابع عشر من ملوك الجراكسة واولادهم وكان ضعيفًا عن تدبير الملك وتنفيذ
الامور فخلعه الامرا من السلطنة في يوم السبت لسبع مضين من جمادي الاولى
سنة اثنين وسبعين وثمانماية وكانت مدة سلطنته شهرين الا اربعة
ايام والملك لله الواحد القهار وتسلطن بعد خلعه عوضًا عنه الملك الظاهر
ابو سعيد تمربغا الظاهري وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر
ولكن يقال انه رومي الاصل من مماليك الظاهر جقمق اعتقه ورباه صغيرًا
الى ان جعله خاصكيًا ثم دويدارًا ثانيًا ثم صار في دولة الملك المنصور دوادارا
كبيرًا ثم اخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة في دولة الملك الظاهر خوشقدم
فصار مقدم الف ثم صار في دولة الظاهر يلباي اتابك العساكر ثم تسلطن بعده
وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنايع بحيث صار يعمل
القسي الرايقة بيده ويعمل السهام عملًا يتغالى فيها ويرمي بها احسن رمي ويتفوق
غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له دهره يومًا واحدًا عن كيد
قوسه ابعد مرمى وما زال به الامرا الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولي

بعدها

مطلب سلطنة الاشرف قايتباي

بعدها السلطنة اتابك العساكر يومئذ الملك الاشرف قايتباي المحمودي الظاهري
في ظهر يوم الاثنين وهو سادس شهر رجب سنة اثنين وسبعين وثمانماية وهو
السادس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر مولده ببلاد جركس تقريبًا
في بضع وعشرين وثمانماية جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه
الاشرف برسباي ثم اعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل في المراتب الى ان
صار في دولة الملك الظاهر خوشقدم اميرًا ثم مقدم الف ثم صار في دولة
السلطان يلباي راس نوبة النوب ثم صار في دولة الظاهر تمربغا اتابكا
ثم صار بعد خلعه سلطانًا بعد تعزز وتمنع ووصلت له البشارة بالسلطنة
من عدة اوليا الله الصالحين قبل ان يليها وكان محبًا للخير معتقدًا في الصلحا
فصل يحكى عنه انه كان يحكي عن نفسه انه لما جلب الى مصر للبيع وهو
اما مراهق او بالغ كان معه رفيقه احد المماليك الجلب فتحادثوا مع الجمال
في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالوا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها
مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباي اما انا فاطلب
سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثاني وانا اطلب ان اكون اميرًا كبيرًا والتفتا
الى الجمال وقالا له اي شي تطلبه انت فقال انا اطلب من الله تعالى خاتمة الخير
فصار قايتباي سلطانًا وصار صاحبه اميرًا كبيرًا فكانا اذا اجتمعا يقولان
فاز الجمال من بيننا وكان ملكًا جليلًا وسلطانًا نبيلًا له اليد الطولى في
الخيرات والطول الكامل في اسدا المبرات بنى المدارس الثلاثة وعدة ربط
ومدارس وجوامع عظيمة الاثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وغزة وغيرها

آثار جليلة وخير جزيلة أكثرها باق إلى الآن وجميع عمائر ملوك عليها
لوايح النورانية والأنس وفي أول ولايته أرسل إلى مكة المراسيم ولما جاء السيد
الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين وإلى قاضي
القضاة برهان الدين إبراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي بقضاء مكة ومراسيم
تتضمن الأمر بإبطال جميع المكوسات والمراسيم وأن ينقش ذلك على أسطوانة من
أساطين الحرم الشريف في باب السلام وفي سنة أربع وسبعين وثمانمائة أو
والتي قبلها بني مسجد الخيف بمنى بناء عظيما محكما وجعل في وسط المسجد قبة
عظيمة في حد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى وبنيت جدرانه المحيط
به وفي أربعة بوائك من جهة القبلة فصار قبة عالية فيها محراب النبي صلى الله
عليه وسلم وملاصق القبة مأذنة غير المأذنة التي على عقد باب المسجد أرمى
مهندسهم فيها الصناعة العظيمة حيث جعل على باب المسجد ثلاثة أدوار
صنعة الأستاذين وبنى دارا بلصق المسجد كانت مسكن أمير الحاج وعلى الباب
في الدار المذكور سبيل عليه صهريج كبير جعل في صحن المسجد يملى من المطر
وجعل للمسجد بابا آخر إلى جهة عرفة وخوخة صغيرة إلى الجبل الذي في سفحه
غار المرسلات وهذا الموضع الذي أنزلت فيه سورة المرسلات على النبي صلى الله
عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر باق إلى الآن من آثار المرحوم السلطان قايتباي
وقد غلب عليه الدثور عمره الله من عمره أو تسبب في تعميره وعمر السلطان المذكور
مسجد نمرة في عرفة وهو المسجد الذي يجمع فيه الإمام بين الظهر والعصر جمع تقديم
في يوم عرفة للحجاج المحرمين في ذلك الآن لا يجمع عند أبي حنيفة في غير ذلك المكان

عقدهم

تجمع

جمع تقديم إلا في ذلك المسجد ولا جمع تأخير إلا في المزدلفة بين المغرب والعشاء
للحاج وجعل في صدر ذلك المسجد رواقين عظيمين يتظلل بهما الحجاج وقت
الصلاة من الشمس وجدد العلمين الموضوعين بحد عرفة وبيض المسجد الذي
بمزدلفة على جبل قزح وهو المشعر الحرام على رأي وجدد عين عرفات وابتدأ
العمار العمل فيها من سفح جبل الرحمة إلى وادي نعمان فوجد الماء بكثرة
فاقتصر على ذلك ولم يصل إلى الرأس العين وكانت قد انقطعت مدة مائة وخمسين
سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة من قلة الماء ما لا يصبر عليه
ثم أصلح البرك وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها
وبنى قبتها وامتلأت البرك وعم النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من
أعظم الخيرات بالنسبة إلى الحجاج والزوار وذلك في سنة تسع وسبعين وثمانمائة
ووصل منه منبر الخشب للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة
إلى مكة المشرفة في البر وركب من باب السلام وجر إلى المطاف وخطب عليه الخطيب
في أول ذي الحجة وفي سنة ٨٨١ أصلح خشب سقف المسجد الشريف بالرواق الشرقي وغير
رخام الحجر الشريف من داخله وخارجه ورصص الشقوق التي بين أحجار المطاف
ورخم داخل البيت الشريف وفي سنة ٨٨٢ أمر السلطان وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين
محمد بن عمر الشهير بابن الزمن ومشد عمايره الأمير سنقر الجمالي أن يحصل له
موضعا مشرفا على الحرم الشريف لتبنى له فيه مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب
الأربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمل له ربوعا ومسقفات يحصل له منها
ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى القراء وأن يقرأ له ربعة في كل يوم يحضرها

جهة صح

أن يحصلا

المذاهب

القضاة الاربعة والمتصوفون ويفرق لهم في كل يوم وظايف وبعمل مكتبا
للايتام وغير ذلك من جهات الخير فاستبدل له رباط السدرة ورباط المراغي
وكانا متصلين وكان الى جانب رباط المراغي دار للشريفة شمسية من اشراف
بني حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيه اثنين وسبعين خلوة ومجمعا
كبيرا مشرفا على المسجد الحرام وعلى المسعى الشريف ومكتبا ومأذنة وصير
المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون والسقف المذهب وقرر فيها اربع مدرسين
على المذاهب الاربعة واربعين طالبا وارسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم
وجعل مقرها بالمدرسة المذكورة وجعل لها خازنا عين له مبلغا وقد
استولت عليها ايدي المستعيرين وضيعوا منها جانبا كبيرا وبقي منها نحو مائتي
مجلد وهي تكلم مولف هذا الكتاب صيانتها وكملت ما فات منها وجلدت منها
ما يحتاج الى التجليد واستخلصت منها ما وجدته واعدته الى الوقف صانه
الله تعالى وجعل الواقف في ذلك المجمع للقضاة الاربعة حضورا بعد العصر
مع جماعة من الفقهاء يقرؤن ثلاثين جزءا من القرآن العظيم وجعل فيه معلما يعلم
اربعين صبيا من الايتام ورتب لكل واحد من الايتام واهل الخلاوي ما يكفيهم من
القمح كل سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الاجزاء مبلغا من الذهب يصرف لهم
كل سنة وبنى عدة ربوع ودور تغل في كل عام نحو الفي ذهب ووقف عليهم بمصر
قرى وضياعا كثيرة وحبوبا كثيرة تحمل في كل عام الى مكة وعمل من الخيرات العظيمة
ما لم يعمله ذلك سلطانا قبله وذلك باق الى الآن الا ان الاكلة استولت على تلك
الاوقاف فضعفت جدا وهي ايلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج ايام

موسم الحاج وسكنا لغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة وسط السنة وصارت
اوقافها ماكلا للنظار عمر الله من عمرها واحيى من احياها وكان الفراغ من
بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين اللذين احدهما من ناحية باب السلام والآخر
من ناحية باب الحريريين في سنة اربع وثمانين وثمانماية على يد الامير سنقر
الجمالي وفي هذه السنة وردت احكام من السلطان قايتباي الى صاحب مكة مولانا
السيد الشريف جمال الدين يوسف بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان تتضمن
انه راى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من
جوانبه وداخله وخارجه وغسل المطاف وانه امره ان يفعل ذلك بحضرة
السيد الشريف محمد بن بركات وقاضي القضاة برهان الدين ابرهيم بن
علي بن ظهيرة وباش الترك الراكز بمكة الامير قانباي السيفي والامير سنقر (اليوسفي)
الجمالي والدوادار الكبير والامير جاني بك نايب جدة وبقية القضاة بمكة
والاعيان وفاتح بيت الله الحرام عمر بن ابي راجح الشيبي والشيبيون والخدام م
وغسلوا الكعبة من داخلها قدر قامة ومن خارجها فوق قامة وغسلوا ارض
الكعبة وساير المطاف وطيبوها بالطيب وكان ذلك اليوم الخميس لثمان بقين من
ذي الحجة من السنة المزبوره

فصل

ومن اعظم ما وقع في ايام السلطان
قايتباي من الامور الهايلة حريق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا
لانه امر هايل عظيم الهول وتحرير ذلك انه في الثلث الاخير من ليلة الاثنين
ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانماية طلع رئيس المؤذنين
الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المأذنة الشريفة اليمانية من ركن المسجد الشريف المعروف

مطلب حريق المسجد النبوي

بالرئيسة وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متوالية النجوم
اذ سمع رعد هائل وسقطت صاعقة لها لهيب كالنار واصاب بعضها هلال
المئذنة فانشق راسها ومات المؤذن وسقط باقيها على سقف المسجد عند
المئذنة فعلقت النار فيه ففتحت ابواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر امير المدينة
المنورة يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس
وصعد اهل النجدة والقوة الى سطح الحرم بالمياه في القرب وعجزوا عن اطفائها
وصعدوا بقرب الماء ايضا ليسكبوها على النار لتطفى فالتهبت واخذت
في جهة الشمال والغرب فعجزوا عن اطفائها فهربوا واستولت النار عليهم فمات
منهم فوق عشرة انفس وعظمت النار جدا واحاطت بسائر سقف المسجد واحرقت
ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتب نفيسة ومصاحف
عظيمة وصار المسجد كبحر لجي من نار ترمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق
جميع المسجد الشريف والقبة العليا التي فوق قبة النبي صلى الله عليه وسلم وذاب رصاص
ولم يصل اثر النار للحجرة الشريفة النبوية لسلامة القبة السفلى وعدم التاثير
فيها مع ما سقط عليها كامثال الجبال واحترقت حتى حجارة الاساطين
وسقط منها نحو مائة وعشرين اسطوانة واحترق المنبر النبوي والصندوق
الذي في المصلى الشريف والمقصورة الشريفة التي حول الحجرة الشريفة وسلمت
الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ما حول المسجد الشريف من البيوت وشوهد
اشكال طيور بيض يطيرون ويحومون حول النار حتى كانها تكفها عن بيوت
جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرار النار فيها وعدم

تاثيره

تاثيره قال مورخ المدينة وعالمها ومفتيها السيد نور الدين علي بن عبد الله السمهودي ذي
بعد سوق هذه الحكاية بابسط من هذا في كتاب خلاصة الوفا باخبار المصطفى
وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة ابرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة
النبي الاعظم عليه افضل الصلوة والسلام وقد ثبت ان اعمال امته عليه السلام
تعرض عليه صلى الله عليه وسلم فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار
باظهار النار المجازي بها في يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا يا عباد ؟
وقال تعالى ذلك يخوف الله به عباده فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد الشريف
ونقلوا انقضه من مقدم المسجد الى موخره للصلوة فيه وعمل في ذلك امير المدينة
المنورة وقضاتها وعامة اهلها وعامة اهلها حتى النساء والصبيان تقربا
الى الله تعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباي
فتهولوا من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى
عليه بتاهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العماير الملكية وغيرها
وان يتوجه شادها السيفي سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وارسل
الى المدينة نحو من ثلثماية من ارباب الصنايع وكثيرا من البغال والحمير والجمال
وساير مونهم ومبلغا من مال الخزينة نحو ماية الف دينار فاكثر وجهز المون
الكثيرة الى ان امتلات البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة المنورة
واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى ان كملت عمارة المسجد الشريف والقبة
الشريفة والموذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان
وذكر السيد السمهودي تفصيله في كتابه خلاصة الوفا باخبار المصطفى

فراجعه ان اردت احاطة العلم به وذكره بابسط من ذلك في تاريخه الكبير
الذي سماه وفا الوفا باخبار دار المصطفى **وامر** السلطان قايتباي ان يبنى له
رباطا ومطبخا وماذنة حول المسجد النبوي عليه السلام فبنوا له مدرسة عظيمة
ورباطا مشرفا على المسجد الشريف بين باب السلام وباب الرحمة وارسل الى المدينة
المنورة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة المذكورة موقوفة على طلبة العلم
الشريف وارسل مصاحف كثيرة وكتبا لخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها
فيه ووقف قرى كثيرة بمصر يحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق
عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحنطة بطول السنة وكان حصة كل نفر سبعة ارادب
في العام يساوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن
وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان اكثر مما وقفه السلطان قايتباي بمكة والمدينة
جزاهم الله تعالى عن المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا واجرا **فصل** في حج السلطان
قايتباي **اعلم** ان ملوك الجراكسة ما حج منهم احد غير السلطان قايتباي لتمكنه من
الملك وكثرة ما فعل من الآثار الحميدة في الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير
يشبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج في سنة اربع وثمانين وثمانمائة
قبل حريق المسجد الشريف بعامين وكان امير الحاج في عام حجه الامير خوش قدم
خرج بالمحمل الشريف وركب الحاج المصري فخرج السلطان قايتباي بقصد الحج
والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة ايام ووصل القصاد الى الشريف بمكة
يومئذ السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن بن عجلان وكان من اخص
المختصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام القاضي

برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي يومئذ بمكة المشرفة فتهيا هو والسيد
الشريف محمد بن السيد بركات لملاقاة السلطان قايتباي فاخبرهم القصاد واخبروا
انهم فارقوه من عقبة ايلا وهي نهاية الربع الاول من طريق الحج وارسل السيد الشريف
احد قواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء اولا في
السلطان قايتباي ومد له السماط والحلوى هناك فحصل على السلطان فرح
واظهر عليه اللطف والمجابرة واكل وقسم على امرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا
جميلا **فصل** ويحكى عن لطافة السلطان قايتباي انه لما جلس على السماط
تناول شيئا من الحلوى يقال له كل واشكر واكل منه وسال من الذي جاء بالسماط
ايش اسم هذا عندكم فقال له القايد اسمه كل واشكر فقال القايد يسلم على
سيدكم وقل له اكلنا وشكرنا ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منها الى
المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج لملاقاته
السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد هزاع بن محمد والقاضي
ابراهيم بن ظهيرة الشافعي وابنه القاضي ابو السعود واخوه القاضي ابو البركات
ابن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي
صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزل تبدر واقاموا به منتظرين عود السلطان من
المدينة **قال** السيد علي السمهودي في تاريخه الكبير حج السلطان قايتباي
في سنة اربع وثمانين وثمانمائة وبدا بالمدينة المنورة لزيارة التربة المصطفوية
على صاحبها افضل السلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة ثاني عشري ذي
القعدة الحرام فلبس لدخولها حلل التواضع والخشوع وتحلى بما يجب لتلك الحضرة

النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على
اقدامه بين خشوع وخضوع حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع
عليه افضل الصلاة واتم التسليم وناجاه بالتحية والتكريم ووفق من ذلك
الجناب بالحظ الجسيم ثم ثنى بضجيعيه رضي الله عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة
التحية وعفر وجهه في تراب السقيفة وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة
فتعاظم ذلك وقال لو امكنني ان اقف ابعد من هذا الموضع وقفت فالجناب
عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم ثم صلى صبح الجمعة في الروضة
الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه العلامة
برهان الدين بن الكركي ثم توجه الى زيارة حمزة رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم
ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم احد رضي الله عنهم فمشى مترجلا حتى
خرج من باب المدينة المنورة ولم يركب دابة بالمدينة تادبا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعاد من الزيارة وحضر لصلاة الجمعة قال السيد السمهودي فدعاني
السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه
وثقوب فهمه ما يعز وصف الواصف فيه فانشدته بيتي التلخيص ومما

كانت مسائلة الركبان تخبرني عن احمد بن سعيد اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت اذني باطيب مما قد رأى بصري

فطرب بهما جدا واجتمعت به قبل صلاة المغرب في الروضة الشريفة ففاتحني
في الكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت

قبل

قبل المعراج أم بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب
فأقيمت الصلاة في اثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من هذه الصلاة صلى ست
ركعات بسكون وتؤدة فلما انقضت تلك الصلاة اقبل علي طالبا الجواب فذكرت
له ان نزولها بالمدينة المنورة وأن فرض الصلاة كان بمكة المشرفة ليلة المعراج
ج وذكرت ما حكي في تعدد نسخ القبلة وصلاته عليه السلام بمكة بين الركنين اليمانيين
جاعلا الكعبة الشريفة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو
مصغ اليها متلذذ بسماعها واستمر بنا على ذلك حتى اقيمت صلاة العشاء
فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة المنورة فامر برفعها وطلبت
منه رفع المكوس من المدينة في مرباراتها وجعل لامير المدينة في مقابلة
ذلك الف اردب قمح يرسلها له في كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها
وعلمائها نحو ستة آلاف ذهب وحصل الي منه خير كثير ولحسن حظ ثم
برز في اليوم الثالث من المدينة المنورة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السيد
السمهودي ملخصا قال العز بن فهد فلما وصل الخبر بعود السلطان
وبروزه من المدينة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا له
من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به في منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهر
الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي برهان
الدين بن ظهيرة عن يساره وباقي من معهما سلموا على السلطان على بعد
ومشوا امامه وصار السلطان يلاطفهم ويسأل عن احوالهم ويشكر
وا مسعاهم ويطمن خواطرهم ويباسطهم بالمكالمة وينصت لهم اذا تكلموا له

كذلك الى ان وصل السلطان الى اوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا
يسايرونه في الطريق وهو يظهر لهم كمال النشاط ويبدي لهم وافر الانبساط
والتبسم والبسهم السلطان خلعًا فاخرة مرار عديده وفي رقوم من بعده وتقدموا عن
السلطان الى وادي مر الظهران ورتبوا هناك سماطا حافلا جميلا للسلطان
ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد ثمن ذي الحجة الحرام وصل السلطان الى
مخيمه بالوادي ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط
واكل منه وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على من معه خلعًا
فاخره متعدده جميله ووصل بقية القضاة والخطبا والاعيان من مكة
للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا امامه وركبوا وركب السلطان
هو وشيخ الاسلام القاضي ابرهيم بن ظهيره وولده القاضي ابو السعود
واخوه القاضي ابو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين الكركي
الحنفي واستمروا الى ان دخلوا مكة المشرفة من اعلاها وكان القاضي
ابرهيم هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والتلبية
الى ان دخل السلطان من باب السلام البراني وطلع بفرسه منه فجفل به
جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الراس الى ان تقدم المهتار رمضان
وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها للسلطان فلبسها وكان ذلك
تاديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه ان يترجل ويدخل محرمًا مكشوف الراس
تواضعا لله تعالى ثم لما وصل الى العتبة الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ
بين يديه الرئيس بصوت جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق

لتدخلن

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم
ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم انه رفع يديه بالدعاء للسلطان
وأمن من حوله من اهل الاصوات ودخل من باب السلام والقاضي ابرهيم يلقنه
الدعاء الى ان دخل الطواف وقبل الحجر الاسود وهو الذي يطوفه ويلقنه
الادعية والرئيس ينادي بالدعاء له من اعلا قبة زمزم والناس يحيطون
بالمطاف [illegible] ويدعون له الى ان تم طوافه وصلى خلف مقام
ابرهيم عليه السلام ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي
ابرهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه ركب فعاد الى الزاهر وبات في مخيمه
وركب في الصبح في موكبه ولاقاه السيد الشريف محمد بن بركات واولاده
وقاضي القضاة ابرهيم بن ظهيره وابنه الجمال ابو السعود واخوه القاضي
فخر الدين وابن عمه والخطباء واعيان الناس واكابر التجار فخلع السلطان
قايتباي على الجميع ومشوا امامه في موكب عظيم وابهة عظيمة ولم يتخلف
أحد بمكة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل مكة بهذا العنوان الى
أن وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلموا عليه وسلم عليهم ودخل الى مدرسته
ومد له بها الشريف السيد محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك
يمد له صباحا ومساء الاسمطة الجميلة ومد له في ثاني يوم قاضي القضاة
ابرهيم سماطا جميلا واستمر السلطان بمدرسته ما ظهر للاحد غير انه يتصدق
بالليل كثيرا وركب مرة الى درب اليمن ليشاهد ما قدمه له السيد الشريف

من الآبار والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى ان طلع الى
عرفات ومعه امامه راكب الى جنبه وبعض مشايخ الشيوخ ابرهيم الكركي والامير
يشبك الجمالي والدوادار والقاضي يحيى بن الجيعان زين مضمار المهتار ووقف بجبل الرحمة
متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فاحرم
مع الناس واتم حجه وقرب للاضاحي غنما كثيرة واهدى شيئا كثيرا وكان
يناسب ان ينحر شيئا من البدن فما اشار اليه احد بذلك وعاد بعد ايام
التشريق الى مكة المشرفة وتوجه الركب المصري وتاخر هو بمكة اياما وقرر
وظايف مدرسته لاهلها من المدرسين والطلبة وقرا صحيح البخاري وقرا الربعة
وخادمها وخادم المصحف والفراشين والبوابين والوقادين والخبازين
والسقايين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والموذنين وناظر المدرسة
والوقف والجابي والصيرفي واصحاب الجلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد
كفايته من الغلة والدراهم والمرتب وكتب بذلك وقفية اشهد على نفسه بذلك
فيها وعمل من الخيرات ما لم يسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة
خلت من ذي الحجة بطرف الايوان الشمالي وقاضي القضاة ابرهيم بن ظهيرة
بصدر الايوان وقدامه المصحف على كرسي وفرق على الحاضرين اجزاء
الربعة الشريفة وتناول السلطان جزءا منها كاحد القراء وقرا والى
ان ختم القاضي ابرهيم ولم يوخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه وجمعت
الاجزاء في صندوق الربعة الشريفة ودعى الداعي للسلطان ومد للحاضرين
سماط حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي ابرهيم واكلوا

ثم سقاهم سكرا وسوبية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا وكان بنى
السلطان سبيلا على يمين الداخل الى خان البزازين بالمسعى يقابل الـ
العلقمية وكان امامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب
الدين الطبري على عين الذاهب الى المروة فاشار الخواجا شمس الدين الزمن
والمهندس ان يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان ثم يبنى فهدم وصار
المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرة وسافر السلطان في ظهر يوم السبت
لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد ان طاف للوداع والريس يدعو له على
قبة زمزم ومشى القهقري الى ان خرج من باب الحزورة وركب معه الريس بدر الدين
محمد بن بركات واولاده وقاضي القضاة ابرهيم بن ظهيرة الى الزاهر ثم ودعهم
وودعهم وسار هو الى مصر وعاد الى مملكته ولم يختل عليه شيء من امر مملكته في غيبته
عن تخت ملكه مدة سفره الى الحج وهي نحو ثلاثة اشهر وذلك لاتقان امر
المملكة وتدبيره وتدربه وضبطه وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة
واقربهم الى قلوب الرعية في اللطف والموانسة واجملهم جمالا واجلهم جلالا
واحسنهم احسانا وافضلهم افضالا واكملهم عقلا ونبلا واعدلهم اعتدالا واكثرهم
في جهات الخيرات ايثارا واثارا واكثرهم عمايرا واوقافا وادرارا واطولهم
طولا وزمانا واملكهم ملكا وقوة وامكانا وكانت ايامه كالطراز المذهب
ودولته تتجلى كالعروس في حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية في ايامه
عيشا رغدا وظهرت العلماء في ايامه ونموا فصاروا نجوم الهدى الى ان
تنبه الزمان له بالجاير واستيقظت له عيون صروف الليالي العواثر

ودارت عليه كما دارت على من قبله الدواير وهذا شان الدنيا الدنية في ابنائها
الاصاغر والاكابر ودابها في السلاطين والملوك الغوابر والبقا والدوام لله تعالى
القدير القاهر فقدم على السلطان قايتباي بريد اجله وما اغنى عنه
ما جمعه من خيله وخوله ولا منع عنه شي من حوله وحوله فاقدم على
ما قدم من صالح اعماله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وادرج في
اكفان اعماله بعد ما غسل بدموع فقره وانزل من سرير الملك على [illegible]
الى قبره وقدم على باب كريم ووقف بين يدي ملك غفور رحيم وانشد لسان
حاله وهو بين يدي ملك الملوك الحليم الكريم يقول

اذا امسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرسم الرميم (الرمس)
فهنوني اصيحابي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

وكان انتقاله في اخر يوم الاحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٩٠١ وصلي عليه
يوم الاثنين ودفن بتربته في الصحرا التي بناها في حياته في غاية الحسن والزين
وبها مساكن للفقراء واوقاف دارة عليهم الى الان ليس بمصر احسن تربة منها
وصلي عليه بعد ذلك صلاة الغايب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد
عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية
اشهر ولم يملك احد من الملوك الجراكسة قدر مدة ملكه فصل وولي بعده
ولده الملك الناصر ابو السعادات محمد وكان شابا يغلب عليه الجنون
والسفه وما كان له التفات الى الملك ولا الى السلطنة بل غلب عليه اللهو
واللعب والحركات المستبشعة يحكى عنه امور قبيحة منها انه كان اذا سمع

[illegible]

بامراة

بامرأة حسنة هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه في خيط اعده لنظم
فروج النسا ومنها ان والدته كانت من اعقل النسا واجملهن
هيات له جارية جميلة جدا وجمعتها به في بيت مزين اعدته لها فدخل
عليها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها وشرع يسلخ جلدها كالجلاد
وهي حية وهي تصرخ فلما سمعوا صراخها ارادوا الهجم عليه فما امكنهم
لانه قفل الباب من داخل محكما واستمر كذلك الى ان سلخها وحشى جلدها
بالاثواب السندسية وخرج يظهر لهم استاديته في السلخ وان
الجلادين يعجزوا عن كماله في صنعته ومنها انه مر وهو في موكبه بدكان
حلوي يبيع الحلوى وبسطته قدامه فاقامه من دكانه وجلس مكانه
يبيع الحلاوة ودار حوله امرايه يشترون منه الحلوى فاخذ بيده الميزان ن
وصار يزن لهم الى ان جبرت الحلاوة وكانت له حركات من هذه الخرافات
منها ما يضحك ومنها ما يبكي الى ان سقط من اعين عسكره وسطوا عليه
كما سطا بالحسام الابتر وسلخوه من الملك كما سلخ تلك الضعيفة بالخنجر
ومزقوه كل ممزق ولعذاب الاخرة اكبر فمن غدرهم انه خرج مختفيا منفردا
عن عبيده وخدمه متباعدا عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده في بر الجيزة
فاكمن له عشرة انفس من مماليكه في خيمة على ممره فلما وصل اليهم وكان
وحده منفردا خرجوا اليه من الخيمة ومسكوا لجام فرسه وضربوه بالسيوف
الى ان قطعوه وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة ابيه في سنة ٩٠٤
اربع وتسعماية فصل وولي بعده السلطنة الملك الظاهر قانصوه وهو خال

مطلب سلطنة الظاهر قانصوه

الملك الناصر محمد بن قايتباي كان شابا جاهلا أمياً لا يعرف الا اللعب زال جركس قريب
العهد ببلده لان السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخطه
الشيب وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند ام الناصر لانه اخوها وهي
التي اقامته مقام ولدها الناصر وبذلت له الاموال والخزاين والذي
تكوينه واقامته واصلاحه ولن يصلح العطار ما افسد الدهر فمما
استميله للجند للايالة وما اهله للسلطنة وكيف له ولي لها
فخلع بعد ان سلسلهم سنة وسبعة اشهر ولم يرجع من الملك في اواخر
سنة ٩٠٥ فصل وولي مكانه الملك العادل جان بلاط تلقب بالملك
الاشرف جان بلاط في سنة ٩٠٦ ولا تهنى بالسلطنة ولا وافقه احد عليها
وخلع بعد ستة اشهر فصل وولي بعده الملك العادل طومان باي وكانت
وما استكمل يوما واحدا ابل هجم عليه العسكر وقتلوه فما قدم احد على السلطنة وكانت
الامراء متفقون وكلهم يشيرون بعضهم الى بعض في الجلوس على تخت الملك فاتفقوا
على ان يولوا قانصوه الغوري لانهم راوه لين العريكة سهل الازالة اي وقت
ارادوا ان يزيلوه لانه كان اقلهم مالا واضعفهم حالا واوهنهم قوة
فاشاروا اليه ان يتقدم فابى فالزموه بذلك فقال اقبل منكم ذلك بشرط
ان لا تقتلوني فاذا اردتم خلعي من السلطنة فاخبروني بما تريدونه وانا اوافقكم
عليه واترككم والملك وامضي حيث اريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم فصل
وولوه السلطنة ولقبوه الملك الاشرف قانصوه الغوري في سنة ست وتسعمية
وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين وسرعة تقضي ملكهم

بل فرح العامة وامنوا على انفسهم واموالهم في الجملة وكان قانصوه
الغوري كثير الدهاء ذا راي وفطنة وتيقظ الا انه كان شديد الطمع كثير
الظلم والعسف بخيلا محبا للعمارة ومن جملة عمارته الجامع والتربة
بالقرب من باب القصرين بمصر وكان من نيته ان يدفن بها ووقف عليها اوقافا
كثيرة وما قدر له دفنه بها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدري
نفس باي ارض تموت وله اثار جميلة في طريق الحج في عقبة ايلة وماثر
بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الامراء بالدربة والتدبير معهم
من غير التشديد عليهم والاظهار عظمة او امر ونهي وذلك في ابتداء امره
الى ان تمكن من قوته وباسه واشتغلوا عنه بضرورات اخرى وطار معه الحبل الى ان
صار ياخذهم واحدا بعد واحد وينفيهم ثم يحصل حيلة اخرى وعلة اخرى ثم
فياخذهم بها ويوقع بين الاثنين وياخذ هذا بذاك وذا بذا ويدس لهم الدسايس
من السم والطعام ونحوه حتى افنى قرانصتهم ودهاتهم الا قليلا منهم واتخذ
مماليك لنفسه جددا واستجلب جلبانا واعدهم اعدادا وصيروا يظلمون
الناس ظلما ويعاملون الخلق عسفا وغشما وصار يغضي عنهم ويتغافل
لهم فاظهروا الفساد واهلكوا العباد واكثروا العناد وطغوا في البلاد
وصار هو يصادر الناس وياخذ اموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية في ايامه
لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا شاهدوا واحدا توسع في دنياه واظهر
التجمل في ملبسه او مسكنه وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان
ويطالبه بالغرض ويستصفي امواله ويسلمه الى الصوباشي لياخذ ماله

ويهلك اهله وعياله ويعذبه بانواع العذاب الى ان يصير فقيرا بعد غناه
ومعدما بعد ثروته واستغناه وجمع من هذا الباب اموالا عظيمة جزيلة
جسيمة ولكن ذهبت في اخر الامر سدى وتفرقت بيد العدى وتمزقت بددا
وهكذا اكثر مال يوخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينفع
من جمعه بل يضر صاحبه ويهلكه معه وهيهات ان ينفع مال حصل من
كل كئيب حزين وسلب بالقهر والقسر من مظلوم مسكين وكيف ينفع سالبه
وما نفع صاحبه ويتهنى به من اكتسبه على هذا الوجه وابكى كاسبه
وما قيل الا ان مالا كان من غير حله سيجري يوما اهله واقاربه
واما الميزان فبطل في ايامه وصار اذا مات احد يوخذ ماله جميعه للسلطنة
ويترك اولاده فقراء الا ان يعتني به اعتناء كثيرا فضل له من ذلك نزرا
يسيرا من مال ابيه واخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه في
اخر ايامه فاستجاب الله تعالى فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين **فصل** حكى لي والدي رحمه الله تعالى واموات المسلمين
عن شيخ مجاب الدعوة من اولياء الله تعالى انه راى بمصر في اخر ايام السلطان الغوري
جنديا من الجراكسة الجلبان اخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال
يطلب منه حقه وهو يمتنع فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه
بالدبوس على راسه ففتح راسه وقال هذا شرع الله فسقط الدلال ومضى
الجندي بالمتاع وما قدر احد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل
فصعب علي مشاهدة هذا الحال فرفعت يدي الى الله تعالى ودعوت على الجراكسة

المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من اعوانه فصادفوا الدعاء ساعة الاجابة
وبت تلك الليلة على طهارة وانا افكر في امرهم وتحدثني نفسي بذلك
واقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملات جنوده الارض وانى
للمسلمين بسلطان يترفق بالرعايا ويتطير في دولته البرايا واخذني النوم
فنمت فرايت فيما يرى النايم ثم ملايكة تنزل من السماء وبايديهم مكانس
وهم يكنسون الجراكسة من ارض مصر ويلقونهم في بحر النيل واستيقظت
من النوم واذا بقارئ يتلو القران العظيم فانصت له فاذا هو يقرا قوله تعالى
فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
فعلمت ان الله سبحانه ياخذهم اخذا وبيلا فما مضى قليلا الا وخرج الغوري
بجنوده وامواله وخزاينه من مصر لقاتل السلطان سليم الى حلب فجاء الخبر
بعد قليل بانه كسر وقتل اكثر جنوده وفقد تحت سنابك الخيل في مرج
دابق وهرب بقية عسكره من الجراكسة الى مصر وصيروا طومان باي سلطانا
والسلطان سليم في اثرهم يفتتح البلاد ويضبطها الى ان وصل الى الريدانية
خارج مصر فخرج طومان باي ومن معه الى قتاله فما ثبت هو ومن معه
ساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم الى مصر وضرب وطاقه في الجزيرة
الخضرا على شط النيل وهرب طومان باي الى البر ومسكه شيخ عرب وجاء
به الى اوطاق السلطان سليم فامر بصلبه في باب زويلة ليراه الناس
ويصدقوا بقتله فان الناس صاروا لا يصدقون بانه مسك وصاروا
يزعمون بانه اختفى ليحصل له فرصة فيخرج وكثر كلام الناس وصار مظنة

وكان الفساد وكثر القتل والغارة من السلطان سليم بصلبة تسكينا للفتنة
صلبه في باب زويلة في حادي عشر شهر ربيع الاول سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة
وبصلبه انقطعت الجراكسة كما انقطعت دولة من قبلهم من ارباب الدول من
الاتراك والاكراد والعبيديين من الدول وهكذا شأن الدنيا في اربابها
تتقلب بهم وتتحول عنهم اي تقلب واي تحول والملك يومئذ لله تعالى كما قيل

ما اختلاف الليل والنهار دولا ۔ دارت نجوم السماء في فلك ۔
الا لنقل السلطان من ملك ۔ قد زال سلطانه الى ملك ۔
وملك ذو العرش دايما ابدا ۔ ليس بفان ولا بمشترك ۔

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا اولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم
طومان باي ومدة ملكهم مائة وثمانية واربعون عاما وليس لطومان باي
اثر لقصر ايام سلطنته وللاشرف قانصوه الغوري مآثر جميلة وعماير حسنة
جليلة فصل ومما عمره الغوري بمكة المشرفة بباب ابرهيم بعقد كبير جعل
علوه قصرا وفي جانبيه مسكنين لطبقتين وبيوتا متعددة الكرى حول
باب ابرهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف ذلك القصر لاشرافه على المسجد الحرام
وما امكن العلماء ان ينكروا ذلك عليه في ايام سلطنته لعدم اصغائه
الى كلام اهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين للطمع
في الدنيا الدنية والخوف على مناصبهم الاعتبارية فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وبنى ايضا ميضاة خارج باب ابرهيم على يمين الخارج من المسجد
هي بطالة الآن لان روايح عفوناتها قد تصل الى المسجد الحرام فيتأذى

بها المصلون فابطلت وغلقت قريبا في سنة ٩٨٠ بالامر الشريف السلطاني
ومن آثار الغوري ايضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بامره في ايامه
واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله سنة سبع عشر وتسعماية ومن انشائه
بني سور جدة فانها كانت غير مسورة وكانت العربان في ايام الفتنة تهجم
على جدة وتنهبها واسرت عربان زبيد في ايام الفتن الخواجا محمد القاري
وكان من اعيان التجار ومن اهل الاعتبار فهجموا على بيته وانزلوه من السطح
واركبوه معهم على ظهر فرس ارتدفه واحد من اهل زبيد واخذوه الى
اماكنهم وهو فوق عقبة السويس في درب المدينة المنورة ومكث عندهم
اياما الى ان اشترى نفسه منهم بثلاثين الف دينار ذهبا فردوه الى مكة
المشرفة بعد ان استوفوا هذا القدر منه ونهبت جدة مرارا في الفتن
التي وقعت بارض الحجاز بعد وفاة السيد الشريف محمد بن بركات بين
اولاده وجرت احوال يطول تفصيلها فارسل الغوري احد امرايه المقدمين
وهو الامير حسين الكردي وجهز معه عسكرا من الترك والمغاربة والاروام
في خمسين غرابا لدفع ضرر البرتغال في بحر الهند وكان مبادي ظهورهم ولمنع
تدفع الفتن الواقعة اذ ذاك في جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير
حسين الكردي الى جدة بنى عليها سورا في سنة سبع عشر وتسعمايه وهو باق
الى الآن وكان ظلوما غشوما يسفك الدماء ولا يرحم من في الارض ليرحمه
من في السماء فاذا نصب اوطاقه بمكان في سفر او حضر رتب اعوانه وجنوده
ترتيبا خاصا للارهاب من حضر ونصب اعوادا للصلب والخنق والتشكل

السياسة

واقام الجلادين للقتل والتوسيط والضرب بالبعد لترقاي مسكين وقع في
يده قتله بادنى سبب وجلده بالمقارع او صلبه اظهارًا للناموس والغرور
المهيب واخافة للخلق بالشهامة والترهيب فصل كما يحكى ان الحجاج دخل
بلدة فصادف انسانا عند دخوله فمسكه وامر بضربه فقال له اي ذنب
لي تضربني بسببه فقال الاذنب لك ولكني اريد ارهاب اهل البلد فجلس تلك
ساعة فضربه خمسماية سوط واطلقه وكانت للامير حسين الكردي المذكور
اسمطة ممدودة في ساير الايام وكان اكولا لابد للطعام سيما في الموكب
والاطعام يستوفي الخروف وحده مع عدة ارغفة ونفايس له معدة
لذلك وكان كرديًا دخيلًا في طايفة الجراكسة لايميلًا اليهم والبغضة بينه
فيما بينهم فاراد السلطان الغوري ابعاده عنهم حماية له منهم وكان
معتنيًا به فاعطاه بندر جدة على وجه التيمارلة وجهز معه عمارة
ليقاتل الفرنج الذين ظهروا في بنادر ارض الهند واستطرقوا اليها من
بحر الظلمات من وراء جبال القمر التي هي منبع النيل وعاثوا في ارض الهند
ووصل اذاهم وافسادهم الى جزيرة العرب وبنادر اليمن فقصد الغوري
رفع اذاهم عن المسلمين بارسال الامير حسين الكردي المذكور الى جدة فلما
اتى الى جدة بنى سورها وبنى ابراجها واحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس
مما يقارب موضع السور لوضع الاساس واخذ حجارتها وبنى بها السور في
شدة باس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار عتيقين
وساير المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان احدهم تاخر قليلا عن

الحجر

الحجر فلما جاء امر ان يبنى عليه فبني عليه واستمر قبره جوف البناء الى يوم البعث
والجزاء الى ذلك من الظلم الشنيع والجور العتيد وتم بنى السور المذكور بجميعه
في دون عام من شدته وغشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة
الى ان قوي بالمال وتاثل وجمع خزاين من كل صنف فتوجه الى الهند
في حدود سنة احدى وعشرين وتسعماية ودخل واجتمع بسلطان كجرات
يومئذ وهو السلطان خليل شاه بن مظفر بن السلطان محمود شاه الكجراتي
فاكرمه وعظمه وانعم عليه بنعمة طايلة جزيلة ولما سمع الفرنج به ارتفعوا
عن بنادر كجرات الى بنادر الزكند وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك هي
تحت ملكهم الى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو المشددة
المفتوحة بعدها هاء ساكنة يسر الله تعالى فتحها لسلطان الاسلام وقطع
دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصليب والاصنام ولقد احسن من قال
اعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا
ولم يستقر الامير حسين في كجرات بل عاد الى اليمن وافتتح في طريقه على عوده
مملكة اليمن من بني طاهر ملوك اليمن ظلما وعدوانا في سنة اثنين وعشرين وتسعماية
بعد امور يطول شرحها وترك بها نايبا له في زبيد اسمه برسباي جركسي من
مماليكه وقتل السلطان بن عبد الوهاب عامر مع اخيه عبد الملك بن عبد الوهاب
وكانوا ملوكا من اهل السنة والجماعة طاهرين من فساد الاعتقاد ظاهرين
على اهل البدع والالحاد فانقرضت به دولتهم اي دولة بني طاهر من اليمن
وعاد الامير حسين الكردي لمنيته وحتفه كالباحث عنها بظلفه وقدم الى

مكة المشرفة وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر وملكها السلطان
سليم بن بايزيد بن محمد وتوجه السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات وكان
أرسله والده السيد الشريف بركات ليدوس البساط السلطاني بمصر وعمره
يومئذ اثني عشر عاما فحصل له غاية التعظيم والاكرام وبلغ جميع ما امل
ورام وعاد الى والده السيد الشريف معززا مكرما ومعه احكام شريفة بكل ما طلبه
واراده وارسل احكاما مع غزال بن عجل الى السيد الشريف بركات بقتل الامير حسين
الكردي وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الامير
حسين فلما ضفر به قيده الى جده وربط في رجله حجر كبير وغرق في بحر جده
في موضع يقال له ام السمك فكان طعمة الاسماك بعد ان كان يعد من الاملاك
وصار طعاما للحيتان بعد اطعامه الضيفان وغرق مقيدا بالاصفاد
بعد ان قتل ما شاء الله تعالى من العباد وتفرق في البلاد جنوده واعوانه بددا
ولا يظلم ربك احدا

الباب السابع في ظهور ملوك آل عثمان

ملوك العصر والزمان خلد الله سلطنتهم القايمة الى آخر الاوان وذكر نبذة من
أسلافه السلاطين العظام وذكر ما عمروه في بلد الله الحرام وفعلوا فيه من
الخيرات الجسام العظام وذكر بناء المسجد الحرام على انتظام الوضع الذي هو عليه
الآن

الفصل الاول في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم

في سلك الملك العثماني ونبذة من ذكر اسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد
الله تعالى ملكهم مدى الزمان وابقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران
لما اراد الله سبحانه باهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل

فيهم

فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ودفع مواد الظلم
والمحن وتاييد دين الاسلام وتقوية اهل السنة السنية المتمسكين بسنن
محمد عليه افضل التحية والسلام واقامة الشرع الشريف على رغم انف الملاحدة اللئام
الطالع في افق الخلافة العظمى شموس الايالة العثمانية واسطع من أوج
سماء السلطنة الكبرى كمال المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله
تعالى لعظيم ممالك الاسلام وفتح على يديه اكبر الامصار والبلاد بالسيف الصارم
والصمصام والحسام الحاسم مواد الظلم من كل ظالم وظلام ونشر بجناح
الامن والامان على اهل الايمان من الانام فاخذ احاسن محاسن الربع المسكون
وكان مظهرا لقول من يقول للشيء كن فيكون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتاييد الله تعالى ونصره على سائر
البلاد ومصره وملأ نطع الدنيا بدماء سيف قهره كما ملأها بافاضة سيل
عدله وفيض بره وشرفت بذكره في الحرمين الشريفين المنابر ورؤس المنابر
وعمر مساجدهما وتلى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الملة الحنيفية
ولبى ما لها من مآثر الملك الملك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان
الاعظم والخاقان الافخم الاكرم خير خلف خلفاء الرحمن اشرف سلف آل عثمان
السلطان سليم خان بن بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد بن
السلطان مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان الغازي رحمهم الله تعالى
بالرحمة والرضوان وابدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في اعلا
غرف الجنان وابقى السلطنة في عقبهم خالدة تالدة الى يوم الحشر والميزان وقال

الفساد

سنن صح

يلدرم معناه بالعربية الصاعقة

الشعر هم معشر كلهم غاز وكلهم ۞ خير الملوك صناديد الصناديد
اولئك ان سار ذكروا او ان ذكروا ۞ ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خلد الدهر ذو عز لعزته ۞ كانوا احق بتأبيد وتخليد

وجدهم الاعلى السلطان عثمان الغازي اصله من التركمان الرحالة النزالة
من طايفة التتار وهو اول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع
وتسعين وستماية وهو ابن ارطغرل بن سليمان شاه وتتصل نسبه الى يافث
ابن نوح على نبينا وعليه السلام وهو الجد الاربعون لحضرة السلطان سليم بن بايزيد
ولما كانت اسماؤهم بلغة التركي القديم لم نذكرها لعسر ضبطها وهي مذكورة
في التواريخ التركية وكان سليمان شاه سلطانا في المشرق في بلاد
ماهان قرب بلخ فلما ظهر جنكز خان اخرب البلاد بلخ واخرج منها السلطان علاء الدين
خوارزم شاه وتفرقت الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين
الف بيت من التركمان الى ارض الروم ومر بحلب وعبر في الفراة فغرق بفرسه في
الفراة واخرج منه الى رحمة الرحمة في غرفات الجنان ودفن امام قلعة جعبر
وتفرق من معه من التركمان في اطراف تلك البلاد والبلدان وذراريهم موجودون
رحالون نزالون الى الآن وكان لسليمان شاه اربعة اولاد عاد منهم اثنان
الى البلاد العجم وهما سنقر ودينار وتوجه الى بلاد الروم اثنان وهما ارطغرل
وكوندوغدي وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد
قرمان وتخت مملكته قونيه فاكرمهما واذن لهما في الاقامة في ارضه فاستاذنا
في جهاد الكفار واجتمع عليهما من التراكمة طايفة من الغزاة وصار دابهم

الجهاد

الجهاد في سبيل الله تعالى وكان مقرهم ما بين قره حصار وبيلجك في محل يقال له سو
كود صيروه قشلاقهم وجعلوا ابلا تيره يلاقهم فسكنوا بهما مع مواصلة الغزو
والجهاد وقمع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفي ارطغرل في سنة سبع وثمانين
وستماية وخلف ثلاثة اولاد ابطالا انجبا اشدهم باسا واقواهم جاشا وانماهم
غراسا السلطان عثمان وكان مولده سنة ست وخمسين وستماية دأب في خدمة والده
في الجهاد وتمرس في الغزاة في سبيل الله تعالى منذ نشا مع الاولاد واستمر بعد والده
مع الكفار في القتال والجلاد فرأى السلطان علاء الدين جده وجهده في
الجهاد وعلم قابليته ونجابته في فتح اطراف تلك البلاد فاكرمه واعزه وامده
بانواع المعونة والامداد وارسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر
ووسمه باسم السلطنة تقوية لجنانه وشدا لعضده فلما وصل الطبل والزمر
اليه وعملوا نوبة بين يديه فعند سماعه صوت الطبل والزمر قام على قدميه
تعظيما لذلك فصار ذلك قانونا لآل عثمان باقيا مستمرا الى الآن فانهم
يقومون على اقدامهم عند ضرب النوبة على ابوابهم وكان جلوس السلطان عثمان
على تخت السلطنة سنة تسع وتسعين وستماية وافتتح فيها قره حصار من الكفار
وامر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه من اهل العلم خولة اسمه طورسن فقيه
ثم افتتح قلعة كوبري حصاري ثم قلعة بلجك ثم قلعة اين اوكي ثم قلعة اينه كول
ثم قلعة يكي شهر ثم زوج ولده اورخان على نوفر خاتون بنت تكور صاحب
يار حصار فعمل ابوها سماطا عظيما فلما حضره الغزاة انتهزوا الفرصة
وقتلوا تكورها وافتتحوا قلعة يار حصار ثم قلعة بلجك فدخلها السلطان عثمان

سلطنة السلطان عثمان

وصارت من جملة مملكته واستمر في الغزاة والجهاد وافتتاح البلاد وقتال
الكفار أهل العناد الى ان دعاه الله سبحانه الى جنته وابدله سلطنة خيرا
من سلطنته فاجاب داعي الحق لما دعاه وبادر الى اجابته ولبى نداه فعاش
سعيدا ومات شهيدا حميدا اغزيت وستين عاما في سنة خمس وعشرين وسبعمائة
وكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة **فصل** ثم ولي بعده السلطان اورخان
الغازي **مولده** سنة ثمان وسبعين وستمائة ٦٧٨ وجلوسه على تخت السلطنة بعد
والده في سنة ست وعشرين وسبعمائة ومدة سلطنته خمسة وثلاثون سنة وعمره
ثلاثا وثمانين سنة وهو الذي افتتح بروسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعا
كثيرة وله حروب مع الكفار مشهورة تسمى نيلوم صوى وكان السلطان اورخان
فاق والده في الجهاد وفتح البلاد وبذل الاجتهاد ففتح بروسا في ايام والده
ثم قيون حصار وقلعة ازنيق في سنة سبعمائة واحد وثلاثين ثم افتتح
قلعة كونبك وقلعة بالي كسري وولاية قره سي وقلعة كماسي وقلعة
اولوباد في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وقلعة قزلجه طوزله في سنة ٧٣٦ وافتتح
عدة قلاع وحصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته واجتمعت ملوك النصارى
وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ورفع ضرر المسلمين عن بلادهم
فاتفق قرال انكروس يعني سلطانهم وسلطان لان والسرف واجتمعوا
ان يتعدوا الى بلاد روميلي الى جهة اناضولي ويقاتلوا السلطان اورخان في محله
وكان له ولد نجيب اسمه سليمان بيك استاذن من والده ان يعدي من على روميلي
ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا حول القتال قبل ان يصلوا الى اناضولي فكان

والده

والده لما راى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه فسبح بدا الغزاة فتبعه
من الشجعان فوارس مشهورون وابطال مشهورون فعبروا الى روميلي فصـ
الكفار وهم في غفلة يريدون العبور الى ناحية اناضولي فوقع حرب عظيم قتل
فيه من الكفار ما لا يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم
المسلمون ياسرون منهم ويقتلون فنصر الله تعالى الاسلام وخذل الفجار
اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار والبوار
ثم الى عذاب النار ورجع سليمان بيك الى والده مظفرا منصورا مؤيدا مسرورا
وكان السلطان اورخان كوالده كثير الجهاد ظاهر الاعتقاد سليم الفؤاد
عدوا لاهل الكفر والالحاد عاش سعيدا ومات شهيدا الى سنة ٧٦١ سبعمائة
وستين **فصل** ثم ولي بعده السلطان مراد خان الغازي **مولده** سنة
سبعمائة وعشرين وجلوسه على التخت في بروسا سنة ٧٦١ ومدة سلطنته نحو
وثلاثون سنة وافتتح كثيرا من البلاد **منها** ادرنه في احدى وستين وسبعمائة وهو
اول من اتخذ المماليك وسماهم ينكجري بمعنى العسكر الجديد والبسهم اللباد
الابيض المثنى الى خلف وسماه بركا بضم الباء الموحدة وسكون الراء آخره
كاف **وكانت** له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم اسبوت
فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيما فقتل سلطان الكفرة وانهزم الكفار فظهر
واحد منهم اي من ملوكهم الطاغية اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان
مراد فلما قرب منه اخرج خنجرا كان اعده في كمه فضرب به السلطان مراد
واستشهد رحمه الله تعالى في سنة ٧٩٢ فصار القانون العثماني من يومئذ ان

مطلب مراد الغازي

وعمره خمس وستون ودة السلطانة وعمره اربعة وثلاثون

لا يدخل على السلطان ايلجي او غيره بسلاح وان تفتش ثيابه وان لا يدخل
على السلطان الا بين رجلين يكتنفانه **فصل** فولي السلطنة بعده
ولده السعيد السلطان يلدرم بايزيد **مولده** ٧٥٩ سنة وولي السلطنة وعمره
اثنان واربعون سنة **وملك** سلطنته ستة عشر عاما **ولما** استولى على اكثر
من قلاع النصارى صارت النصارى تمشي الى بعض بلاد الطوائف في بلاد
الروم فلزم ان يستولي السلطان يلدرم بايزيد خان على ملوك الطوائف وضيق
على جماعتهم مثل ابن كرميان اخذه وحبسه مع احد وزرائه فهرب مع
وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب ايضا ابن منتشا فيه وحلق
لحيته وحواجبه وصار في صورة قلندري وذهب الى تيمورلنك وكذلك
ابن ايدين هرب في صورة سقط يبيع الخزان وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم
من امراء تلك الديار وملوكهم فوصلوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيد
وحسنوا له ان يصل بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل منهم
وسفك وفتك الدماء وعاث فيهم واخذ تلك البلاد ولضر اهلها ونهب المسلمين
الى ان وصل الى آق بيجان وخرج السلطان يلدرم بايزيد الى قتاله وجميع
عسكر الروم ولما التقى الفئتان قرب انكوريه هرب من عساكره طائفة التتار
بكتابة تيمورلنك لهم وتخبيذهم عنه وكذلك عسكر منتشا وعسكر كرميان
وتركوا السلطان بايزيد وذهبوا الى تيمورلنك ووقع الحرب الشديد وقتل
من اولاد السلطان بايزيد مصطفى فشرع عسكره في الانهزام وثبت هو
وقليل ممن معه واستمر يقاتل الى ان وصل الى تيمور بسيفه المشهور يقاتلهم

وقد

ن

وقد عجزوا عنه فرموا عليه بساطا وامسكوه وجعلوه في الحبس فحصل له
غضبه فتوفي في سنة ٨٠٥ وتسلطن بعده اولاده وهم عيسى وموسى وسليمان
وقاسم ومحمد وصار بينهم النزاع والقتال نحو اثنا عشر سنة الى ان استقل
بالسلطنة السلطان محمد بن السلطان يلدرم بايزيد في سنة ٨١٦ **ومولده**
٧٧٧ سنة وملك سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية واربعين عاما **وكان** شجاعا
مقداما مجاهدا افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه في الغزاة والجهاد
ومهد البلاد **ومما** افتتحه قلعة قسطمونية وقلعة اسكوب وقلعة صامسون
وقلعة فنسمة وغيرها ثم خرج عليه محمد بن قرمان واحرق بروسا فجاء السلطان
محمد من بلاد روميلي ووصل الى قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان
حرب عظيم مشهور انهزم منه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بك بن قرمان
وولده مصطفى واتي بهما اسيرين الى عند السلطان محمد فعاتبهما وعفا
عنهما وتصدق عليهما بمملكتهما **وللسلطان** محمد مدارس وعمائر واوقاف
خير **وهو** اول من عمل الصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان فلما تم اجله
المحتوم في ام الكتاب اراد الله سبحانه نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك
الفنا الى ملك البقا المستطاب فعاش سعيدا ومات شهيدا حميدا
ونقل من دار البلا الى دار النعيم وان الى ربك الرجعى **وكانت** وفاته بمرض
الاسهال وذلك في سنة ٨٢٥ **فصل** ثم ولي بعده السلطنة مراد الثاني بن
محمد بن يلدرم بايزيد **مولده** في سنة ٨٠٦ وجلس على تخت السلطنة وعمره ثماني
عشر سنة وملك سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره سبع وخمسون سنة **وكان**

مطلب سلطنة محمد خان

مطلب سلطنة السلطان مراد

ملكا مطاعا مقداما فاتكا شجاعا بذولا واسع العطا عين الكرم انسان الفضل
في خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة الاف وخمسماية ذهب والسادة
الاشراف من خزينته مثل ذلك فتح الفتوحات ولين جموحات الجماعات
ومهد الممالك وامن المسالك واقام الشرع والدين واذل الكفار والملحدين
واعز الاسلام والمسلمين ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة
موره وغيرهما وقاتل قرال انكروس فهزمه واسر منهم خلقا كثيرا واستمر
يجاهد الكفرة ويفتح الديار الى ان انتشى ولده السلطان محمد فراى نجابة
ولمح في غرته سعادته وعز اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة
واختار لنفسه التقاعد والفراغ في مدينة مغنيسا بحسن رضا مولانا بن
ورث الارض **فصل** في ولي السلطنة السلطان محمد بن مراد في سنة ٨٥٥
وجلس على تخت السلطنة وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته
احدى وثلثين سنة **وكان** من اعاظم سلاطين ال عثمان وهو الملك الاجل
الفاضل النبيل العظيم الجليل اعظم الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا
واثبتهم جاشا وفوادا واكثرهم توكلا على الله تعالى واعتمادا وهو الذي اسس
ملك بني عثمان وقنن لهم قوانين صارت كالاطواق في اجياد الزمان **وله** منا
قب جليلة ومزايا جميلة واثار باقية في صفحات الليالي والايام وماثر لا يمحوها
تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها اصلاب الصلبان والاصنام من
اعظمها انه فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن تجري رخاء بحرا
وبرا وهجم عليها بجنوده وابطاله واقدم اليها بخيله ورجاله وحاصرها

خمسين

خمسين يوما اشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل
على اهلها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله تعالى الحصين المسبول ودق
باب النصر والتاييد ولج ومن قرع بابا ولج ولج وصبر على مر الصبر الى ان
اتاه الله تعالى بالفرج ونزلت عليه ملايكة الله تعالى القريب الرقيب بالنصر العزيز
والفتح القريب ففتح اسلامبول في اليوم الحادي والخمسين من ايام محاصرتها
وهو يوم الاربعا العشرون من جمادى الاخرة سنة ٨٥٧ وصلى في اكبر كنايسها
النصارى صلوة الجمعة وهي ايا صوفية وهي قبة تسامي قبة السماء وتحاكي
في الاستحكام قبة الاهرام ولا وهت ولا وهنت كبرا ولا هرما كان ابراج
الافلاك ومساميرها انواع بنجوم السماك وابدلها الله سبحانه عن الظلمات نورا
وكساها بنور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لازالت محلا للصلوة والعبادة
والاعتكاف ومقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفيا والزهاد والعراف
مستقر السلاطين ال عثمان اهل المعدلة والانصاف ابد الابدين
ودهر الداهرين الى ان يرث الله تعالى الارض ومن عليها وهو خير الوارثين **وقد**
اسس في اسلامبول للعلم اساسا راسخا لا يخشى على شمسه الافول وبنى
بها مدارس كالجنان لها ثمانية ابواب سهلة الدخول وقنن قوانين تطابق
المعقول والمنقول ورغب في طلب العلم الشريف وكسا الطالبين حلل القبول
بعد الخمول فجزاه الله تعالى خيرا عن الطلاب ومنحه به اجرا واكثر له الثواب
فانه جعل لهم ايام الطلب ما يسد به فاقتهم ويكون به من خمار الفقر افاقتهم
وجعل لهم بعد ذلك مراتب يرتقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتبار

لد

ابراج م

من منها جلايب الصلبان والاصنام ودفع عليها حلل مساجد اهل الاسلام م

عليه الذبول ولاح

عليها الى ان يصلوا الى سعادة الدنيا وتوسلون بها ايضا الى سعادة
الاخرى فانه استجلب العلماء الكبار من اقاصي الديار وانعم عليهم ونظر بانظار
احسانه العام اليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني
وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اسلام بول بهم ام البلاد
ومعدن الفخار والعليا واجتمعوا فيها اهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى
الآن اعظم واعلم علماء الاسلام واهل حرفها اذق فطنة في الانام وادبا
دولتها اهل السعادة العظام وله ايضا فلا ئد منن لا تحصى في اعناق
المسلمين لاسيما العلماء الاكرمين قلدها اجيادهم فهي باقية الى يوم الدين
ولو ذكرت مناقبه وعددت لتسخت بها مجلدات غفر الله تعالى له وجدد عليه قبره سحائب
الرحمة والبركات وكانت وفاته في سنة ٨٨٦ فصل ثم ولي بعده السلطان
بايزيد خان بن السلطان محمد الغازي مولده سنة ٨٥٠ وجلس على تخت السلطنة
ثامن عشر شهر ربيع الاخر سنة ٨٨٦ وعمره اذ ذاك ثلاثين عاما وعمر اثنين وثلاثين سنة
وهو من اعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وزينت
باسمه روس المنابر وتوشحت بذكره صدور المنابر وامتلات بمدايح اوصافه
بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله تعالى اعظم الغزوات
فمما افتتحه قلعة طوان وقلعة كوكلك وقلعة اق كرمان في سنة ٨٨٨ وقد تلبس
اخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان
جم وفر الى مصر وحج فرمن السلطان قايتباي وعاد واكرمه السلطان قايتباي

ترجمة سلطان بايزيد

اكراما

اكراما عظيما فذهب الى برسق وجمع طايفة من الغواة ونازع اخاه لثاني مرة
على الملك فقاتله السلطان بايزيد فانكسر جم ثانيا وفر الى بلاد الفرنج سنة
٨٨٧ فارسل اليه السلطان بايزيد احد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما
رآه السلطان جم تانس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وامر
ان يحلق راسه فحلق راسه بموسى مسموم وهرب في الحال واثر السم في راسه
وسرى الى بدنه فمات وله اشعار لطيفة بلسان التركي ومما فتحه السلطان
بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة متون وقلعة
قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر من بلاد العجم في ايامه شاه اسمعيل
بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصوفي في سنة ٩٠٥ وكان له ظهور عجيب واستيلاء
على ملوك العجم يعد من الاعاجيب وفتك في البلاد وسفك دماء العباد
واظهر مذهب الرفض والالحاد وغير الاعتقاد من اهل العجم وصيره
الى الانحلال والفساد بعد الصلاح والاعتقاد والسداد والى الان ممالك
العجم واكثر اهلها على حال الاعتقاد والله سبحانه وتعالى يفعل في ملكه ما اراد
وتلك الفتنة باقية الى الان في تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ
مستقل ولا اعلم احدا تعرض له من العلماء الامجاد واخبرني ثقة من اعيان
كتبة الديوان ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من اهل عصره ان هلاكه
يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة اولاد وكان تحذيره له قبل ان
يولد السلطان سليم فطلب امراة معتمدة عنده وبيدها جواريه الموطوآت
وهي قابلة لمن تضع حمله منهن وكانت من الصالحات الخيرات الديّنات فقال

مطلب ظهور شاه اسماعيل

لها اذا وضعت احدى الجواري بعد الآن صبيا فاقتليه ولا تبقيه حيا واذا ولدت
انثى اتركيها تعيش مع بناتي واكد عليها غاية التاكيد فاستمرت على ذلك الى
ان ولدت السلطان سليم والدته فرأته صبيا فحزنت عليه وتناولته القابلة
لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت له وقالت في نفسها باي وجه القى الله تعالى في
قتل هذا الطفل المعصوم والله لا اقدم على قتله واقول لبايزيد بان حصل له
جميلة حسنة الصورة فلما اخبر بذلك سماها سليمه واستمر على ذلك
والحال مكتوم لا يعلمه غير القابلة وصار كلما كبر وانتشا ظهر عليه سيما الغلبة
والقهر واذا اجتمع مع البنات وجلس بينهن لطم لجانبه وضربهن وانتهب ما وجد بايديهن
من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد الى
داخل السراي وامر بالمكان فزين واستدعى بناته واجلسهن بين يديه وامر ان
يوضع بين يدي كل واحدة منهن انواع الحلاوى والفواكه وحضر معهن السلطان سليم
واسمه حليمة فشرع في غارته على عادته وخطف ما بين ايديهن من الحلاوة والفواكه
ووضع الكل بين يدي نفسه والكل خائفات منه هايبات فتعجب السلطان بايزيد
لذلك وصار يتامله جدا وفي اثناء ذلك دار حولهم يعسوب كبير ارادوا مسكه
فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فهربوا منه فمد السلطان سليم يده وهو
طاير حوله فصاده بكفه ودرسه وخنقه ورماه من يده فازداد تعجب السلطان
بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتا اكشفوا عنه وبادرت
القابلة وقالت نعم هذا صبي وليس ببنت فقال لها كيف خالفتي امري وما قتليته
فقالت خفت من الله تعالى وخلصت ذمتك وذمتي من قتل معصوم لا ذنب له فتفكر

طويلا

طويلا ثم قال اما قدر الله تعالى فهو كاين لا مفر عنه وامر بالكف عنه وتربيته الى ان
كان ما كان بتقدير الله تعالى وكان السلطان بايزيد من المجاهدين الذين لا يزالون
يقاتلون في سبيل الله وعلى الحق ظاهرين وعلى من ناواهم منصورون ولمن
شق العصا وعاداهم يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا
هي السفلى فمازال غازيا في سبيل الله مظفرا باعداء الله الى ان صارت بيضة
الاسلام بسيفه محمية محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله تعالى
واعانته منظورة ملحوظة فكانت ايامه من احسن الايام واكثرها امنا ودرا
لجميع قلوب الانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة اهل الضلال خائبة
مقموعة وتولى الله سبحانه على يديه اعزاز دينه واذلال الطواغيت الكردشية طيبة
وكان محبا للخير وفعل الخيرات ومثابرا على بذل الانعام والصدقات محبا
للعلماء والمشايخ والاولياء من اهل الكرامات بحيث دخل الخلوة وجلس
الاربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة والد مولانا
ابو السعود افندي المفتي المفسر وهو الشيخ ياوصي محي الدين افندي وبنى
الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكيات والزوايا والخانات نقاهات
ودار الشفا للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء
العظام في زمنه في كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي الثمانية
من مدارس والده السلطان محمد في كل عام سبعة آلاف عثماني ولمدرسي شرح
المفتاح لكل واحد اربعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي شرح التجريد
الفي عثماني وكذا لكل رتب المشايخ الطريق ومريديهم واهل الزوايا لكل واحد على

قدر مرتبته واستحقاقه هذا غير كسوة الصيف من الاصواف ونحوها وغيرها
كسوة الشتاء من الفرو والجوخ لكل احد على قدر مرتبته وصار ذلك قانونا
جاريا بعد ثم وكان يحب اهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا
كثيرا وادر لهم الصر في كل عام وكان يحمل الى فقراء الحرمين الشريفين في كل سنة
اربعة عشر الف دينار ذهبا يصرف بعضها على فقراء مكة وبعضها على فقراء
المدينة المنورة وكانوا يتوسعون بها ويتفقون بها ويدعون له واذا ورد
عليه احد من اهل الحرمين الشريفين ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده
بصلاة عظيمة ومراتب جزيلة وممن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المشرفة
الشيخ محيي الدين عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين احمد
ابن الحسين العليف شاعر البطحاء وفاضلها وبالامنة خير الكتبة وصنف
العليف باسمه تاريخا سماه الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد
ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة ومما نظمه الشهاب العليف في مدحه من قصيدة مطلعها

ومنها

خذوا من ثناي موجب الحمد والشكر ● ومن در لفظي طيب النظم والنثر
فيا راكبا يسري على متن ضامر ● الى الروم يهدي نحوها طيب النشر
لك الخير ان وافيت برسا فسر بها ● رويدا الى اسطنبول سامية الذكر
لدى ملك لا يبلغ الوصف كنهه ● شريف المساعي نافذ النهي والامر
الى بايزيد الخير والملك الذي ● حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
وجرد للدين الحنيفي صارما ● اباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده ● رجاء لما يبغي من الفوز والاجر

له هيبة ملء الصدور وصولة ● مقسمة بين المخافة والذعر
اطاع له ما بين روم وفارس ● ودان له ما بين بصرى الى مصر
هو البحر الا انه دايم العطا ● وذلك لا يخلو من المد والجزر
هو البدر الا انه كامل الضيا ● وذا كان طرف النقص في معظم الشهر
هو الغيث الا ان للغيث مسكة ● وذا لا يزال الدهر منهمر القطر
هو السيف الا ان للسيف نبوة ● وفل وذا ماضي العزيمة في الامر
سليل بني عثمان والسادة الالى ● على مجدهم فوق السماكين والنسر
ملوك كرام الاصل طابت فروعهم ● وهل ينسب الدينار الا الى التبر
محوا اثر الكفار بالسيف فاغتدت ● بهم حوزة الاسلام سامية القدر
فيا ملكا فاق الملوك مكارما ● فكل الى ادنى مكارمه يجري
لئن فقتهم في رتبة الملك والعلى ● فان الليالي بعضها ليلة القدر
فتلك ملوك الارض طرا انجم ● سراج وانت البدر في غرة الشهر
تسامت عليهم رفعة ومكانة ● وذاتا واوصافا تجل عن الحصر
لك العزة القعسا والرتبة التي ● قواعدها تسمو على منكب النسر
سموت علوا اذ دنوت تواضعا ● وقمت بحق الله في السر والجهر
غدت بك ارض الروم تزهو ملاحة ● وترفل في ثوب الجلالة والفخر
الست ابن عثمان الذي سار ذكره ● مسير ضياء الشمس في البر والبحر
يمينك يروي عن عطاء ونايل ● ووجهك يروي في البشاشة عن بشر
وان الصوان لم ترق اليدي ● عن البذل الا فيك يا ملك العصر

فقابل دعاك الله شكري بمثله ۝ فانك للمعروف من اكرم الذخر ۝
فلا زلت محروس الجناب مؤيدا ۝ من الله بالتوفيق والعز والنصر ۝
ويحكى ان القصيدة لما وصلت اليه فرح بها فرحا شديدا وامر لصاحبها احمد
العليمي المذكور بالفي دينار ذهبا ورتب له في دفتر الصرف في كل عام مائة دينار
ذهبا كانت تصل اليه كل عام فصارت بعده الى اولاده وكان للسلطان بايزيد
عدة اولاد صاروا ملوكا وصار لاولادهم اولاد منهم السلطان جهان شاه
والسلطان احمد والسلطان قورقد والسلطان سليم والسلطان محمود
والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان انجبهم وامجدهم واجدهم
واكملهم وارشدهم السلطان سليم شاه وكلهم اعلام الهدى ومصابيح الدجى
ونجوما لرجوم شياطين العدى نشأوا في مهد السلطنة وحجرها ونموا ما بين
سحرها ونحرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها فلا غرو ان يحوي الجواد
كاصله وتلوح مخايل الليث على شبله والولد سر ابيه في نبله وفضله وكل
شي في الحقيقة يرجع الى اصله ۝ ومما قيل ۝
ملوك بني عثمان مذ كان اصلهم ۝ كرام لهم في المكرمات مفاخر ۝
اذا ولد المولود منهم تهللت ۝ له الارض واهتزت اليه المنابر ۝
ولما ترعرعوا وتبرعوا اخرجهم والدهم الى الصناجق العالية في بلاد الروم وانعم
عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ممالك الاسلام وقلدهم الامور الجسام ۝
فجعل اكبر اولاده السلطان احمد بمملكة اماسيا وما والاها وكان يتوقع
منه ان يكون ولي عهده من بعده ويابى الله تعالى الا ما اراد وانعم على ولده

مفاخر

بلغ مقابلة

السلطان

السلطان جهان شاه بمملكة قرمان واعمالها وولى السلطان قورقد
منتشا واعمالها وجعل لولده السلطان سليم مملكة طرابزون وهو
الذي جرى في حلبة السعادة فسبق ما سبق في علم الله تعالى سلطنته
فكان اولى من الجميع واحق واعطى السلطان محمود مغنيسا وعين لولده
السلطان عبد الله مملكة الكفا وما يليها من بلاد التتار وكلهم ملوك ابرار
وسلاطين كبار وقيل من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يهدى بها الساري
واسعد الله سبحانه السلطان جهان شاه ومحمود واحمد بالوفاة في حين
والدهم وكفاهم القتل والقتال وصار حال ملعوا السلطان سليم الى ما حال
فرحم الله تعالى اولئك السادة الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات
تجري من تحتها الانهار وكان والده السلطان بايزيد استولى عليه مرض
النقرس وهو اكثر مرض آل عثمان وضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة
فصار العسكر لبطرهم وكثرة راحتهم وسكونهم يتطلبون سلطانا شابا
قوي الحركة كثير الاسفار ليجاهد بهم في سبيل الله ويغنموا من الكفار غنايم
ويظفرون بانواع المغانم وراوا ان السلطان سليم قوي على ذلك
لقوة جنانه وعلو شانه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم
وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومضاربا فقابله ابوه وهزمه
فولى هاربا ثم عطف على والده ثانيا فلما راى ميل العسكر اليه واختيارهم
له على والده واجتماعهم عليه وراى السلطان بايزيد توجه اركان الدولة
الى السلطان سليم عليه وزواره ان يفرغ عن السلطنة لابنه سليم بقلب سليم ويختار

وتوابعه

طرابزون

اجل من ساير اخوانه

سليم وانشاره

التقاعد في ادرنة في عزة وتعظيم وابر موافقة لكل علية فما رآى بدًا من اجابتهم
الى ما سالوا وموافقتهم الى ما طلبوا منه واملوا فطلبه الحضور وعهدوا اليه
بالسلطنة وليوجه اليه التخت ثم توجه هو مع خواص خدامه الى ادرنة فلما
وصل الى قرية جورلو انكسر زجاج مزاجه وعجز الاطباء عن علاجه وسقاه
في الحمام كاس الحمام المحتوم فسلم الى قابض الارواح روح المرحوم واقدم
على الله الحي القيوم فرزق رتبة الشهادة ونال بها اعلى درجات السعادة
وانتقل من الملك الدنيا الفاني الى الملك العزيز الباقي وذلك في سنة ثمان عشر وتسعمية

فصل ثم ولي بعده ولده السلطان سليم الاعظم كاسر ملوك الاكاسرة العجم
وفاتح اقليم مصر وسائر ممالك العرب طيب الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه **كان**
مولده في اماسية سنة ٨٧٥ وجلس على تخت السلطنة وعمره ست واربعون سنة وكانت
مدة سلطنته تسع سنين وثمانية اشهر **وكان** جميع عمره اربعا وخمسين سنة
لم يعمر اكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان سفاكا كثير القتل
وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا اكثروا من سفك
للدماء **وكان** سلطانا قاهرا ملكا جبارا قوي البطش عظيم الفتك
كثير السفك كثير الفحص عن اخبار الناس شديد التوجه الى اهل النجدة
والباس عظيم التجسس عن احوال الممالك عارفا بمسالك الطرق وسلوك
المسالك وكان يغير زيه ولبسه ويتجسس في الليل والنهار ويطلع على
الاخبار ويستكشف الاخبار والاسرار وله عدة مصاحبين يدورون الاعلان
تحت القلعة في الاسواق والجمعيات والمحافل ومهما سمعوا به ذكروه له

في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمعه بعد الوثوق بهم **وقد** ادركت
جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان معهم
ولطف معاشرته لهم وتفرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية (وشدة تيقظه ودقة فهمه وتحفظه مع كثرة مطالعته للتواريخ م)
بحيث فاق فيه فصحاء الطائفتين **ورايت** بالعربي بخطه بيتين كتبهما
في علو المقياس في الكشك الذي امر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد
انمحى لطول الزمان مداد هما ومال الحلول البياض سواد هما وكان هذا
الكشك محترما مقفلا لا يدخل اليه احد لعظم بانيه ولا يبتذل بالدخول
اليه تعظيما للرعية فدخلت الى مصر في سنة ٩٤٣ تسعمائة ثلاث واربعين وكان
يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك لصاحب مصر يومئذ خسرو باشا
وكنت مصاحبا لمعلمه مولانا عبد الكريم العجمي فطلع اليه واطلعني معه
في صحبة خسرو باشا المذكور فرأيتهما مكتوبين على الرخام الابيض وهما (كتابة خفية لا تكاد تقرأ الا بتأمل م)
الملك لله من يظفر بنيل منى ... يرده قسرا ويضمن منهما الدركا (غني) (عنده)
لو كان لي او لغيري قدر انملة ... فوق التراب لكان الامر مشتركا
وتحتهما ما صورته وكتبه سليم بذلك الخط وذلك القلم والحق ان كان هذان
البيتان من نظمه فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة
فيدل على تمكنه في لسان العرب ايضا لانهما من اعلا طبقات الشعر العربي
الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه مرتبة عالية
وحسن التمثل ولطف الاستحضار وفهم الاشعار العربية وشدة
ذوقه بها وهذا القدر تعظم ويستكثر على علماء الروم وعظماء العجم

الكبير على الاشتغال بعلوم العربية فضلاً عن سلاطينهم المشغولين بضبط
الممالك وفتحها والعاشقون في ذوق الشعر العربي وحل الآية من العلماء
والموالي في غاية القلة معدودون منهم ولا يعد هذا انتقاصاً فيهم لان
فهم الشعر العربي على وجهه وذوقه كما ينبغي قليل ايضاً في علماء العرب الا
من توغل منهم في علم الادب وتعب في تحصيله ودأب ○ وقيل ○

وقد كانوا اذا عدوا قليلا ○ وقد صاروا اقل من القليل ○

ثم لما استولى السلطان سليم على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده خرج
الى قتال اخيه السلطان احمد ففر لهيبة السلطان سليم عسكره وبقي قتاله
في عدد قليل فاخذ اسيراً واتي به الى السلطان سليم فامر بخنقه في تاسع
صفر سنة ٩١٩ فصل ثم ولى فرقد الى كهف جبل واراد الهروب منه
الى بلاد سحيق فعرف مكانه وامسك وجيء به اليه فخنق ايضاً وكذلك
فعل بمحمد ابن السلطان جهانشاه وعثمان بن السلطان علام شاه ومصطفى
واورخان وسليمان اولاد السلطان محمود وهم سبعة من الاولاد كلهم رضع في
المهد خنقهم في ليلة واحدة في بروسا فكانت ليلة ملأت الدنيا بكاء وعويلا
وصراخا ومأتما طويلا بكت فيه حتى الحجارة بنفجر منها مدامع الانهار وتشقق
ثيابها حتى كمائم الازهار ولطم الخدود حتى الشقيق الى ان احمر ثم اسود ولبس
حتى الليل ثياب الحداد وتعمم بالاسود وكان امر الله قدرا مقدورا ○ وسيف
الفنا بيد القضاء مشهورا ○ وقيل ○ ماضياً هو

فلا المعري باق بعد ميتته ○ ولا المعري وان عاش الى حين ○

وقبله
اني عزيت لا اني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين

ولما

ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك وتهيأت اسباب الاستقرار وانى
له ذلك والملك لله الواحد القهار وجلس على الكرسي وزال الدغار وثبت على
تخت السلطنة وانزله الثبات والقرار شرع في قهر الملوك واخذ الممالك والاستيلاء
على الاقاليم والبلدان والمسالك فبدأ بقتال شاه اسماعيل بن حيدر الصوفي
كما سنذكره بجملة من ذكر في هذا الفصل الذي فاتني لم اظفر بكتاب فيه تفصيل
ذلك وانما تلقيته من افواه الرجال **الفصل** الاول في قتاله وانكساره لما
وصلت اخبار شاه اسماعيل الكريهة وما هو فيه من الالحاد وقتل اهل السنة
وحرق مصاحفهم ونبش قبورهم وحرق عظامهم السلطان سليم تحركت فيه قوة
العصبية واقدم على نصر السنة السنية وعد هذا القتال من افضل الجهاد
وقصد ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب اهل
السنة والجماعة على مذهب اهل البدع والالحاد ويأبى الله الا ما اراد
فتهيأ السلطان سليم بخيله وعسكره المنصور ورجاله وسار لقتال الشاه
واقدم على جلاده وجداله وهو يجر الجيش العرمرم ويصول بشدة عزمه ويقدم
ويتقدم الى ان تلاقى العسكران بقرب تبريز فرتب السلطان سليم عسكره
وطلب من الله سبحانه الفتح القريب والنصر العزيز فتبارز الفريقان وتجادل
الجيشان وتطارد الفرسان وهم يهدرون كالجمال الفوالج فوق البحور
المواج وتصادمت فرسان الزحف والصيال تصادم اطواد الجبال وصارت
نجوم الابطال رجوم البطش في القتال فزلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها
وخيلت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل

ودعوت بها صليل السيوف في أعناق الجحفل وغيوثها صبيب الدم من أوداج
رؤوس تحز وتفصل وأحجار المدافع تحلق صخر حطه السيل من علِ الى ان طارت
قلوب العدى هواء وذهبت قواهم هباء وولوا على ادبارهم ادبارا وانهزم
اسمعيل فرارا وولى ولم يجد له من دون الله انصارا

وضاقت الارض حتى ظن هاربهم أن لو رأى غير شيء ظنه رجلا
وقتل غالب جنوده وامرائه وساقت العساكر العثمانية من ورائه وكادوا ان
يقبضوا عليه ففر من بين ايديهم وهم ينظرون اليه وتركوا ما تخلفه في مخيمه من
اثاث محلاته وكان شيئا كثيرا اغتنمه عسكر السلطان سليم ووطئت حوافر
خيله ارض تبريز ونهب فيها وامر وقتل من شاء واسر واعطى الرعية عام الامن
والامان ونشر فيها اعلام اهل الايمان واخذ من اراد منها من الفضلاء والاعيان
والمتميزين في الصنايع والفضايل والشعراء الاماثل وساقهم معه كما
الى اسلام بول على القانون واراد ان يقيم في تبريز للاستيلاء على اقليم
العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فما امكنه ذلك لكثرة القحط
واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتي درهم ورغيف بمائة درهم
وسبب ذلك ان القوافل التي كان اعدها السلطان سليم لان تتبعه بالميرة والعليق
والمؤن تخلفت عنه في مكان الاحتياج اليها وما وجدوا في تبريز شيئا من الماكولات
والحبوب لان شاه اسمعيل لما هرب وانكسر امر باحراق اجران الحب والشعير وغير ذلك
فاضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية
على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل فاخبر انه من الغوري قانصوه

سلطان

سلطان مصر فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات
بحيث انه كان يتهم بالرفض بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم ان الغوري هو الذي
امر بقطع القوافل عنه صمم على قتال الغوري اولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى
بلاده يتوجه الى قتال الشاه ثانيا فلما استقر ركاب السلطان سليم في تخت مملكته
تهيأ لاخذ مصر وازالة دولة الجراكسة عنها فتوجه بعسكر جرار الى جهة
حلب ٩٢٢ ثم خرج الى قتاله الغوري بجميع عسكره من الجراكسة وغيرهم وتلاقى
العسكران بقرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه
من خيربك وجان بردي بك الغزالي وكان يكرههما في الباطن ويكرهانه كذلك
فامرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما امامه
ووقف الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليهم من الجلبان الذين اراد ان يقدمهم
خلف خيربك والغزالي وقصد بذلك ان يقتلا بالبندق والطربزان في اول
مرة ثم يسلم هو ومن معه من الجلبان وتفطن خيربك والغزالي لذلك وكانا ارسلا
الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما
وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بخط خاطره
وان يوليهما مملكتي مصر والشام فقبلا ذلك منه ووافقاه عليه قبل القتال
فلما تلاقى العسكران واضطرمت النيران من البنادق في مرج دابق فر خيربك
بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي الغوري بمن معه من
خواصه وجلبانه في القلب واطلقت نيران البنادق والزربزانات فهلك من
هلك فهرب من هرب لا يدري اين سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ

والزربزانات

وجه تلك الارض بشعل النيران وغار الغور تحت سنابك الخيل ومحا نور العكر
ظلام الظلم كما يمحو النهار الليل وذهبت طائفة الجراكسة كانهم كانوا هباء
منثورا واطلت اشلاء قتلاهم الوحوش والطيور كان لم يكونوا شيئا مذكورا وافترت
رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهبا وقد احمر من اسالة الدماء
فطلب اهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا
الى لقائه بالمصاحف والعلائم وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرون
قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام واوقع
على كل اهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق بالصدقات الجليلة على الخاص
والعام وحضر صلوة الجمعة فخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له واطنب وبالغ
في المدح والتعريف **ومما قيل** فيه

وما زاده الالقاب فخرا وسوددا ۞ بالطناب في مدح واكثار مادح

وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين
سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي ان صرت خادم الحرمين الشريفين
واضمر جزاء جميلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين الشريفين واظهر الفرح والسرور
والبشر والحبور بتلقيبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة
وهو على المنبر واحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك واقام بحلب اياما يسيرة
وهو يمهد الملك ويجري احكام المعدلة والسياسة ويحسن الى الرعية ثم
ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج اهل الشام الى لقائه وطلبوا منه
الامان واللطف والطمينان فاجابهم الى ما سالوه وبسط لهم ما طلبوه

واملوه

واملوه فقبلوا الارض بين يديه وبالغوا في الدعاء والثناء عليه فخلع على من
يستحق التشريف خلع الرضاء والاكرام والبسهم التشاريف الفاخرة كل بحسب
حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الكريم واقام به
لتمهيد امور المملكة برايه الشريف القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم
واكرمهم واحسن اليهم وقابل الناس بوجه ضاحك ووجه متهلل بالسرور
وجبين اغر يملاء الارجاء ضياء ونورا ثم امر بعمارة تربة الشيخ محيي الدين
ابن عربي رحمه الله تعالى وسور ورتب عليه اوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ فيه الطعام
للفقراء وجعل عليها متوليا وناظرا يجمع الريع ويصرفه على جهات الخير
ونظره من اعظم الانظار في بلاد الشام الى الان وما يسر الله تعالى اجراء مثل
هذا الخير العظيم لاحد من ملوك الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك ان
روحانية الشيخ هي التي جلبت السلطان سليم الى سلطنة بلاد العرب وحصل له
الامداد العظيم والبركة والنصرة والتاييد في حصول ما امله وطلب
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم واستمر السلطان
سليم بارض الشام الى ان مهد امورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه
الى افتتاح اقليم مصر ودفع البوس عنها والاضر فلما وصل الى خان يونس
قتل به الوزير المعظم حسام باشا وكان من اهل الخير وله عمارة في اقشهر
يخرج منها الطعام للمسافرين دايما واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر
فوصل الى غزة ثم عدل عنها بعزمه الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد
الزيارة فتحسن الى اهل القدس والخليل وعاد الى عسكره وسار فصار

كلما مر ببلدة او قرية او قصبة في طريقه احسن الى الرعايا ونظر بعين المعدلة
والاحسان الى البرايا وازال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر العدل في العجم
وفر بعيد السيوف الجراكسة الى مصر وولوا عليهم الدوادار الكبير مقدم الف
طومان باي ولقبوه بالملك الاشرف واجتمع عليه طوائف القوم لتاكيد سلطنتهم
اليه وسارعوا بمواكبهم بين يديه وجندوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود
وبرزوا الى الريدانية خارج مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود
والاحجار وهيأوها ليطلقوها اذا اقبلت العساكر العثمانية فلما اخبرهم
الجواسيس بذلك عدلوا عن مسيرهم وجاؤا من خلف جبل المقطم فرأى عسكر
الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل والزربزانات واستمرت مدافع الجراكسة
مركوزة لم يأت من امام الريدانية بلا نفع ولا دفع وقاتل الاشرف طومان
باي ومن ثبت معه من امراء الجراكسة قتالا قويا واظهر طومان باي شجاعة قوية
عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص في العساكر ويحمل ويكر ويفر وقتل من وزراء
السلطان سليم في ذلك اليوم سنان باشا واسف السلطان عليه ومن جملة نكاته
انه قال عند ما اخبر بهروب عساكر الاعداء واخذ مصر وقتل سنان باشا
اي فائدة في مصر بلا يوسف فوجد النكتة ان يوسف يلقب سنان في عرفهم
وبعد ان ثبتوا ساعة انكسروا فهربوا وتفرقوا وتشتتوا وتمزقوا وهرب
طومان باي الى البر ونزل عند شيوخ عربان بني حرام عبد الدايم بن بقر ودخل
السلطان سليم الى مصر ونزل في ساحلها في الجزيرة الوسطانية وطاف
بالبلدان وامنوا الناس وازالوا عنهم الخوف والباس ماعدا الجراكسة

فانهم

فانهم اذا ظفروا بهم مسكوهم واتوا بهم الى السلطان سليم فيامر بضرب رقابهم
ورمي جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤسهم اكواما الى ان عفنت الجزيرة بروايح القتلى
وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وامر ان يبنى له في علوه مكانا
عاليا سكنه مدة مقامه بمصر هربا من العفونة اشلاء القتلى ثم ان شيخ
العرب عبد الدايم بن بقر تقرب الى خاطر السلطان سليم وسلم اليه الاشرف طومان
باي اسيرا فانعم عليه بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس
طومان باي عنده واراد ان يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر اذا برز عنها الى
الروم وصار يحضر معه في مجلس الصحبة ويتحدث معه في الامور والاحوال فارجف
اهل مصر عن طومان باي انه لم يقع في الاسر وانه اختفى وانه يجمع عسكرا
وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر احد على مسكه فبلغ
السلطان سليم الاراجيف فرأى ان الفتنة لا تسكن ما دام طومان باي محجوبا
فامر ان يركب على بغلة ويخترق بالعسكر من الينكجرية ويمضي به الى باب زويلة
ويصلب فيه ليراه الناس باعينهم ويصدقوا بانه مسك فصلب على باب زويلة
لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ٩٢٣ ثم ولى القضاة الاربع
بمصر وهم قاضي القضاة كمال الدين الطويل قاضي قضاة الشافعية وقاضي
القضاة نور الدين علي بن الطرابلسي قاضي قضاة الحنفية وقاضي
القضاة الدميري المالكي قاضي قضاة المالكية وقاضي القضاة احمد الفتوحي
قاضي قضاة الحنابلة **فصل** ووعد خير بك على مصر وولى الغزالي على
الشام كما وعدهما بذلك ومهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد من

مصر الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى في يوم الخميس تاسع عشر من شعبان سنة ٩٢٣
واخذ معه كثيرًا من اعيان مصر سوى كماليى الروم كما هو قانونهم ووصل الى تخت
ملكه ومقر سلطنته مظفرًا منصورًا شاكرًا لله سبحانه على نصرته وتوفيقه
وكان عبدًا شكورًا فتفقد خزاينه فوجدها قد انصرف غالبها في سفره
قبل شروع سفر مصر وهذه الخزاين مما جمعه اسلافه فلما اراد سفرًا ثالثًا
الى بلاد العجم لقطع جاذرة طايفة الرافضة راى ان ما بقي من خزاينه لا يفي بتلك
المصارف فتاخر ليجمع من خراج البلاد قدر ما يفي بالمراد ويأبى الله الا ما اراد

وقيل • ما كل ما يتمنى المرء يدركه • تجري الرياح بما لا تشتهي السفن •

فظهر في اثناء ظهره جراحة منعته الراحة وحرمته الاستراحة وعجزت
عن علاجه حذاق الاطباء وتحيرت في دوائه عقول الالباء وعظم الجرح
وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت توضع الدجاجة في جرحه
فتذوب من حر قرحته وشوهدت تعاليق اكباده في جوفه من خلف ظهره فالفدا
وانشبت المنية اظفارها فيه فما نفعته التمايم والرقى وفدا بالاموال والاولاد فما قبل

وقيل • ولو قبل الفداء لكان يفدى • وان جل المصاب عن النفاد •
• ولكن المنون لها عيون • تكد لحاظها في الانتقاد •
فقل • وقل للدهر انت اصبت فالبس • برغم بنيك اثواب الحداد •

فقضى نحبه ولقى ربه ومضى بسليم بقلب سليم وقدم على الله الكريم العفو
الرحيم وثنوا مقعده من سرير الملك بنجله الوارث السعيد كذلك يوتي الله الملك
من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد وكانت وفاته في سنة

تقدم

الفصل الثاني في ذكر الشاه اسمعيل ونسبه

هو شاه اسمعيل بن حيدر بن الشيخ حيدر بن الشيخ اسمعيل بن السلطان خوجه شيخ علي بن الشيخ صدر الدين موسى
ابن الشيخ صفي الدين اسحق الاردبيلي واليه نسب اولاده فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين
صاحب زاوية في اردبيل له سلسلة في المشايخ اخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وينتهي بواسطة الى الامام احمد
الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة ٧٣٥ وهو اول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف واول من
سكن اردبيل وبعد موته جلس في مكانه ولده الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقده وتزوره
وممن زاره والتمس بركته تيمور لما عاد من الروم وساله ان يطلب منه شيئًا فقال له اطلب منك ان تطلق
كل من اخذته من بلاد الروم اسيرًا فاجابه الى سواله واطلق الاسرى جميعهم فصار اهل الروم يعتقدون
الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الاردبيليين من ذريته الى الان وحج ولده سلطان خوجه علي وزار
قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه الى زيارة بيت المقدس وكان ممن يعتقده ميرزا شاه رخ بن تيمور ويعظمه
فلما جلس الشيخ جنيد وكان والده في الزاوية باردبيل كثر مريدوه واتباعه في اردبيل فتوجه صاحب اذربيجان
يومئذ وهو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركماني من طائفة قرا قوينلو فاخرجهم من اردبيل فتوجه
الشيخ جنيد حينئذ مع بعض مريديه الى ديار بكر وانصرف عنه الباقون وكان امير ديار بكر يومئذ عثمان بيك
ابن قتلو بيك بن علي بيك من طائفة اق قويونلو وولي السلطنة منهم تسعة انفس ومدة ملكهم اثنان
واربعون سنة واخذ واملك فارس من طائفة قرقوينلو واول سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركماني
ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد اوزن حسن بيك المذكور في شوال سنة ٨٧٣
وكان اوزن حسن ملكًا شجاعًا مقدامًا مطاعًا مظفرًا في حروبه ميمونًا في نزوله وركوبه الا انه وقع بينه
وبين السلطان محمد بن مراد خان حرب عظيم في بايبرت فانكسر اوزن حسن بيك وقتل ولده زينل
بيك وهرب هو وسلم من القتل وعاد الى اذربيجان وملك فارس والعراقين ولما التجى الشيخ جنيد
الى طائفة اق قويونلو صاهره اوزن حسن بيك ولده وتزوج ببنته خديجه بيكم فولدت له الشيخ حيدر
ولما استولى اوزن حسن بيك على البلاد وطرد منها ملوك قرقوينلو واضعفهم عاد الشيخ جنيد حينئذ مع
ولده الشيخ حيدر الى اردبيل وكثر مريدوه واتباعه وتقوى باوزن حسن بيك لانه صهره ولما توفي
اوزن حسن بيك ولي موضعه ولده السلطان خليل ستة اشهر ثم ولي الثاني السلطان يعقوب فتزوج
بنته حليمه بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه اسمعيل في يوم الثلاثا الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢
وكان على يده هلاك ملوك العجم طائفة اق قويونلو وقرا قويونلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف
مشهور وكان الشيخ حيدر حينئذ جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل
الله فتوهم منه السلطان شروان امير خليل شروان شاه فخرج الى قتاله فانكسر الشيخ حيدر حينئذ وقتل وتفرق
مريدوه ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر وحسنوا له الجهاد والغزا في حدود كرجستان وعملوا لهم
رماحًا من اعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانًا من حديد وتسلحوا بذلك والبسهم الشيخ حيدر تاجًا
احمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو اول من البس التاج الاحمر لاتباعه واجتمع عليه خلق كثيرون
فارسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن اوزن حسن يخوفه من خروج حيدر بن الشيخ جنيد
على هذه الصفة فارسل اميرًا من امرائه اسمه سليمان بيك باربعة الاف نفر من العسكر وامرهم
ان يمنعوهم من هذه الجمعيه فان لم يمتنعوا اذن لهم ان يقاتلوهم فمضى الى الشيخ حيدر ومنعه من هذه
الجمعيه فما اطاعه واتفق مع شروان الشاه فقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر واسر ولده شاه اسمعيل
وهو طفل واسر معه اخوته وجماعة وجا بهم سليمان بيك الى السلطان يعقوب فارسلهم الى قلعة

فحبسهم

بك القزباش وكان حاكم سروانه من قبل السلطان يعقوب وامره ان يحبسهم في قلعة اصطخر
فها واستمروا محبوسين فيها الى ان توفي السلطان يعقوب في سنة ٨٩٦ وولي بعده السلطان رستم
ونازعه في سلطنته اخوته وتفرقت المملكة واستولى في كل قطر من اولاد الشيخ يعقوب هرب اولاد
الشيخ حيدر الى لاهيجان من بلاد كيلان وخرج من اخوان شاه اسمعيل خوجه شاه علي ابن الشيخ حيدر
وجمع عساكراً من مريدي والده وقاتلهم فقاتل في ايام السلطان رستم بن السلطان يعقوب ثم توفي
السلطان رستم وولي بعده السلطان مراد بن يعقوب والوند بيك ابن ابن عمه وكان شاه اسمعيل في
لاهيجان في بيت صايغ يقال له نجم زركه وبلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحروفية
والزيدية وغيرهم فتعلم بينهم شاه اسمعيل من صغره مذهب الرفض فان اباه كان شعارهم مذهب
السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير
شاه اسمعيل وتطلبه من امراء الزند بيك جماعة وطلبوه من سلطان لاهيجان فابى ان يسلمه
لهم وانكر وحلف انه ما هو عندي ودوتري في بيته وكان مختفيا في بيت نجم زركه وكان يأتيه مريدي
والده خفية ويأتونه بالنذور يعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى ان اراد الله تعالى
بما اراد وكثرت داعية الفساد واختلفت الاحوال باختلاف السلاطين وكثر الفساد بين العباد ولو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وحينئذ كثر اتباع الشيخ اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهيجان واظهر الخروج
لاخذ ثار والده وجده في اواخر سنة ٩٠٥ وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة الشروان لقتل
شروان شاه قاتل ابيه وجده وكلما سار منزلاً كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه كثير الى ان وصل
الى بلاد شروان وخرج لمقاتلته شروان شاه بعساكره وقاتلهم وقاتلوه فانكسر عسكر الشروانات
واسر شروان شاه واتوا به الى شاه اسمعيل فامران يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه ففعلوا
كما امروا واكلوه وكان ذلك اول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوند بيك فقاتله وانهزم منه واستولى
على خزائنه واقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به قتلاً ذريعا ولا يمسك شيا من الخزائن
بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بيك ابن السلطان يعقوب فهزمه في الحال واخذ خزائنه وفرقها
على عساكره ثم صار لا يتوجه الى بلد الا فتحها ويقتل جميع من فيها وينهب اموالهم ويفرقها الى
ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العجم وخراسان وكاد ان يدعي الربوبية وكان يسجد
له عسكره ويأتمرون بامره وقتل خلقا لا يحصون تنوف على الف الف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام
ولا في الجاهلية ولا في الامم السابقة من قتل من النفوس ما قتله شاه اسمعيل وقتل عدة من اعاظم العلما
بحيث لم يبق احد من اهل العلم في بلاد العجم واحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لانها مصاحف اهل السنة وكان
مر بقبور المشايخ ينبشها واخرج عظامهم واحرقها واذا قتل اميراً من الامراء اباح زوجته وامواله
لشخص اخر ومن جملة مضحكاته انه جعل كلبا من كلاب الصيد اميرا ورتب له ترتيب الامراء من الخدم
والكواخي والسماط والكيلان والاوطاق والفرش الحرير ونحو ذلك وجعل له السلاسل من ذهب
ومرتبة ومسندة يجلس عليها كالامرا وسقط مرة من جبل من يده الى البحر وكان في جبل شاهق
مشرف على البحر المذكور فرمى نفسه خلف المنديل من عسكره فوق الف نفس تخطفوا وكسروا
وغرقوا وكانوا يعتقدون فيه الالوهية ويعتقدون انه لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من
الاعتقادات الفاسدة

الفصل الثالث في بيان ما

تسعمائة وعشرين

الفصل الثالث في بيان ما عمره السلطان سليم في الحرم
الشريف وبعض احسانه الى اهل الحرمين الشريفين في ايام سلطنته **كان**
كوالده كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان
والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يجهزها لهم والده
ويكرم من قدم عليه منهم اتم اكرام ويحسن اليهم اعظم احسان وانعام فوصلت
صدقاته الرومية ووصل معها دفتر الصر على حكم ما قرره والده لاهل
الحرمين الشريفين في اول سلطنته سنة ٩١٨ وتضاعف له الدعا بالحرمين الشريفين
وسافر اليه جماعة منهم من اهل مكة الخطيب محيي الدين العراقي فحصل منه
انعام جزيل وخير جميل ورتب له في دفتر الصر مائة دينار ذهبا وفرح بمن قدم
عليه من الحجازيين وانعم على كل واحد على حسب حاله وكان يرسل الصدقات
الرومية كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضي القضاة
صلاح الدين محمد بن ابي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان الغوري حبسه
بمصر من غير ذنب بل للطمع فيه ولما خرج بعساكره من مصر الى مرج دابق اطلق
كل من في حبسه من ارباب الجرايم الا القاضي صلاح الدين فانه ابقاه في
الحبس فلما انكسر وقتل في مرج دابق توجه طومان باي الى الحبس واطلقه فلما
وصل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضي صلاح الدين فاكرمه وعظمه
وخلع عليه ووجهه الى مكة المشرفة معززا مكرما مع الاحسان اليه وكان
بمصر جماعة من الحجازيين احسن اليهم كلهم واكرمهم وولى امانة بندر جدة
لتاجر اسمه الخواجا قاسم الشرواني كان مقيما بمكة المشرفة ثم سافر الى مصر فصادف

دخول السلطان سليم الى مصر فخدعه وتقرب الى خاطره فارسله الى مكة المكرمة قر
اميناً في بندر جدة اميراً عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وارسل الكتاب
سليم من امر اليه الى مكة الامير مصلح الدين بيك بالصدقات الرومية وبكسوة
الكعبة الشريفة وبمحمل شريف رومي فوصل في صحبة امير الحاج المصري المقر
العلائي بالمحمل الشريف المصري على عادته وبرز السيد الشريف شريف مكة
يومئذ السيد بركات بملاقات المحملين الشريفين الى سبيل الجوخي وولده
الشريف جمال الدين محمد ابو نمي ولبسا الخلع الشريفة السلطانية وسارا
امام المحملين الشريفين المصري والرومي باعلامهما وطبولهما واستمر في ذلك
الموكب الى ان فارقا المحملين فامير الحاج والامير مصلح الدين من عند باب
السلام وادخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا على يمين منبر الاشرف
قايتباي ونزل الامير مصلح الدين في مدرسة الاشرف قايتباي ونزل امير
الحاج المصري في مجمع البرهقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو باب
رباط صاحب بلدة كلبركه من ملوك الدكن وقد هدمت الآن مع باقي ذلك
الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة بجدار الحرم الشريف توسيعاً للطريق
السيل ودفعاً لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل
وكان هدمها بالامر السلطاني في سنة ٩٨٤ وفرقت الصدقة الرومية في يوم
الجمعة لاربع مضين من ذي الحجة سنة ٩٢٣ في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر جماعة
من المجاورين لكل شخص مائة دينار ذهب منهم القاضي نور الدين بن حمزة
القاضي مصطفى القرماني والقاضي زين الدين علي القرماني وقرر باسم السيد

الشريف

الشريف ابي نمي خمسمائة دينار في اول دفتر الصدقات باقية الى الآن باسم
السيد الشريف تقبض له في كل عام وفرق بعد ذلك الذخيرة وهي صدقات
كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة ابقاها السلطان سليم على
حالها واجراها في كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى
مشايخ العرب ارباب الادركات في طريق الحج وهي باقية مستمرة الى الآن
وفرقت الصدقات المصرية التي تجمع من اوقاف الحرمين الشريفين بمصر
وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمي وهو ايضاً باق الى الآن
ولكنه تقهقر وضعف فصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف
المصرية واستيلاء الاكلة عليها وفي دخول الظلمة فيها اصلح الله احوالها
وانمى حياة من عمرها ونماها وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قرئت ختمة
شريفة في الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان
باسم السلطان سليم واهديت الى صحائفه ثوابها وقرر الامير مصلح الدين
ثلاثين نفراً يقرأ كل واحد منهم جزءاً في كل يوم ختمة كاملة ويهدي ثواب ذلك
الى السلطان سليم وقرر لهم مفرق الاجزاء وداعياً وحافظاً للاجزاء وجعل
لكل واحد منهم اثني عشر ديناراً ذهباً في دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم
في كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء واعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهباً باسم
التفرقة وكتب اسماءهم في الدفتر ثم كتب بيوت فقراء مكة وكتب اسامي من
في البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة دنانير ذهباً والحق ذلك في دفتر الروم
وسماها البيوت وهي باقية الى الآن ثم كثرت عليه الفقراء فجمعهم في حوش كبير

واعطى لكل واحد دينارين ذهبا وسماهم العامة وكتب اسماءهم والحقهم
بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن اسس هذه الخيرات جاريا
في صحايف حسناته الى يوم القيمة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويري خطبة
التروية في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه
الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقر العلائي بالمحمل المصري الى عرفا
وصلوا في اليوم التاسع صلوة الظهر والعصر جمعا بينهما بعد الزوال بعد ان
خطب الخطيب في مسجد نمرة ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب
قاضي القضاة صلاح الدين ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف
بين يديه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وامير الحاج المصري بالمحمل المصري
ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعى الخطيب للسلطان سليم وكذا
ساير الحجاج وافاض الامام وافاض الناس معه وكانت الوقفة يوم الاربعاء
وباتوا بالمزدلفة ثم افاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة الشريفة
من منى في يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين وكسي البيت الشريف باسم
السلطان سليم واتم الناس حجهم وتوجه امير الحاج المصري بالمحمل الشريف وسافر
وتاخر عنده الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها
ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة
السلطان سليم ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في اواخر ذي الحجة الحرام
طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم الشيخ عبد الكريم
ابن الشيخ يس الحضرمي والشيخ عبد الله بن احمد باكثير الحضرمي وشيخنا الشيخ

محمد

محمد بن عبد الرحيم الحطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن
المالكي والشيخ ايوب الازهري وجماعة من الصلحاء واحضر لهم دوابا يركبو
الى التنعيم عند مسجد السيدة عايشة رضي الله عنها وركب معهم واشار عليهم
ان يعتمروا عن والد السلطان سليم فاحرم كل واحد منهم عن المرحومة
ولي عنها وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا وسعوا وحلقوا واهدوا
ثواب تلك العمرة الى صحايفهم ثم احال السلطان سليم اليهم ورتب لهم الصر
في دفتر الصدقات فدعوا له ولولده ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة
سفاين مسمارية فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين
جهزها ملك الامراء خيربك نايب السلطنة الشريفة بمصر بامر السلطان سليم
وهي سبعة الاف اردب حب منها الفا اردب لاهل المدينة والباقي خمسة الاف
لاهل مكة ووصل الامر السلطاني ان يوزع ذلك الامير مصلح الدين فجلس في
الحرم الشريف وطلب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي والقضاة
الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي ونايب جدة الامير قاسم الشرواني وبقية
الفقهاء والاعيان وقرا عليهم المرسوم السلطاني واستشارهم في توزيع
ذلك فذكروا انه لا بد من عرض ذلك على شريف مكة السيد بركات واخذ
رايه في ذلك فارسلوا اليه ساعيا وكتبوا اليه صورة الامر الشريف واستدعوا
رايه العالي في ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى امتثال الامر السلطاني
وان يوزع ما وصل من حب الصدقة على المستحقين بحسب اتفاق الاراء
من اعيان اهل المجلس فاجتمعوا ثانيا بعد وصول الجواب واتفق رايهم على

يبيع شيء من ذلك الحب ليصرف في اجرة نقله من جدة الى مكة وبان يكتب
اسامي الناس على العموم ويصرف الى كل واحد ما يخصه من الحب وما يخصه
من ثمن ما باعوه بعد استيفاء المصالح وامر شيخ الاسلام الصالحي ابن بشر
بكتابة دفتر ذلك ورقم اسامي الناس الشيخ رضي الدين الحنفي الشاهد العدل
كبير الشهود العدول في باب السلام المكي فكتب بيوت كل محلة وما في كل
بيت من الانفار رجالا ونساء واطفالا وخداما ما عدا التجار والسوقة
والعسكرية فكانوا اذ ذاك اثني عشر الف نفس لكل نفس ستة ربع بكيل الربع ربع
الكبير الذي هو ربع كيل عن اربع وعشرين قدحا بالكيل المصري المستمر الآن
وان يدفع مع ذلك لكل نفر دينارا ذهبا فوزع ذلك جميعه على هذا
الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربعة ثلاث اردب فزيد في
اسماء بعض اهل البيوت بحسب الاعتناء بشان كبير البيت وهذه الصدقة
اول صدقات الحب السلطاني واستمرت الى الآن وتزايدت على ما كانت بحيث
صار فقراء مكة والمجاورون يعيشون بوصول ذلك الحب اليهم اما في جميع
السنة او اكثرها فلو فقدوا ذلك والعياذ بالله تعالى هلكوا وكذلك يرتفقون
في الصدقات الرومية وغيرها مما كان سبب الانعام به عليهم سلاطين
آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم السعيد وطوق قلائد احسانهم
العبيد اعناقا وخدام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد الى آخر الزمان وانقضاء الدوران
اقامت في الرقاب لهم اياد ۞ هي الاطواق والناس الحمام
فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى اهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء

بدوام

بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم مدى الزمان فان دولتهم
هي عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد
الله تعالى الحرام وجيران نبيه الطاهر عليه الصلاة والسلام فانهم فازوا بالا[نعام] مات
الوافرة في ايام هذه الدولة الزاهرة وحازوا من الصدقات المتكاثرة
في هذه السلطنة القاهرة ما لم يتصوروه من الدول الماضية الغابرة
فالله سبحانه يديم علينا سلطانهم كما ادام علينا معشر المسلمين بركاتهم وبرهم واحسانهم

فصل ومما جدده الامير مصلح الدين المذكور بناء مقام السادة الحنفية
فانه كان مسقفا على اربعة اعمدة في صدره محراب عمل في سنة ٨٠١ فاراد ان
يوسعه ويجعله قبة فامر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربع والائمة
والعلماء والاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم ابا حنيفة النعمان رضي الله عنه جدير بان
يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه اهل مذهبه ومقلدوه ويكون
اوسع من هذا المقام فذكر بعضهم انه لا شك في عظم كل واحد من الائمة
الاربعة رحمهم الله غير ان تعدد المقامات في مسجد واحد باستقلال اهل كل مذهب
بامام ما اجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت حدوثها
انكره العلماء غاية الانكار في ذلك العهد ولهم في ذلك العصر رسائل لا تزال
باقية بايدي الناس الى الآن وان علماء مصر افتوا بعدم جواز ذلك وخطؤوا
من قال بجوازه ثم انفض المجلس على غير اتفاق ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن
الضياء الحنفي ان جده القاضي ابا البقاء بن الضياء افتى بجواز ذلك فشرع الامير
مصلح الدين في اتمام ما قصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل

فيه قبة عالية من الحجر الاصفر والاحمر الشمسي وامر وعلي ذلك ذهبا كثيرا
واستمر مقاما يصلي فيه امام الحنفية بالحنفيين الي ان غيره الامير
خوشكلدي امير جدة وهدم القبة وبني المقام من بعد الطبقتين جعل الطبقة
العليا للمكبرين ليصل اصواتهم الي من بالمسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو
باق الي الآن علي هذا الحكم ثم بعد الفراغ من بناء القبة المذكورة توجه
الامير مصلح الدين الي المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها
علي جيران النبي صلي الله عليه وسلم وكتب دفترا باسمائهم واحسن اليهم احسانا
وافرا واستجلب الدعاء منهم للسلطان ثم توجه الي الينبع وركب البحر
الي مصر ثم الي الروم وابقي لكل ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحم الله اموات المسلمين

الباب الثامن في دولة السلطان سليمان وبعض ما فعله من المآثر

مطلب جلوس السلطان سليمان

والاحسان والصدقات الجارية الحسان والخيرات الباقية علي صفحات الزمان
سقي عهده سحايب الغفران كان سلطانا سعيدا ايده الله تعالي لنصر الاسلام
تاييدا ولي السلطنة بعد وفاة والده السلطان سليم سنة ٩٢٦ وجلس علي تخت
السلطنة ولا اربي في ذلك محجمة من دم مولده سنة ٩٠٠ كذا ذكره مولانا
محمد بن خطيب قاسم الرومي في حاشية كتاب مختصر ربيع الابرار للعلامة الزمخشري
سماه الروضة ورايت في ذلك بخط طايفة من الفضلاء المعتبرين فيكون
سنه حين ولي السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر في السلطنة بسعا
واربعين سنة وكان عمره اربعة وسبعين سنة وشهرين وهو مجاهد في سبيل
الله تعالي لنصرة دين الله تعالي رغم انوف اعداء الله تعالي وعداه بلسان سيفه وسنانه

قناته كان مويدا في حروبه ومغازيه مسددا في ارائه ومعاديه مسعودا
في معانيه ومغانيه مشهودا في وقايعه من امنية ايام سلكه ملكه
واني توجه فتح وملك وفتك وابرس فرسعه وسفكه ووصلت سراياه
الي اقصي الشرق والغرب وافتتح البلاد الشاسعة الواسعة بالقهر
والحرب واخذ الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وايد الدين الحنيفي
بحد سيفه البتار واقام الملة الحنيفية واحيي ما لاح من ماثر ونصر مذهب
اهل السنة السنية واظهر شرايع الشعاير ودفع اهل الالحاد وقمعهم
فما لهم من فيه ولا ناصر وكان مجدد هذه الملة المحمدية في هذا القرن العاشر
مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والادب الغض الذي يقصر عن ثناه
كل اديب وشاعر ان نظم نضد عقود الجواهر او نثر انثر منثور الازاهر ونظم
قلايد الاعناق بنفايس قلايد الدرر الفاخر له ديوان فاتق بالتركي واخر
عظيم النظير بالفارسي يتداولهما بلغا الزمان ويعجز ان ينسج علي منوالها
فضلاء الزمان الاوان تتناقلها الركبان بكل لسان وتستلذ بمعانيها العقول
والاذهان وكان رؤوفا شفوقا صادقا صدوقا اذا قال صدق واذا
قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشي عن سوء الطبع وينكر
المنكر والنفاق ولا يالف مساوي الاخلاق صافي الفواد صادق الاعتقاد
منور الباطن كامل الايمان سليم القلب خالص الجنان لا ارتاب في كمال ديانته
ولا يشك في صلاحه وولايته ولا انا مستوفي وصف محامده الا واكثر مما قلت ما ادعي
وقد اهلني الله سبحانه لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة

عديم

مطلب اجتماع المولف بالسلطان

قناته

اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرايت نور الجلال والهيبة السبع
الله تعالى به وجلالا وجبينا يسطع ضياء وجمالا والبسني تشريفه
الشريف وشملني باحسانه الوافر المنيف فها انا اتقلب الان في
جزيل انعامه واعيش في فايض تفضلاته واكرامه واترحم على ذاته الطا
الجميلة كلما تذكرت احسانه وجميله ولقد ذكر محاسنه في اطباق اوراق
الليل والنهار ورقمه في صفحات دفاتر الايام حيث لا يمحو كرور الدهور
والاعوام ولا تزيده الايام الا بهجة ونضارة ولا يزال غضا طريا بحسن بد
البراعة والعبارة **فصل** في ذكر اولاده الامجاد الكرام واحفاده النجباء
العظام كان اكبرهم وامجدهم واعزهم واسعدهم وانجبهم وارشدهم
ولي عهده وخلاصة عقده وربيب حجره ومهد مشيد اساس الملك
العثماني السلطان سليم الثاني اجلسه الله تعالى على سرير العز والتهاني
وعوضه ملك الفردوس الى في عز هذا الملك الفاني **مولده** سنة ٩٢٦
كما ياتي في محله **ومنهم** السلطان السعيد السلطان مصطفى وهو اكبر اولاده
مولده سنة ٩٢١ استدعاه والده من المحل الذي ولاه وهو مغنيسا وهو
متوجه الى تبريز لاخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلا امره باذلا نفسه وكان
والده يتوهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه امر طايفة من البكمان
بخنقه فخنق صبرا وقتل قهرا في اواخر شوال سنة ٩٦٠ والطف ما قيل
في تاريخه ظلم بي صدر اخر شوال ثم ارسل ابرهيم باشا الخادم الى بروسا
لقتل ولد له طفل اسمه مراد فمضى اليه وخنقه والحقه بابيه ولم يترك

السلطان

هم

السلطان سليمان هذا الامر الفضيع الذي قطع القلوب اي تقطيع الا
لتسكين الفتن واطفاء نيران المحن ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء
المسلمين وحفظا لنظام التمدين والتطمين **ومن** اولاده السعداء السلطان
محمد **مولده** سنة ٩٢٦ توفي على فراشه باجله سنة ٩٥٠ **ومنهم** السلطان السعيد
الشهيد الغريب الشريد السلطان بايزيد **مولده** سنة ٩٣٣ **وقد** استدعاني
وانا مار عليه بقرب كتاهية في قرية يقال لها قره ابوك وكان الامر ملتبسا
بعد بينه وبين والده فعدلت اليه وحضرت بين يديه واقبل علي
بكليته واقبلت عليه فعظمني وعظم امري واكرمني فوق قدري وباسطني
وخاطبني بدون واسطة واخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع
النوادر كشفه وتحقيقه الا سالني عنه بلطف ومودة ولجينة عن ذلك
بادب وسكون وملاحظة وادرجت في اثناء ذلك نصايح تصلح للملوك
وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء اليها ويستعيدها ويتفكر فيها ويتلذذ بسماعها
وسالني في الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكره ذلك فابيت
وكان الخير في ذلك وكلما طال المجلس استاذنت للقيام فيابى علي ويقول اما
ما مللت حديثنا ونحن نستطيب حديثك **وكان** اول المجلس من صلوة الظهر
واستمر الى بعد العصر فالبسني تشريفه واحسن الي بانواع صنوف دراهم
لها صورة وفارقته ودخلت الى بلدة اسلام بول وتوفيت والدته السلطانة
ام السلاطين الخاصكية بعد دخولي اسلام بول وحضرت جنازتها وما جرى
عليها من الصدقات **وكانت** هي الطلسم للسلطان بايزيد فلما توفيت حل الطلسم

اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتي الثانية الى الروم سنة خمس وستين وتسعماية
ح

ع

ن

بينه وبين اخيه السلطان سليم ادى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو
خمسين الف نفس فصار عدا ثم لما عجز عن مقاومة والده واخيه هرب الى العجم عند
شاه طهماسب ففرح به واقام ناموسه وعجز عن حفظه فشرع طهماسب
في المكر والخداع وتفريق عسكره والاعتذار بضعف بلاده عن ان يسعهم
ففرقهم ثم استولى عليه وحبسه هو واولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد
واغتنم منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه
لولده فلما اكد طلبه من طهماسب ذكر انه اصرف عليه خزينة مال وانه اعطاها
للسلطان بايزيد الا ان يعطى له المال فسئل عن كمية ذلك فذكر مقدارا
يكون قدر خراج مصر سنة فامر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه
فلما تسلمه احضر السلطان بايزيد واولاده الاربع وكل واحد كالبدر
الطالع والنجم الساطع فخنقوا مع والدهم بادارة الوهق حتى لم يبق فيهم رمق
واخمدوا انفاسهم بالاوتار واطفوا تلك الانوار وذرف الشمع بالاضطرار
وهم السلطان اورخان والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان
عثمان وحملت اجسادهم في توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا في سيواس
واسكن الله بهم الفتنة والوسواس وذلك في سنة ٩٧٠ وكان للسلطان
بايزيد ولد صغير في بروسا فامر بخنقه ايضا فخنق رحمهم الله تعالى بوابل الغفران
والروح والريحان ومنهم السلطان جهانگير مولده سنة ٩٣٧ وكان
احدب ظريف لطيف الروح خفيفا محببا لوالده لا يفارقه الى ان توفي
بحلب في حلب بمرض الخناق في سنة ٩٦٠ ونقل الى اسلامبول ودفن في تربة

اخيه

اخيه السلطان محمود الشاه زاده ومنهم الشاه زاده السلطان محمود
توفي باجله في سنة ٩٢٨ وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم
الكبير جدهما ومنهم الشاه زاده مراد توفي باجله في سنة ٩٢٧ ومنهم الشاه
زاده السلطان عبد الله توفي باجله في سنة ٩٣٣ وتوفيت والدة السلطان سليمان
في سنة ٩٤٠ وكانت صالحة زاهدة محبة لفعل الخيرات كثيرة الصدقات فصل
في ذكر وزرائه العظام كان اول وزرائه آصف زمانه بزرجمهر اوانه معدن
الرأي والدها موضع العقل والنهى پير محمد الجمالي الصديقي المعروف بپيري
باشا صادفه وزيرا لوالده فابقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليمان
يتتبع في اول سلطنته طوايف العلماء المتميزين بكمال العقل والرأي فلم يجد اكمل
عقلا منه وكان قاضيا في بعض القصبات فقربه وولاه وزارته العظمى
واستمر في سلطنته وزيرا عنده لم يغيره وسلم من فتكه لكمال دربته
مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأي عاقلا يبصر
المثال بفراسته وعلمه وعقله وحلمه فلما وزر للسلطان سليمان رأى في خدمته
من شباب مماليكه من هو متطلع على الوزارة طاير اليها بجناحه ورأى السلطان
شابا يميل الى اترابه وذوي اسنانه وهو بينهم لشيخوخته وكبر سنه
لا يناسبهم فاستعفى من الوزارة فاجيب الى سؤاله فانجمع للنظر في حاله
وماله ورأى بعين كماله عدم ثبات الدهر في احواله واخذ في زاد ترحاله
وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة للاخرة من ابقى الباقيات الصالحات فمن انشايه
وعماراته في ادرنه في دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين

فعمل هناك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم
اليهم ومسجدا جامعا ورتب لذلك كلما يحتاج اليه ووقف اوقافا عظيمة
عليه فصار اثرا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى
انقضاء الدوران وله خيرات اخرى غير ذلك يلوح عليها علامات القبول ثم
عزله في سنة ٩٢٩ وولى مكانه في الوزارة العظمى من المماليك الذين عنده داخل
السرايا اوده باشي حرمه الخاص ابرهيم باشا كان نشا باقدار وارتوى غصن
نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة من جملة خدام الركاب وكان اقدم
منه في الخدمة احمد باشا فظن ان الوزارة لا تتعداه الى غيره لانه من خواص
مماليك والده وابرهيم باشا من مماليك السلطان بعين نفسه فزاحمه في
صدر دست الوزارة وجلس بقوة ذاته بخدام السلطنة في محل الصدارة
فشكاه ابرهيم باشا الى السلطان فدبر في ازالته من ذلك المكان فطلبه
السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر واعطاها له تيمارا واقطاعا
يستجلب خاطره بها فمضى الى مصر واليا عليها وصار يتعقبه ابرهيم باشا
للعداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر لجماعة من الامراء
المستحفظين بمصر ان يجتمعوا عليه ويقتلوه في محله بالامر السلطاني
ويولى احدهم مكانه الى ان يرد الامر الشريف باقامة بكلربكي مصر وارسلت
هذه الاحكام الى الامراء المذكورين فوقعت تلك الاحكام في يد احمد باشا
قبل ان تصل الى الامراء المذكورين فجمعهم في ديوانه وذكر لهم ان الامر الشريف
ورد اليه بقتلهم فاذعنوا للامر الشريف فقتلهم ثم سولت له نفسه

العصيان وظن انه يأوي الى الجبل يعصمه من السلطان وانه يقابله
ويقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى السلطنة لنفسه
وامر ان يخطب باسمه على المنابر في ايام الجمع ورتب عسكرا من العوانية وجمع
وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير
وعصى عليه اهل قلعة الجبل فجمع عليها الشطار فاخذوها بالحيل وقتل من فيها
من عسكر السلطان واوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حرضه للعصيان
جانم الحمزاوي ومحمود بيك واراد قتلهما وقد اختفيا لاجل اخذهما فسمعا انه دخل
الحمام فكبسا الحمام وبرزا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادا من اطاع السلطان
فليدخل تحت لوائه فاجتمع تحت الصنجق السلطاني خلق كثير وجم غفير وصار
سردارهم محمود بيك وجانم الحمزاوي بمن تابعهما من الوزير وتوجه بالعسكر الى
الحمام فكبسا احمد باشا وقد حلق نصف راسه واعجلوه عن النصف الثاني فحمل
العسكر السلطاني عليه فهرب الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان
وخلص الى البر والتجا الى شيخ العرب بناحية الشرقية عبد الدايم بن بقر وتبعه
العسكر السلطاني ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا
اليه يطلبونه وخوفوا عبد الدايم وحذروه من عصيان السلطنة فاتاهم
به ممسوكا فقطعوا راسه وطافوا به في مصر وعلقوه في باب زويلة ثم
جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك في سنة ٩٣٠ وضبط محمود بيك وجانم
الحمزاوي مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكلربكيا واستمر ابرهيم
باشا في وزارته معظما عند السلطان نافذ الامر والنهي الى ان افرط في الادلال

وزاد في الادلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فانفت الغيرة
السلطانية من ازدياد دلاله وما تحملت زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان
في ليلة من اواخر شهر رمضان الى عنده وانعم عليه على جاري عادته بنعائمه
العامة الوافرة ووهب له جميع ما في مجلسه من اواني الذهب المرصعة بالجواهر الغالية
وطيب خاطره وطيبه بالمسك والعنبر والغالية وامره ان يبات عنده في مجلس
خاص به كان عادته ان يبات فيه وصبر عليه الى ان غلب سلطان المنام على
مقلته واماقه وامر بذبحه فذبح واخطا الذابح نحره فصاح مستجيرا
والسلطان قريبا منه وقد صمم في امره فامر ان يكمل ذبحه فقطع راسه
واطفا نبراسه وخمدت انفاسه وما كانت نار الغضب على ابرهيم بردا
وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر
مكارمه التي زادت على الحد والقياس نفعته عند الله سبحانه في الدار الاخرى
ولعله صدقت نيته في بعضها فصادفت قبولا وصار عند الكريم ذخرا
فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه الى الجنة مع
الشهداء الابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله في الليلة السادسة
والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٤١ فصل ثم ولي الوزارة العظمى الوزير
الثاني اياس باشا وكان من الارنود من مماليك السلطان سليم وكان محبا للعلماء
معتقدا في طائفة العلماء معتدلا في احواله صادقا في اقواله عطوفا في ارائه
وافعاله اجتمعت به في اوان رحلتي الى استنبول سنة ٩٤٣ وكان يكاتب والدي
ويلتمس دعاه فاكرمني واقبل علي واحسن الي ورباني عند السلطان واخبر
عن

عن والدي وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السنة في عصره فحصل لي
منه انعاما كثيرا جزاه الله تعالى خيرا واستمر وزيرا الى ان توفي سنة ٩٤٤ فصل
ثم ولي بعده الوزارة العظمى لطفي باشا وجنسه من الارنود وهو من مماليك
السلطان سليم وكان له فضل واشتغال ومشاركة في بعض المسائل
وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم ابي حنيفة
وله اثار حسنة في وزارته منها ابطال الاولاق فانه كثر في تلك الايام
وعظم اذاهم للمسلمين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فكان احد الاولاق ياتي الى المسافر
ويرميه عن دابته ويركبها الى ان تنقطع فيرميها وياخذ دابة مسافر اخر وهلم
جرا لا يسلم منهم احد فلما ولي الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق
الا في المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة
يخشى عليها منه وامثال ذلك من الامور العظيمة جدا فقل ضررهم بعد ذلك على
المسافرين وصار الناس يدعون له بسبب ازالته هذه المظلمة وكانت
الخلفاء يعدون خيلا يربطونها في كل بلاد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل
البريد فاذا صدر امر مهم ركبوا من داره على خيل البريد فيركبها الى ان يصل الى
قرية اخرى فيصير فيها ايضا خيل البريد فيركبها ويترك الاول وهكذا الى ان يصل
الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذي يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول
بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من ازال بقية الظلم الاولاق ورفع
عن المسلمين بالكلية وعين لبعض المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء
واستمر لطفي باشا وزيرا الى ان وقع بينه وبين زوجته مناقشة وهي

اخت السلطان سليمان وسببه كثرة ميله الى الجواري فشكته الى اخيها فطلبه
الى عنده وضربه بالقوس على راسه وامر بمفارقته واكرهه على طلاقها
ففارقها مكرهًا وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة ٩٤٩ فاجتمعت
به فرايته لبقه وامرني بتعريبه فعربته ثم امرني ان اترجمه له بالفارسية
فترجمته له على حسب ما اراد واحسن الي بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب
العالي واستاذن ان يكون في قرية من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى
ان توفي رحمه الله تعالى سنة ٩٥٠ **فصل** ثم ولي مكانه الوزارة العظمى سليمان
باشا الخادم وهو من الارنوت ايضًا من مماليك السلطان سليم وكان ولي
ايالة مصر قريبًا من عشر سنين ثم عزل عنها ثم اعيد اليها وجعل سردار العسكر
المجهز الى الهند لدفع ضرر البرتغال عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند
ثم كثر اذاهم ووصل الى بنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى السويس على
مرحلتين من مصر وعاثوا في البحر واخذوا سفاين الحجاج والتجار غصبًا ونهبوا
اموال المسلمين وانفسهم اسرا وقتلا ونهبا وقتلوا سلطان كجرات السعيد
الشهيد السلطان بهادر شاه وقتلوه غدرًا فتحركت الحمية العلية السلطانية
واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية فامر سليمان باشا
ان يعود الى مصر وان يعمر سفاين كبيرة مع عسكر جرار الى ارض الهند ويقطع
دابر الكفرة وينظف تلك الاقطار من الكفرة الفجار فعمر سبعين غرابًا و
مسمارية كبار الحمل الاثقال ورتب العساكر وقتل عند سفره جماعة لا ذنب لهم
غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدًا لهم على ما اتاهم الله تعالى من فضله

منهم

منهم الامير جانبك الحمزاوي وولده الامير يوسف وكان من الصناجق وقتل
ايضًا الامير داود بن عمر امير الصعيد وكان كريمًا بذولًا حافظًا للبلاد
الصعيد بغير ذنب اتاه وتوجه الى الهند ووصل صاحب عدن في طريقه مع
انه فتح له باب عدن وزين الاسواق بوصول العسكر السلطاني فبمجرد
وصوله اليه صلبه على صاري السفينة وجعل صنجقًا في عدن وتوجه
الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير ان ينال كفار الهند منه ضررًا **وكان**
الامير احمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة الخوارج الذين استولوا على تلك
الديار فاعطاه الامان وطلبه الى عنده وقتله وولى مكانه اميرًا ممن كان
معه وعاد الى مكة المشرفة فحج وعاد الى مصر ثم الى الباب السلطاني واستقرت
سفرته على اخذ زبيد وعدن وكان ظالمًا غاشمًا كثير السفك للدماء لا يعتمد
له على عهد ولا يوثق منه بامان ولا له شجاعة ولا اقدام وانما يفتك
بمن يقع في يده ماسورًا مغلولًا ورعى له السلطان سليمان خدمة والد
السلطان سليم وصداقته في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضًا عن لطفي
باشا واستمر وزيرًا مدة يسيرة الى ان عزله الله تعالى **فصل** وولي مكانه الوزارة
العظمى رستم باشا سنة ٩٥١ وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات
خانم سلطان بنت السلطان سليمان فملا عين الوزارة وزين صدر الصدارة
وهو ايضًا من جنس الارنوت من مماليك السلطان سليم وكان ذكيًا ألمعيًا
صادقا فطنا ذا باع وسيع وفكر دقيق بديع جيد المحافظة حسن القريحة
ثاقب الراي حليمًا صبورًا رزينا وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من

خصال الكمال ما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم يكن فيه خصلة تشينه غير فرط
حب الدنيا والميل الشديد الى جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت اكثر الطباع
والشيم وغلبت على اكثر اعالي الهمم ولا يملأ عين ابن ادم الا التراب ويتوب الله
على من تاب واستمر في الوزارة الى ان قتل السلطان مصطفى وكان ذلك كما
يقال بتاسيسه وتحيله ومكره وتدسيسه حتى ان بعض الظرفاء جعله
تاريخا على ما زعم انه اتهم به وهو مكر رستم وتوهم من العسكر الاقدام عليه
بالقتل فعزله السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر فصل وولي
مكانه الوزارة العظمى احمد باشا الذي كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته قليلة
القسم وتعلله لما اضمر السلطان في خاطره الاثم الى ان قدر الله سبحانه
ما قدره في الازل فخلي منه وقت حلول الاجل فعند وروده من عرض الامور
عليه وانصرافه من بين يديه امر بقتله عند الباب الداخل من السراي فخنق
هناك واخرج ملفوفا في البساط وتفرقت عنه الاحباب والاتباع والاخلاط
ومضى الى الله الكريم واقدم الى الغفور الرحيم فصل وولي موضعه
الوزارة العظمى رستم باشا استمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كبيرا يعمل
بارائه وينفرد بانفاذ الامر وامضائه لا يعارضه احد من الاركان بل
يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لا يتصرف في قضاء العسكر
والدفترداريه والبكلربكية وسائر الحكام والنظار في منصب قليل او حقير
صغير او كبير الا بامره واشارته وارادته بحيث انه يعهد ان وزيرا غيره احاط
بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه وتيقظه

وكان

وكان لا يخلو من الاحسان والصدقات والميل الى العلماء والصلحاء واستمر
على عظمته وجلالته لم يختل منه شيء الا في فتنة السلطان بايزيد فلكل
شيء حد محدود وكل امد من المقدور ممدود فان السلطان اتهمه مع بايزيد
وتزلزلت مرتبته بسبب ذلك عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية
لا اصل لها وكان خايفا من ذلك اشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شيء
من احوال بايزيد وكان يشاور علي باشا فادى الحال الى ما ادى ولو استشار
رستم باشا واطاعه في رأيه لم يتفاقم امره الى ما آل اليه لحسن سياسته
ودقة تدبيره والامر الى الله تعالى من قبل ومن بعد وما قدره الله تعالى
فهو كاين والخطار تدور حول اولي الاخطار وكم اريق بسبب هذه الفتنة
من دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفس مظلومة الجرم لجانيها في هذه البلاد
ونوائبه وقيل في ذلك لا يسلم الشرف الرفيع من الردى حتى يراق على جوانبه الدم
واستمر رستم باشا خايفا يترقب الى ان امرضه الوهم واعجله فصار في فراشه
ينقلب الى ان وافاه اجله المحتوم فمات واقدم على الحي القيوم والعليم بما
تخفي الصدور وهو الرؤوف الرحيم الكريم الغفور وكانت وفاته سنة ٩٦٨
ودفن في تربة قرب تربة الشاه زاده السلطان محمد فصل وولي الوزا
العظمى علي باشا وكان من جنس البوسنة وكان جسيما فطنا طويلا كبيرا
فهيما نبيلا على خلاف ما يرى من عظم هيكله وسمن بدنه فانه مظنة البلادة
في الاكثر فاذا اخطا فيه مقتضاه زادت الفطانة غاية منتهاه كما ينقل
هذه الهيئة عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة فانه كان في غاية الفطنة

والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا المذكور له فضيلة في الانشاء
ونظر في التاريخ اجتمعت به في رحلتي الى اسلام بول في سنة ٩٦٥ فرايته
لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لي بعض غزواته الدالة
على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلاعا عظيمة
لهم واقتلعها منهم فقلت له الا لم تقيد ما ذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر
ولا يعلم تفصيله بعد مضي سنوات قليلة واذا فني من كان حاضرا في
هذه الغزاة فني خبرها ايضا ولم يذكره احد بعد ذلك مطلقا فيمحى علمه
من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بذلك الى يعنا الله
وان من جملة كتب التاريخ اللطيفة كتاب الروضتين في اخبار الدولتين
لابي شامة ذكر فيه دولة نور الدين الشهيد وصلاح الدين بن ايوب
وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد ومدة وقتهما على الجهاد وهو كتاب
في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند
القاصي والداني مخلد فيه ذكرهما مؤبد في اطباق اوراق الدهر
وهما في الحقيقة اميران من امرائكم احدهما نايب مصر والثاني نايب الشام
فلاي معنى لا تكون اخباركم واثاركم مدونة في الكتب مخلدة في صفحات
الاعصار والحقب فاعجبه كلامي كثيرا وامر فاضل ذلك الوقت في الانشاء
وهو صاحبنا علي جلبي الحميدي المعروف بقنالي زاده افندي احد افراد الدهر
كرما وفضلا واحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله تعالى ثراه وجعل الفردوس
مثواه ان يكتب له شيء من ذلك فشرع وانا هنا كر في شيء من ذلك المعنى فاني

في بابه

في بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت الموانع من حصول ذلك
المرام وقيل ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام
واستمر علي باشا على وزارته العظمى في صدر صدارته الاجل الاسمى نافذ الامر
عالي القدر صاحب الصدر الى ان نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن
قوس وزارته ودعاه داعي الفناء الى حضرته وسقاه الحمام كاس منيته فعاش
سعيدا ومضى الى الحق فريدا وحيدا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء
وحيدا ولا صحبة مما تخوله الا ما قدم من اعماله واقدم على الله الكريم بما
من افعاله وهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين رب العالمين فصل ثم ولي
مكانه الوزارة العظمى في ذلك المقام الرفيع الاسمى اصف الوزراء العظام اسعد
السعداء الكرام محمد باشا عين اعيان ذلك المقام وصدر الصدارة على الثبات
والدوام صانه عن افات الدهر وحرسه من نوايب الزمان والايام وناهيك
به عقلا وفهما وصرامة وعزما واقداما وحزما ودقة وحلما وفكرا صائبا
ورايا صايبا وحذقا وفطانة وصدقا وامانة وكمالا ورزانة وجمالا وتم
وجلالا وسعادة واقبالا ونظرا في عواقب الامور واعانة لمصالح الجمهور
ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا في الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء
والضعفاء ومما قيل وما بلغت كف امرئ متناولا من المجد الا والذي نال اطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وان اطنبوا الا الذي فيه افضل
وكانت وزارته في سنة ٩٧٣ واستمر على وزارته وعظمته وصدارته الى الان
اظهر اليد البيضا وكمال التدبير والمضا بحيث تحير العقلاء في تيار جاشه

وعدم نفرته واستيحاشه وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم في
ارض العدو وفي حومة القتال وقوة الحرب وشدة الصبا ووحر الجلاد
والجدال وقد توفي السلطان سليمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الخلال
وانتظمت بسببه الاحوال واخذت قلعة سكتوار من القرال وهي محشوة بالعدد
والعدد من الفرنج الابطال والسلطان في السكرات والغمرات فكتم ذلك عن
جميع خدامه ومن حوله من الغاوات وارسل الى ولده السلطان سليم من مسافة
ستين يوما واجلسه على التخت وما وضعت الحرب اوزارها بل اضرم المجاهدون
نارها وغنمت المسلمون واخذلت النصارى وانصارها ثم عاد العسكر وقد
انتصر الاسلام وانهدم ركن عباد الصلبان والاصنام والحمد لله تعالى في هذه
الحالة الكفار اللئام وكان ذلك الاختيار والتدبير برأي هذا الوزير الحاذق
الفطن اللبيب وتدبيره ورأيه الثاقب المصيب وتداركه بما يجب تداركه بالقلب
الرحيم وكان ذلك بالهام الرب الرحيم وامداد البر القريب الرقيب المجيب هذا مع كثرة
احسانه وتواتر الطافه وتوالي انعامه واسعافه وتتابع اكرامه واستعطافه
لاسيما لاهل الحرمين الشريفين والتصدق عليهم والنظر بعين اللطف والرافة
اليهم والانعام في كل عام على عموم الفقراء والصلحاء بالف دينار فاكثر الصدقات
كانت من عين ماله واعماله الخيرات في الحرمين الشريفين اجرى عيونا وحفر
ابارا وبنى اربطة واثبت ذلك للفقراء وغير ذلك من المآثر الجميلة والخيرات
الوافرة الجزيلة التي يحتمل ان تفرد بتاليف وتورد في تصنيف لطيف وله
ماثر في اكثر بلاد الاسلام وقد اجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة على الحال

العليم

بها افضل الصلاة والسلام بعد ضعفها واضاف اليها ابارا منها بير اريس
وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال اخرها
معروفة بقبا من اعذب ابار المدينة فصل ذكر المجد الفيروزابادي صاحب
القاموس ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل في بير اريس ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه
حب
وسلم من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البير وقد نزع الخاتم
الشريف من يده فسقط في البير فانزل رجالا ليخرجه فلم يظفر به وركب
عليها اثنا عشر ناضحا لينزحها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان في عصرنا
جعل الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء واصرف على ذلك
اموالا جزيلة فقويت العين واضاف اليها ابارا مياه اخرى طوة فقوي بها
جريان عين الزرقاء الى ان اجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا
يتوضؤ منه الناس لدخول الحرم الشريف واجرى دبلا منها الى حمام عظيم
مكلف بناه بالمدينة انتفع بها اهل المدينة الامينة والزوار ودعوا له
على فعل ذلك وصار ثوابا جاريا ومن خيراته انه وسع بير ذي الحليفة
ويقال لها بير علي وهو ميقات اهل المدينة واهل الشام للاحرام لدخول مكة
فحفرها ونزل في الارض الى ان جعل وجه الماء عشر في عشر لئلا يتنجس بوقوع
النجاسة فيها وجعل احد جوانبها الاربع درجا ينزل من اعلاه الى اسفله
حيث كان محل الماء فصار كل احد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج
الى دلو وحبل وغير ذلك وهو خير جزيل وثواب جميل كثير لا ينقطع خيره
ولا يفنى خيره ومنها انه امر ان يبنى بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع

يكون مأوى للفقراء وصونًا للمسجد الحرام عنهم وان يبنى فيه مساطب ومباسط
تصلح للمرضى فتكون كدار الشفا لهم وان يبنى من خارجه كالكيزان وبيوت تكرى
وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم الشأن
طيب الهواء والماء وله رباط ايضًا وخيرات اخرى كلها مثوبات عظمى ودرّ
صدقاته في سنة ٩٨٤ مضاعفة وفرّقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء
وتضاعف الدعاء منهم لحضرته ولنجله السعيد بلّغه الله سبحانه مراتب الكمال
ورزقه السعادة والاقبال. فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان
عليه الرحمة والرضوان. كان السلطان سليمان محبًا للجهاد في سبيل الله
باذلا نفسه وخزاينه لاعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحبب
الغزو ويرغب اليه عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على راس
احد من السلاطين العظام اكثر رفعةً ونصرة للدين واكمل عدة والة
لقطع دابر المشركين واكبر ملكا وسلطانا واكثر جيوشا واعوانا واقطع
سيفا وسنانا واحمى للاسلام وذويه واوقى له من اهل الشرك ومنتحليه
واعدى لجنس الفرنج اللعين واقمع للكفرة الملحدين واقوى نصرة للاسلام
والمسلمين واشد عضدًا لاهل الايمان وانصر لاهل الشرع في هذا الزمان
من السلطان سليمان فكم دوّخ بلاد الكفر واستباحها وداس ارض الاعداء
بحوافر فرسه واجتاحها وجاس خلال معابرها ورباعها وافتتح صياصيها وقلاعها
واخرب معابد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحايف الدول
لكانت دولته غرة تلك الدول ولو عدت فتوحات السلاطين لكانت فتوحاته

وهذا دعاء شامل النفع للورى
فيارب قابل بالقبول دعائي

[illegible] ١٣٢٩ [illegible]

طرز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتاليف ليبقى في صفحات الدهر
ذكرها الشريف واما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف
فلنذكرها اجمالا في هذه العجالة ونعدد اسماءها في غضون هذه الرسالة
فان فسح الله سبحانه في الاجل وساعد العمر على ذكر الامل حررنا آل عثمان
تاليفًا جليلا وكتابا حافلا طويلا نستفيد منه علماء العرب والعجم ما لا يوجد
في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى. فنقول اول غزواته عندما ولي السلطنة غزوة
انكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحد عشر ليلة مضت من جمادى الاخرة
سنة ٩٢٧ بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا ويصك الجبال
الراسيات صكا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا خلالها وقتلوا رجالها
وسبوا اطفالها فنهبوا اموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا الارض
وبقاعها ومن اعظم ما افتتح من القلاع قلعة بلغراد وهي قلعة منيعة محكمة
باقية بيد المسلمين الى الآن ولله الحمد وغيرها من بلاد المشركين وغنموا الغنايم
الكثيرة واثروا الآثارات الاثيرة وعاد السلطان سليمان الى دار ملكه سالما
غانما مظفرا منصورا مؤيدا بنصر الله سبحانه ظافرا مسرورا وزينت البلاد لقدومه
وفرح المسلمون وكان الله تعالى من انصاره. وذلك اول فتوحاته وغزوة اسفاره
وغزواته. وكان عوده الى سرير ملكه في ذي الحجة سنة ٩٢٧ وفي هذا العام عصى
جان بردي الغزالي الجركسي نايب الشام وجمع طايفة من عصاة العرب وبعض
اشقياء الجراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا
فقاتله في قرب الصالحية وامسكه وقطع راسه وارسله الى الباب العالي

وكفى الله تعالى أمره ودفع عن المسلمين فتنته وشره وذلك لسبع مضين من صفر 927
فصل الغزوة الثانية غزوة رودس وهي جزيرة في وسط البحر ما بين
اسلامبول ومصر بنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الإحكام
مكينا اتخذه الكفار مكمنا لأخذ المسلمين واتقنوه غاية الإتقان في التحكيم
بحيث رسخ أساسه في تخوم الأرضين وارتفع رأسه إلى نجوم الثريا بحيث
ينظرون من أعلى القلعة السفاين التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيشتغلون
التحصين إن كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم إن كانوا من تجار
البحر واتخذته النصارى معقلا يجهزون أموالهم إليه لاستحكام بنايه وإتقانه
وجعلوا من أعلاه إلى أسفله من جميع جوانبه ثقوبا ووضعوا فيها المدافع
الكثيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فيصيب كل من قصدها من جهة
من الجهات وله باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من
الوصول إلى الباب فيه يتمون أغربة مشحونة بالسلاح والمدافع والمقاتلة
إذا احسوا بسفينة في البحر من الحجاج أو التجار أخرجوا إليها تلك الأغربة واحدقوا بها
ونهبوا ما فيها من الأموال وأسروا ما فيها من المسلمين فيقطعون الطريق على
هذا الأسلوب ويجمعون الأموال ويصرفونها على مقاتلتهم وكان هذا دأبهم
وعجزت ملوك الإسلام عن دفع هذا الضرر وعم أذاهم جميع المسلمين فتجهز السلطان
سليمان بعسكره إلى أخذ هذه الجزيرة وكان سفره إليها ونزول مخيمه
في اسكودار متوجها إلى هذه الغزاة لعشر بقين من رجب سنة 928 وكان وصوله
إلى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فحاطها برا وبحرا وما

أمكن

أمكن في البر أن يقرب من حصار رودس للخندق الذي حوله المنيعة وصونه
بالمدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من في البحر القرب منه للسلسلة
الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقرب منه بالمدافع الكبار فصاروا
يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض
الحصار وعدم تأثير المدافع فيه وتأخرت عساكر البر قليلا وأمر بسوق
الرمل والتراب أمثال الجبال وتترسوا به وصاروا يتقدمون به قليلا قليلا
إلى أن وصل التراب إلى الخندق وامتلأ به وقرب من ضلع الحصار وارتفع
عليه وصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا
عليهم النار وأحرقوهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة إلى أن عجزوا ووهنوا
وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا الأمان من السلطان سليمان وشرطوا أن يحملوا
نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويعزموا أين أرادوا ولا يتعرض لهم
أحد من الجند فأجابهم السلطان إلى ذلك بعد أن نهاه الوزراء عن أمانهم فإنهم
لم يبق لهم منعة ولا قوة ولا الأموال التي أرادوا حملها خزينة كبيرة وإن
هذه الكفرة إذا نجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوي بها وجمع العسكر من النصارى
والعود إلى أذى المسلمين فلم يصغ السلطان سليمان إلى قول الوزراء وعدم
قتلهم ومنعهم وأعطاهم الأمان وخرج الجميع بأموالهم إلى المغرب وعملوا
قلعة في إسبانيا من جزيرة الأندلس وهي في غاية الحصانة والمتانة ويقال
لها مالطة وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحجاج في السفائن
وهم الآن وإن بعدوا عن المسلمين أذاهم كثير وفسادهم عظيم وقد ندم

كتير تاريخ

السلطان سليمان على اعطاء الامان لهم وارسل اليهم عمارة عظيمة
بعسكر عظيم لاخذهم واستيصالهم في اخر عمرهم وجعل عليهم سردارًا
مصطفى باشا الاسفنديارى فوقع بينه وبين القابودان مخالفة ادى
الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال
عسكر آخر لاخذ مالطة وقهرها فما امهله الاجل وكان فتح رودس
لست مضين من صفر سنة ٩٢٩ وحصل لاهل الاسلام غاية الفرح والسرور
بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخا الطفها يفرح المؤمنون بنصر الله
وفتح عدة قلاع في ذلك العام منها استان كوي وقلعة بودرم والندوس
وغير ذلك من القلاع اخذت من الكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر
السلطانية وارسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر
الى علي بك بن شاه سوار امير امراء بغادر فانه كان يظهر الطاعة ويبطن
العصيان فاستدعاه الى عنده واظهر انه وصل اليه بخلع سلطانية
وتشاريف فاخرة خاقانية له ولاولاده فوصل اليه علي بك بن شاه سوار
مع اولاده الخمسة فادخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وامر بقتلهم
فقطعت روسهم وجهزت الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى
شره وذهب فساده من البلاد وذلك في سنة ٩٢٩ وفي هذا العام خرج
كاشف الشرقية الامير جانم الجركسي عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة
اينال بك واجتمع عليهما جماعة من الجراكسة وجماعة من عصاة العربان الاجلاب
واظهروا العصيان وابدوا الخلاف والطغيان فارسل عليهم نايب

ثم عاد السلطان من سفره الميمون الى تخت ملكه الشريف اسطنبول دار الاسلام لا زالت محمية الى القيام ووصل اليها في اواخر ربيع الاول سنة ٩٢٩ م

مص

مصر يومئذ مصطفى باشا عسكرًا فقاتلوا قتالًا شديدا وقتلا وقطعت روسهما
وعلقت بباب زويلة ثم ارسلت الى الابواب العالية وكانت فتنة رد الله تعالى
شرها وكفى المسلمين امرها وذلك في محرم الحرام سنة ٩٢٩ فصل الغزوة
الثالثة غزو السلطان الى كفار انكروس ثانيا فان ملك انكروس المسمى قرال
ظهر منه الخلاف والجدال فتوجه اليه لقطع جادرته ومحو اثره وعاديته
فغار السلطان بالجيش الاعظم والخميس العرمرم وضربوا طاقة في حلقة
لوبكار لاحدى عشر ليلة مضت من شهر رجب سنة ٩٣٢ ثم دخلوا بالعساكر المنصورة
الى ان وصل الى نهر دراوه وبنى عليه جسرا من السفاين وعدى بعساكره المنصورة
على الجسر واستمر الى ان وصل الى بوهدون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من
ذي القعدة سنة ٩٣٢ وفي ذلك الحرب الشديد انكسر القرال العنيد وانتصرت
جيوش المسلمين وعساكر الاسلام وتفرقت جماعات الصليب والاصنام
وافتتحت في هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون المنيعة
المعمورة وصارت من جملة المضافات السلطانية والاقاليم الخاقانية
من جملتها قلعة وينكر وقلعة تبراوردين وقلعة ايلوب وقلعة زاجه
وقلعة برق صرو قلعة بوكاي وقلعة اكتوار وغيرها من قلاع الكفار
وحصون اوليك الفجار واعظمها قلعة بوهدون محل تخت انكروس الملعون
فانها قلعة راسخة البنا عالية الفضا سامية الى عنان السماء تناطح
الثريا وتسامي السماك وتطاول الجوزاء في غاية الثبات والاتقان واستحكام
الوضع والبنيان وهي تخت سلاطين انكروس ومقر سلطنتهم ومكانهم النحس

م

وعندما احاط بها السلطان وجنوده اهل الايمان علم من كان فيها من جنود
الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فامنهم السلطان
وضبطت البلاد ووضع فيها عساكر تحفظها من اهل العدوان وغنم كثيرا
من الاموال والانفس والارواح وفتك باعداء الاسلام وسفك المطلول المباح
وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته مظفرا سعيدا مؤيدا حميدا منصورا
رشيدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والتمكين في اواخر ذي القعدة
الحرام سنة ٩٣٢ فصل الغزوة الرابعة غزوة بيج اجتمعت كفار المان
ونمجة قرال وفرندوس واغاروا على قلعة بودون واخذوها من المسلمين
على حين غفلة فتوجه السلطان سليمان الجيش فهزمهم وقلعهم وتفرق جمعهم وبرز
من اسلام بول الى حلقة لونكار لليلتين مضتا من شهر رمضان سنة ٩٣٥ واستمر
راحلا الى ان وصل الى المخيم العالي فيها امراة من ملوك انكروس اسمها اروارنا
داسبت البساط الشريف السلطاني والتزمت باداء خراج بلاد انكروس كل عام
فقوبلت من الحضرة السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب
لها الاحكام بالامان وعادت الى بلادها في اواسط ذي القعدة الحرام
سنة ٩٣٥ واستمر الاوطاق السلطاني الى ان وصل العسكر المنصور الخاقاني
الى بودون واحاطوا بقلعتها احاطة الاطواق بالاعناق وبياض العين
بسواد الاحداق في اواسط ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة الى ان فتح الله تعالى
بودون وسائر البلاد وخذل اهل الكفر والعناد وولوا هاربين فما سوى من
ومقتولين بنصر الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ٩٣٦ ثم افتتحت

قلعة تساق وحصار ثم توجه الجند المذكور الى قلعة بيج وهي محل تخت نمجة
القرال الخايب الامال واحاط بها مخيم سرادق الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور
المظفر من عند الله القريب المجيب وهرب منها نمجة قرال المنهزم مدحورا مكسورا
وطلب اهل القلعة من السلطان الامان واتوا بمفاتيحها فاعطاهم الامان
واخذ قلعة بيج وهي من اعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار
وذلك لليلتين بقيتا من محرم الحرام سنة ٩٣٦ ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة من
حدود ممالك الاسلام غير مامونة من هجوم الكفار اللئام امر السلطان بهدمها
فهدمت وخربت ونهبت اطراف تلك القلعة وسبيت اولاد النصارى ونساؤهم
وتركت خرابا وعاد السلطان الى تخت الملك بالنصر والتاييد والعز الشديد
السديد والفتح الرشيد الجديد فوصل الى اسلام بول في اوايل شهر ربيع الآخر
سنة ٩٣٦ فصل الغزوة الخامسة غزاة المان لما ان وصلت الاخبار الى
السلطان ان نمجة قرال جمع طايفة من كفار المان واراد الافساد والطغيان
توجه السلطان سليمان الغازي في سبيل الله الى قتال هذا الكافر اللعين
وكشط اسمه من صحيفة الوجود بعون الله الملك المعين وبرز من اسلام بول
الى حلقة لونكار لعشر بقين من شهر رمضان سنة ٩٣٨ وارسل في البحر لحفظ
وجه البحر من النصارى وضبط الاسافل والسواحل احمد باشا القبودان
معه ثمانون غرابا مشحونة بالابطال لاهل الصفاح والكفاح تطير بهم
باجنحة الرياح من غير جناح في اوايل شعبان من السنة المزبورة وافتتح عدة
قلاع من بلاد الفرنج وارعبوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل

المخيم السلطاني مع الجيش الخاقاني الى مملكة المان فحاربوا وسبوا من ذراري
الكفار واولادا كالنجوم الدراري ومن البنات والنساء خرايد كالكنس الجواري
ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال واهلكوا الرجال وهربوا ملوكهم وتركوا
رعيتهم وصعلوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخاير على بذل الاتاوة
لهم ثلاثة اعوام فاجيبوا من جانب السلطان الى سؤالهم وكتب لهم بذلك
توقيع الامان لترفيع حالهم وعاد السلطان الى دار ملكه المسعود مظفر
الجنود سعيد الجدود في اواخر شهر ربيع الآخر سنة ٩٣٦ فصل الغزوة
السادسة سفر العجم ارسل قبل سفره الميمون الوزير الاعظم ابرهيم باشا
بعسكر معظم وجيش هو كالبحر العظيم وفئة كثيرة كالخميس العرمرم
لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة ٩٤١ ووصل الى حلب وشتى بها هو ومن
معه من العساكر المنصورة السليمانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز
بعده الاوطاق الشريف السلطاني والمخيم المكرم الخاقاني الى اسكدار آخر
شهر ذي القعدة سنة ٩٤١ واستمر متوجها لنصرة السنة الشريفة السنية وقمع
طوايف الرافضة الدنية الى ان وصل مخيمه الى سلقاوجان قرب تبريز
وجاء الى استقباله الوزير المعظم ابرهيم باشا بمن معه من العساكر المنصورة
وتوجه بجميع العساكر الى اخذ ممالك العجم فلما وصل الركاب السلطاني الى
ابهر هرب من طايفة قزلباش محمد خان بن ذو القدر ووصل الى البساط
العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاكرام
والاحترام وصار من جملة عبيد الباب واستولى البرد الشديد على العسكر

ونزل الثلج كالجبال وهرب العدو ولم يقابل وصار يخادع ويحامل فلزم من
التوجه الى بغداد لصون الرجال والابطال فلما سمع بوصول العسكر السلطاني
حافظ بغداد من جانب قزلباش هو محمد خان هرب وترك بغداد ومن فيها من
الرعية فجاؤا وابغا تبعها الى الاوطاق السلطاني فنزل السلطان بعسكره
المنصور في بغداد واعطى اهلها الامان وسكنوا في اماكنهم وصارت من مضافات
الممالك العثمانية وكذلك جميع ما حولها من البلاد والبقاع وساير الحصون والقلاع
وكذلك بلد المشعشع والجزاير وواسط وامر السلطان بتحصين قلعة بغداد
وحفظها وصونها من اهل الالحاد وزار مشهد الحسين بن علي رض وزار موسى الكاظم
وامر بتعمير المشهدين وتكريم مزارهما وزار الامام الاعظم ابا حنيفة رض وبنى
على قبره قبة وعمارة ومدرسة وصلب في بغداد دفتردار اسكندر جلبي
بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي اعدائه وحساده وبراءته من ذلك عند
الله تعالى وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا ما خاب من قصده
ولا حرم من امله مع الفضل التام والكرم العام رحمه الله تعالى واتهم الوزير ابرهيم
باشا برميه بما رمي به وما طال عليه الحول حتى الحق به واجتمعا في دار
الحق بين يدي الحكم العدل اللطيف الخبير ثم توجه الركاب السلطاني بعد مضي
شدة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان الى ناحية تبريز لانه بلغه
ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم بها فقصده للقتال ومحو آثاره من صحايف
الايام والليال فلما وصل الى منزل صار قرماش وصل من الشاه ومن تاج اوغلي خان
ايلجيا بطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطايفة

قزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا تبريز خاوية على عروشها وتبعهم
العسكر المنصور فما ظفروا بهم فصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان
وتكرر توسله الى الابواب العالية بالصلح وتحقق السلطان ان الصلح خير
فقبل الصلح وكتب الاجوبة بقبول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه
المخيم السلطاني الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان في تلك السفرة اخذ
البلاد وفتح عراق العرب والعجم تاريخ قيل فيه فتحنا العراق وكان وصول
الركاب السلطاني مع العسكر العثماني الى محل التخت العثماني مع النصر والتاييد
الرباني والفتح السبحاني لاربع عشر ليلة مضت من شهر رجب سنة ٩٤١ فصل
الغزوة السابعة غزوة اولونيه المعروفة بكورفس من بلاد الكفار الفجار
من اتباع اسبانيا الفرانك توجه السلطان اليهم بركابه في البر وارسل في البحر
لطفي باشا القبودان خير الدين باشا بنحو خمسماية غراب مشحونة بعساكر
البحر الى ان نزل بمخيمه المنصور على اولونيه سنة ٩٤٣ فاستباحها قتلا واسرا
ونهبا وافتتح من جزاير ذلك البحر ربعة وثلاثين حصنا حصينا هدمت
الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طايفة الكفار
ما لا يحصى واخذوا من الاموال والسبايا ما لا يحصر وعاد السلطان مع
ساير عساكره المجهزة برا وبحرا الى تخت الملك سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين
فصل الغزوة الثامنة غزوة بغداد توجه السلطان بنفسه لافتتاح
تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل
ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيهم وفتك واباح الدماء وسفك وافتتح

ثاني الخاقاني ج

العلاع

القلاع واخذ البقاع وغنم اموالا ومغانم كثيرة واسر نفوسا عديدة
غير محصورة وعاد الى تخت ملكه مويدا من عند الله تعالى بالنصر والتاييد
والفتح الجديد فوصل الى بلاد الاسلام القسطنطينية العظمى لست ليال
بقين من شهر ربيع الاول سنة ٩٤٤ فصل الغزوة التاسعة غزوة
اسطوبور من بلاد انكروس وذلك ان السلطان كان قد انعم على
اردل بان من تلك البلاد وبلغه انه توفي وان نمجه قرال ومن معه من الكفرة
الفجار ارادوا الاستيلاء على بلادها بعد موته فتوجه السلطان الى
دفع اوليك الكفار الفجار سنة ٩٤٨ وصمم على قتال نمجه قرال لانه اراد
ان يطلبوه ووسوس له نفسه ما يتخيله المفسدون فلما احس بوصول
العسكر المنصور العثماني فر هاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعته
الابطال ففر منهم في اطراف تلك الجبال فجال العساكر السلطانية في تلك
البلدان وقتلوا اهل البغي والعدوان وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان
وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفر قاعا صفصفا
وغنموا مغانم كثيرة وذخاير تختار وتصطفى وفتحت قلعة اسطونبور بور
بعد الحرب الشديد الذي ما عليه من مزيد واضيفت الى الممالك السلطانية
وضبطت وحفظت وفتحت ايضا قلعة وسوه وقتل من الكفار ما لا يعد
ولا يحصى وعاد السلطان بمن معه من العساكر السلطانية الى مقر تخته
الشريف منصورين مويدين بتاييدهم هذا الدين الحنيف فصل الغزوة العاشرة
غزوة بيج واستر غون توجه الركاب الشريف السلطاني والمخيم المنيف

السليماني الى افتتاح عدة قلاع من نواديه لتنظيف اطراف البلاد من اهل
الكفر والعناد وقطع دابر الفجار بالغزو والجهاد في سنة ٩٥٠ وبرز من دار الملك
اسلام بول بالجيش المتواتر المنصور الاعاظم المهول الى ان احاط بقلعة والپو
وقلعة سقلاوش وهما من احكم القلاع السامية واعظم الحصون المرتفعة
العالية تناطح النطح وتسامك السماك وتوازن الميزان فافتتحهما في غرة
شهر ربيع الاول من ذلك العام وصارتا من مضافات ممالك الاسلام ثم
افتتح قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام اشد
واحكم من بنيان الاهرام كان قناديل سقفها نجوم الثريا وحارس ابراجها كواكب
العوا ونطاق منطقتها وشاح الجوزا مشحونة بالاموال والذخاير مملوة
بالعدد والعدد الوافر فالقى الله سبحانه في قلوب اهلها رعب عساكر الاسلام
وخذلهم الله تعالى فما عصمهم ذلك الحصن المنيع وما وجدوا الاعتصام فاخذوا
اخذا وبيلا واسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاطفال
واخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك
فتح قلعة استولين بلغراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد
لم يخلق مثلها في البلاد كانها من بناء شداد اخذت وضبطت وعين لها
ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدارا وصوباشيا
وقاضيا يجري الاحكام الشرعية وصنجقا للاستحفاظ وصارت من مضافات
الممالك السلطانية وصارت الكنايس مساجد للصلوة والعبادات والبيع
مشاهد للخيرات والطاعات وعاد الركب السلطاني الى سرير ملكه الخاقاني

مظفرا

مظفرا منصورا غانما سالما مسرورا

فصل الغزوة الحادية عشر سفر القاس

وهي تحتمل تفصيلا طويلا وهذه العجالة لا تحتمله فنعدل عن هذه الاطالات
وملخصها ان القاس اخو الشاه لابيه وكان واليا على شروان فوقعت
بينهما مشاحنة في الباطن ادت الى توجه القاس الى الابواب السلطانية
وقبل اليد الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من السلطان سليمان
اقبال عظيم ومرتبة علية وانعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعد
بان ينصره على اخيه ويدانيه ويعلي كلمته ويواليه وامر الوزراء العظام
واركان دولة الاسلام ان يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجميلة
ففعلوا ذلك وجابروه وازروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في سنة ٩٥٤
واستمر ملتجيا الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوي والضعيف وصار
يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويوالفه الى ان صمم العزم والجزم
وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب اوطاقه المنصور
في اسكودار لثمان ليال مضين من صفر سنة ٩٥٥ ومعه القاس ميرزا مكرما تكريما
ومعززا تعزيزا وتوجه السلطان سليمان الى اخذ تبريز وامر القاس ان يشتي ببغداد
الى ان يمضي الشتاء ثم يلحق بالعساكر المنصورة متوجها الى البلاد العجم وتمم
الركاب الشريف السلطاني سايرا بالعون السبحاني والنصر الرباني الى ان اخذ قلعة
وان وحصنت بعسكر اهل الايمان وجعل فيها نايبا وعسكرا قويا فانها
قفل ديار العجم وحصنها بالات الحصار والحزم واستمر القاس ميرزا متوجها
الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى درگزين ووصل الى همدان

وتعدى منها الى آذربيجان ونهب تلك البلاد واستلب اوطاق لحيته شاه ميرزا
وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والاوطاق المنصور الخاقاني بما نهبه من
الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وعند ورود الشتاء فشتى
السلطان سليمان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهز جيشا كثيفا مع احمد باشا
لحفظ حدود البلاد وغزو طايفة الكرج وغنم منهم غنايم وعاد الى الاوطاق
السلطاني بغنايمه واما القاسم ميرزا فنابذ بعض الوزراء فخرج من بغداد
مغاضبا واظهر النفور من جانب السلطنة ولم يرع الايادي الجميلة السابقة
واللاحقة وعزم الى عند امير من امراء الاكراد فعلم به اخوه الشاه ميرزا فارسل
اليه وخادعه واستدعاه الى عنده فلما اتاه ولاه في برج وطم ابرة وحما
ذكره وخبره فرزق الشهادة والى الله المصير فصل ولما وصل علم
ذلك الى السلطان سليمان تاسف عليه وتحسر على ذهابه وعزا ذلك الوزير على المويد
وعادت العساكر السلطانية في ركاب السلطان سليمان الى دار ملكه السعيد
بالنصر والتاييد والسعد الجديد والعز المديد فصل الغزوة الثانية في اواخر سنة ٩٥٥
عشر سفره الى بلاد الشرق لما بلغ الحضرة السلطانية تحرك طايفة القزلباشية
على بعض الحدود الخاقانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السليمانية
بجيوشها المنصورة العثمانية الى ان تشتى في مدينة حلب وبعد انقضاء
الشتاء يتوجه الى حد بلاد قزلباش وبرز الاوطاق السلطاني من القسطنطينية
الى اسكودار في اوايل شهر رمضان سنة ٩٦٠ واستمر الحال وصل الى اركلي
بقطع المراحل والمنازل فاستقر اوطاقه خارج اركلي واستدعى السلطان

سليمان

سليمان ولده السلطان مصطفى فامتثل امره الشريف ووصل اليه ودخل
الى خركاهه العالي فما برز الا في تابوت حمل على الاعناق الى بروسا ودفن
بها واتبع به ولده ودفن معه في بروسا ايضا وذلك في اواخر شوال
سنة ٩٦٠ وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركاب السلطانية الى بلاد
حلب واستمر بها ايام الشتاء وتوفي بها السلطان جهانكير قرة عين
السلطنة وثمرة فوادها العشرين من ذي الحجة سنة ٩٦٠ وجهز تابوته
الى اسلامبول في ذي الحجة من السنة المذكورة ولما انقضى الشتاء توجه الركاب
السلطاني الى نخجوان من بلاد العجم فخلاها الشاه وتركها خاليا ومضى
الى بعض الاطراف والجوانب فلم يقابل ولم يحارب ولم يقاتل فعادت الحضرة
السلطانية الى اماسية وقام ليكر على بلاد العجم ثانيا فجاءت رسل
الشاه من باب الصلح فرات الاراء السلطانية اجابة الشاه الى سواله
ترويحا للعساكر السلطانية وصونا لدماء الرعية فانعم على الشاه
بقبول ما تمناه وامر بارسال اجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها
الشريفة الى تخت ملكها الشريف ممدودا ظل سلطانها الوريف واستقرت
ذاتها العلية قريرة العين بالسعادات البهية السنية على تخت الخلافة
البهية بدار الاسلام قسطنطينية لازالت بسيوف السلطنة العثمانية
محروسة محمية وذلك في سنة ٩٦١ فصل الغزوة الثالثة عشر كتوار
وهي اخر غزواته الكبار لما كان دابه هذا السلطان الاعظم المجاهد في سبيل
الله لنصر دين الاسلام كداب آبائه الكرام واسلافه العظام لكن امراء

من دهره ما تعودوا وعادة الجهاد في سبيل الله اعظم ذخر عند الله تعالى وعدا
تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد واشتاق الى قتال الكفار الفجار
وصمم على السفر الى بروسه ودمشوار وكان مزاجه متوعكا لاستيلاء مرض
النقرس عليه ويتألم لذلك الما شديدا ويتصبر تصبر الرجال ونظرا لكمال الباس
غاية التجلد والاحتمال فمنعه من السفر رئيس الاطباء صاحبنا الشيخ
محمد بن محمد القوصوني المصري وكان من احذق الحذاق وافضل الفضلاء
في سائر العلوم على الاطلاق اديبا اريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا يجتني
وبينه ما لطف في مراسلات ادبية ومطارحات يجتني ثمار الادب
الغض من رياضها ويقتطف ازهار المفاكهة من اكمام اغصان حياضها
برد الله مضجعه وانزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كأسا
كان مزاجها زنجبيلا فلم يمتنع السلطان فيما امر ولم يطع الطبيب فيما ذكر
وقال اريد ان اموت غازيا وابذل روحي في سبيل الله مجتهدا ساعيا
فبرز بجيوشه المنصوره وجنوده وراياته المعروفة بالنصر وبنوده والظفر
يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع القاضب
حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت اعلامه بالنصر كالرياح
الخوافق وخطفت ابصارهم بروق الاسياف والصوارم البوارق وكان بروزه
من القسطنطينية المحمية يوم الاثنين التاسع مضين من شوال المعروف بالسعد
والاقبال سنة ٩٧٤ واستمر يموج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على
كل فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج

المسالك

المسالك والمناهل وينزل في السلوك الى ان قطع الانهار الكبار الغزار
والمياه العظيمة الكبار بجسور ممكنة بنيت عليها وسفائن كالاطواد
غرقت فيها لتدعيم الجسور اليها الى ان امكن تعديه ذلك الجيش العرمرم
ومرور ذلك الخميس الاكبر والسواد الاعظم ونزلوا بعد الحط والترحال
ومقاساة الاهوال على قلعة سكتوار من اعظم قلاع دمشوار وقد احاطوا
بها كاحاطة الطوق بالعنق وداروا عليها دوران الافلاك على الافق
وهي مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء في
حضيض الماء شامخة الذرى في الهواء الى عنان السماء في غاية العلو
والتحصين في اعلا درجات الاستحكام والتمكين واقوى ما بيد الكفار من
المكان الحصين كانها في الارتفاع والشهوق تناطح النطح وتعاوق
العيوق وكان بريق نيرانها لمعان البروق عند الخفوق مشحونة بالات
الحرب والمدافع مملوة بالمكاحل الكبار والمقامع موسوقة بجيوش النصارى
وابطالهم موسعة بفتيانهم الشجعان من رجالهم فحصرهم جيوش الاسلام
وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وساوروهم القتال
وناوشوهم وصالوا عليهم وحاوشوهم فتحصن في قلعة سكتوار الكفار
ورموا على المسلمين بمقامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة
المناحيس وحمي الوطيس وتحمس الجيش الخميس واقدم من الابطال المشهورين
والفرسان والشجعان المجربين ممن اظهر شجاعته اليد البيضاء للناظرين
وطلب من الله سبحانه وتعالى النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب

الكفار وهي اعظم قلاع م

طوا

والقتال وتصادم الابطال تصادم الاطواد والجبال اذ غلب على السلطان سليمان
توعكه بسقمه واشتد عليه مرضه والمه وغمرته غمرات الموت والحت
عليه امارات الفوت وهو يلهج بالله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب
ويطلب منه الفتح القريب وبسا امر الله تعالى الى الظفر وان يبد على اخذ
الكافر العنيد فاستجاب الله سبحانه دعاه وحقق بحصول المراد منا
ورجاه واضطرمت النار في خزينة بارود الكفار وهي مخزونة بقلعة
سكتوار وكانوا اعدوها لقتال المسلمين واكثروا منها لتكون موفورة
عندهم فاصابها شرر من النار بتقدير الله القدير القهار فاحرقت جانبا
كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هايلة الى
تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا ولهبا ودخانا
الى ان امتلا الفضا فضعفت بذلك طايفة الكفار وعذبهم الله سبحانه
بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون في سبيل الله معتمدين على نصر
الله خالصين لوجه الله وحملوا على الكفار حملة واحدة بغاية التيقظ
والانتباه غير مبالين بموت ولا حياة موقنين بان الامر بما قدره الله
وتعلقوا باطراف القلعة واقتلعوها من ايدي الكفار وهجموا عليهم
ودفعوهم من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار
وافتتحت قلعة سكتوار ورفعت الراية السليمانية على اعلا منارها ووضع
السيف في جميع الكفار الفجار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبيس القرار
وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله سبحانه على

بالات الحرب والجهاد وصدق النية
والاعتقاد واشتد القتال والجلاد
ورمى الكفار بمدافع اقوى من الصواعق
واخطف للاسماع والابصار من الرعود
والبوارق وثبت المسلمون واقدموا
على النيران وهم كالاطواد الراسخة
بقوة الجنان لم تناده اصدمهم
تخطه وتدفعه ولم يبالي على
... وتقدم الجيش
... وطبول الحرب ...
المنصور ... يوم النشور والمدافع
كنفخ الصور ... الشهب وترامى
تتهاوى كما تتهاوى ...
بالاحجار كما ترامى بوارق ...
وتوجه المسلمون توجها

هذه

هذه المنحة والاحسان واستسلم لربه وقد طار الى الموت اليه وانتقل
من سرير ملك الدنيا الى سرر مرفوعة في اعلا الجنان واخفى الوزير
الاعظم محمد باشا وفاة السلطان سليمان وخرج من عنده وفرق
الجوايز السنية والانعامات واعطى الامراء والباشاوات الترقيات
وامر بارسال البشاير الى ساير الاطراف والجهات وارسل سرا الى سنجق
السلطان سليم الثاني يستعجله في سرعة الوصول الى التخت السلطاني
العثماني وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن العسكر والامراء و
وساير الانام ولحسن التدبير في هذا الكتم وهو من اللازم المحتم في
الامور العظام واستمرت امور المملكة في غاية الانتظام واحوال
العسكر السليماني في اعلا درجات الاحترام وهم في ديار الكفر بعيدون
عن ديار الاسلام وذلك من كمال العقل التام ومن الراي الثاقب الصايب
التام الى ان وصل السلطان سليم الى مقر تخته الكريم واذن للعساكر
المنصورة بالرجوع الى اوطانهم وعاد مع اركان دولته ووزراء سلطنته
وبقية عسكره العالي الى القسطنطينية العظمى كما سياتي تفصيله ان شاء
الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وصبر وانشد
لسان حال الاعتبار والى الصواب اشار ه

ه انظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها سوى بالقطن والكفن

ووضع في تابوت على العجلة وساروا به بسرعة وعجلة وهو ممن يليق
ان ينشد فيه ويقال هذه الابيات وهي

وزرآء

كم قلت للرجل المولى غسله * هلا اطعت وكنت من نصحا آيه
جنبه ماكم ثم حنطه بما * ذرفت عيون المجد عند بكا به
وازل افاويد الحنوط ونحها * عنه وحنطه بآء سمائيه
ومر الملئكة الكرام بحمله * فلطالما حملت من نعمائيه

واستمر محمولاً الى ان اتوا به الى اسلام بول وخرج الى استقباله جميع العلماء والموالي العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر اصناف الانام وبكوا عليه بكاءً طويلاً واكثروا النحيب والعويل وصلوا عليه وامهم في صلاة الجنازة المفتي الاعظم ابو السعود افندي ودفن في تربة اعدها لنفسه

فصل ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد سارت بها الركبان لعظمها واحسنها قصيدة المفتي المذكور والعالم العامل المشهور وهي طويلة حذفت بعضها رومًا للاختصار وابقيت مختارها بحسب الاختيار وهي قوله

أصوت صاعقة أم نفخة الصور * فالارض قد ملئت من نقر ناقور
اصاب منه الورى دهياء داهية * وذاق منه الثريا صعقة الطور
تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها * وانهد ما كان من دور ومن سور
امست معالمها تيماء مقفرة * ما في المنازل من دار وديور
تصدعت قلل الاطواد وانفطرت * كانها قلب مرعوب ومذعور
والغبر ناصية الخضراء وانكدرت * وكاد تمتلي الغبراء بالمور
فمن كئيب وملهوف ومن دنف * عان بسلسلة الاحزان ماسور

[illegible]

فياله

فياله من حديث موحش نكد * يعافه السمع مكروه ومنفور
تاهت عقول الورى من هوله وغدت * في صبحها مثل مجنون ومسحور
تقطعت قطعًا منه القلوب فلا * يكاد يوجد قلب غير مكسور
اجفانهم سفن مشحونة بدم * تجري ببحر من العبرات مسجور
اتى بوجه نهار للضياء له * كانه غارة شنت بديجور
ام ذاك نعي سليمان الزمان ومن * مضت اوامره في كل ماسور
ام ذاك من ملأ الدنيا مهابته * وسخرت كل جبار وتيمور
مدار سلطنة الدنيا ومركزها * خليفة الله في الآفاق مذكور
معلي معالي دين الله مظهرها * في العالمين بسعي منه مشكور
وحسن راي الى الخيرات منصرف * وصدق عزم على الالطاف مقصور
باية العدل والاحسان ممتثل * بغاية القسط والانصاف موفور
بالجهد ماحي الاعداء منعطف * ومشرفي على الكفار مشهور
وراية رفعت للمجد خافقة * تحوي على علم بالنصر منشور
وعسكر ملأ الآفاق محتشد * من كل قطر من الاقطار محشور
له مساع في الآكناف شائعة * اخبارها زبرت في كل طامور
يا نفس ما لك في الدنيا مخلفة * من بعد رحلته عن هول الدور
وكيف تمشين فوق الارض غافلة * اليس جثمانه فيها بمقبور
فللمنايا مواقيت مقدرة * تاتي على قدر في اللوح مسطور
وليس في شانها للناس من قصر * ومدخل ما بتقديم وتاخير

بمن تفاخر عسكر الاسلام من نادرة * ان صحوا بهم البحر من جمرها
يا عين يا النحر ... صفعا وهو ...
بكا ... في سبيل الله مجتهد مويد من جناب ... منصور
اذ ... بلغ من ... ونعمة النصر في ... بنا مور
... من ... ملك ... في ما عرضه الى ... منا عصامور
... الارض ... معه

لا انظر في طرفة نحو الدنيا ابدًا * الا انتظاري نظم تلقاء منظور
اتحسبين صلاة لعده ذكرًا * له تستاخري ساعة في عالم الزور
دار البوار ودار الشر معدنة * كل الامور كما على رهون ذي ...
خوفي عليك لنفس او نفس اعوذ انها * ... تلكي ... غير معذور

يا نفس فاتئدي لا تهلكي اسفا • فانت منظومة في سلك معذور
اذ لست مامورة بالمستحيل ولا • بما سوى بذل مجهود وميسور
والا تطيقي مات بل هو ذا • حي بنص من القران منشور
مرابط في سبيل الله مقتحم • معارك الكفر بالرضوان ماجور
له نعيم وارزاق مقدرة • تجري عليه بوجه غير مشعور
ان المنايا لاذ عمت مجرعة • على شهيد جميل الحال مبرور
ما مات بل نال عيشا باقيا ابدا • عن عيش فان بكل الشر مغمور
ابتاع سلطنة الدنيا بسلطنة العقبى • فاعظم بربح غير محسور
بل حاز كلتيهما اذ عظم منزلة • من لم يغادره في امر ومامور
اما ترى ملكه المحمي آل الى • سر سرى في الدهر مشهور
ولي السلطنة الآن فيما لكه • برا وبحرا بعين اللطف منظور
ظل الاله على الخلق قاطبة • وملجأ كل مشهود ومحصور
فانه عينه في كل ماثرة • وكل امر عظيم الشان ذا نور
ولا امتياز ولا فرق بينهما • وهل يميز بين الشمس والنور
سيبدع ما صدر ادت مهابته • تحت الخلافة في عز وتوقير
جد الجديد ان في ايامه وبنت • كان ما كان من مسك بكافور
أضحى بقبضته الدنيا بما منها • ما كان منهدم منها ومعمور
بدا بطلعته والناس في كرب • وسوء حال من الاهوال منكور
فاصبحت صفحات الارض مشرقة • وعاد كل انا ذا نور على نور

حق على كل نفس ان تموت اسى • لكن ذلك امر غير مقدور • ناهيك موت اداوي بطبيعته • من كان فردا اريبا غير معذور
وذا بان نظرت الدنيا وزهرتها • وتعرض عنها اعراض مهجور • طرح ابراوية النسيان حلتها • كانما هي شيء غير مذكور
ولا انتفاء وان جمت محاسنها • مرفوق مطلوب او مرفوع محذور • وتلزمن الهم والاحزان دائمة • والناس ما بين محزون ومسرور
لا سيما خبر الناعي وان ملا الافاق • يحتمل للافك والزور • يا ناعيا خل عنك النعي واختزل • عن التصدي لامر منك مسفور
منغص بصروف الدهر مكتنف • مكدر بصنوف الشر مغمور

عذام

سبحان

سبحان من ملكه حازت مفاخره • عن البيان بمنظوم ومنثور
كانها ويراع الواصفين لها • بحر خضم بسيح منقار عصفور
لا زال احكامه بالعدل جارية • بين البرية حتى نفخة الصور

فصل في ذكر بعض مآثر السلطان سليمان وخيراته وصدقاته الدارة الجارية الحسان في جميع البلدان سيما البلد الحرام وبلد خاتم الانبياء الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام **اعلم** ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقاهات والتكايا واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من انواع الخير في كل الجهات التي انشاها السلطان سليمان كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت العد ذكرها ولا يسع هذا الكتاب شرحها وبسطها لكنا نذكر مجملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين ونحيل ما عداها على السماع والمشاهدة برأي العين من ذلك الصدقة الرومية التي هي الآن مادة حياة اهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام اودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام واجداده الملوك الكرام الا ان السلطان سليمان هو الذي ضاعفها وزادها ونماها وكثرها وقررها واضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ولله الحمد في كل عام تدر محفوظة وامين وكانت تقسم في الحرم الشريف تجاه بيت الله ويفتح الفاتح بالاخلاص في بكرة الضحى من الفقهاء والفقراء والعلماء والصلحاء بالدعاء

مطلب ذكر مآثر السلطان سليمان والسراي

ع

بدوام دولة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه واجداده من آل
عثمان ويفرق عليهم حسب الدفتر السلطاني المرسوم بالنشان العثماني
فيصرفون ذلك في قضاء ديونهم وان فضل اصرفوها في تجهيز وكسوة ٤٧
وانفقوها على عيالهم واولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة
لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم على اهل الحرمين الشريفين والصدقات
وان كانت ترد من السلاطين وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار
والوصول في جميع وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات
كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة في العمر وعند وصول خليفة منهم الى
الحج وما تحققت مواظبة وصولها على هذا الوجه الذي رضاه الله لاحد غير ملوك
آل عثمان وهذه بركة جليلة ونعمة كثيرة جميلة يتميزون بها على غيرهم
فالله سبحانه يديم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه عليه السلام ومنها
صدقة الحب وقد تقدم ان السلطان سليم خان اول من تصدق بارسال
صدقة الحب الى اهل الحرمين الشريفين عند افتتاح بلاد العرب واخذه الاقليم
مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن السلطان سليمان خان فكانت
ترسل من انبار الخاص السلطاني فوقف السلطان سليمان خان قرى بمصر واشتراها فافرد
من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلتها وريعها لاهل الحرمين الشريفين
وكتب بذلك كتاب وقف وحكم بصحته قضاة العسكر بالديوان العالي
وجعل من ريعها الفا وخمسمائة اردب بالكيل المصري لاهل مكة المشرفة وخمسة المدينة
الاف اردب لاهل مكة المشرفة يجهزها في كل عام من مصر الناظر المتولي

على ذلك ثم ضاعفه وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة الاف اردب
ولاهل المدينة المنورة الفي اردب واستمر ذلك في كل عام وتوزع على اهل
الحرمين الشريفين حسب دفتر مقرر باحكام سلطانية ودساكر باشوية وتذاكر
وتقريرات من القضاة ونظار الحرمين الشريفين واستقر الحال على ذلك واستمر
الى اثناء هذا الزمان والى ما بعده ان شاء الله تعالى وهذا ايضا احسان جليل
وخير عظيم عميم صار سببا لمعاش اهل الحرمين الشريفين وتقويتهم ومادة
حياتهم ومعيشتهم وقيام اودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله تعالى
هلكوا والدعاء من صميم قلوبهم مبذول في المسجد الشريف المكي والمسجد الشريف
النبوي بدوام دولة سلطان الاسلام والترحم على آبائه الكرام واسلافه
العظام وهذا الاحسان لم يعهد في زمن السلاطين السابقين ولا ايام
الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان
قايتباي رحمه الله تعالى بعد ما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها
افضل الصلاة والسلام فانه وقف على اهل المدينة المنورة ومكة المشرفة كرها
ضياعا وقرى حصل ريعها الآن لاهل الحرمين الشريفين وللسلطان جقمق
ايضا اوقاف يحصل منها شيء دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت
اوقافهما الى الخراب وضعف ريعها جدا واما الاوقاف الشريفة العثمانية
فعامرة اهلة يفيض منها الزوايد ويحصل فيها النمو وعليها مدار معيشة
اهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وانماها وعمر من عمرها وزكى عمل
من زكاها ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية وهو ما يوخذ من اهل

الذمة في مقابلة استمرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلايهم
عنه وهي من احل الاموال اذا اخذت على وجهها المشروع ولاجل ذلك
جعلت وظايف العلماء والصلحاء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها
شي قليل جدا في ايام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت ايام سلطنة السلطان
سليمان اخرجه من خزاينه العامره بالتدريج الى العلماء والمشايخ من اهل
الحرمين الشريفين ومن اهل مصر ومن المتقاعدين بمصر في الحرمين الشريفين
واستوعب مصر وجميعه وزاد عليها قدرا كثيرا اخرجه من خزاينه وذلك من
جوالي مصر وحدها غير جوالي الشام وحلب وغيرهما من الممالك العثمانية وغير
ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من محصول الممالك في سائر ممالكهم
وغير ما يصرفه ملوك آل عثمان من ريع اوقافهم وزوايدها وغير
ما يخرجونه من خزاينهم العامرة في وجوه الخيرات والصدقات والمبرات
والاطعمة العمارات بحيث لا يحصى مقدارها ولا يستقصى انحصارها
وناهيك بكثرة هذه المصارف في وجوه المبرات والمعروف ولم يعهد مثل
كثرة هذه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفا
والملوك العظام الكرام الحنفا في زمن الازمان في دولة ملك او دور سلطان
فالله سبحانه يبقي هذه الدولة الشريفة القاهرة والسلطنة المنيفة
الزاهرة الفاخرة الى ان تنقضي الدنيا وتقوم الاخرة آمين ومن خيراته
الدارة الفاخرة اجراء العيون ومن اعظمها اجرا عين عرفات الى مكة
المشرفة وسبب ذلك ان التي كانت جارية بمكة المشرفة هي عين حنين

وهي من عمل ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد
واسمها امة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول
لها انت زبيدة فاشتهرت بذلك وكانت من اهل الخيرات ولها مآثر
عظيمة الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة واصرفت عليها
خزاين اموال الى ان جرت وهو واد قليل الامطار بين جبال سود عاليات
خاليات من المياه والنبات وصفه الله تعالى بانه واد غير ذي زرع
فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من ارض الحل الى ارض الحرم فانفقت
على عملها الف الف وسبعماية الف مثقال من الذهب فلما تم عملها
اجتمع المباشرون والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج حساب
ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما استلموه من خزاين الاموال وكانت في
قصر عال مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر ورمتها في الفرات وقالت تركنا
الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شيء من المال فهو له ومن بقي له
عندنا شيء اعطيناه والبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها
حامدين شاكرين وبقي لها هذا الاثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى
واسكنها الفردوس في اعلا عليين وكانت هذه العين تدخل مكة المشرفة
وينتفع الناس بها ومنبع هذه العين في جبل شامخ يقال له طاد بالطاء
المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال الثنية من طريق الطايف
وكان يجري الماء الى ارض يقال لها حنين يسقي به نخيل ومزارع مملوكة
للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء وكان يسمى حايط حنين يعني

بساتين حنين وهو موضع غزاة النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك
الغزوة غزوة حنين خبرها مكتوب في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترت زبيدة هذا الحائط وابطلت تلك المزارع والنخيل وشقت
له القناة في الجبال وجعلت لها الشبابيك في كل جبل تكون ذيله مظنة
لاجتماع الماء عند الامطار وجعلت فيه قناة متصلة الى مجرى هذه
العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شباك عينا
تساعد عين حنين منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين
البرود وعين الطارقي وعين ثقبة والجرنيات وكل مياه هذه العيون
تنصب في ذيل حنين ويبطل بعضها ويزداد بعض وينقص بحسب الامطار
الواقعة على ام احدى هذه العيون او على جميعها الى ان وصلت على هذه
الصورة الى مكة المشرفة ثم انها امرت باجراء عين وادي نعمان المعروفة
وهي عين منبعها ذيل جبل كداء وهو جبل شامخ جدا اعلاه ارض الطائف
مسيرة نصف نهار من اسفله الى اعلاه من صعد فيه ونزل منه مرة لا يعود
اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وتنصب من ذيل جبل كداء في قناة الى موضع
له الاوجر من وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين
في علو ارض عرفة تفيض مزارع وللشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان
وفيه يقول القائل: ايا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها •
فعملت القنوات الى ان جرى ماء عين نعمان الى ارض عرفة ثم اديرت القناة
بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى البرك

التي

التي في ارض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج في يوم عرفة ثم استمر
عمل القناة الى ان خرجت من ارض عرفات الى خلف جبل من وراء المازمين
على يسار العائد من عرفات ويقال له طريق ضب بالضاد المعجمة المفتوحة
فالالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند اهل مكة المشرفة
المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة
ثم هاء التانيث ثم يصل منها الى مزدلفة ثم يستمر الى جبل خلف منى
في قبليها ثم ينصب الى بئر عظيمة مطوية بالاحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة
اليها ينتهي عمل هذه القناة وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من
بناء الجن ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار
وتهدم قنواتهما وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين
اذا بلغهم ذلك ارسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم ووقوع تمكنهم
فتجري تارة وتنقطع اخرى واستمر الحال على هذا المنوال فعمرها صاحب
اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كوكبري بن علي في سنة ٥٩٤ وكان كثير الخير
والاحسان جدا وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان لابن خلكان ذكر له
اوصافا كريمة ومكارم عظيمة فذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من
جريان الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور في سنة ٦٠٥ ايضا ثم
عمرها بعد ذلك امير المؤمنين المستنصر بالله العباسي في سنة ٦٢٥ ثم ٦٣٣
ثم في سنة ٦٣٠ كما وجدت ذلك مكتوبا في فص حجارة مبنية في قرب الموقف الشريف
بعرفات ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة

٦٤٣ سناه بالمترك الذهب الابريز ق

الشريفة بالعراقين في ايام السلطان السعيد خدابنده في سنة ٧٢٦
واجرى عين حنين الى مكة المشرفة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا في جهد
عظيم لقلة الماء فرحمهم الله تعالى ورحم اهل الحرمين واهل الخير ثم عمرها شريف مكة
الآن وكان من اهل الخير والحسن وكان تعميره بها في سنة ٨١١ فجرت
وانبعث ونفعت وابتهجت وكثر الدعاء له من اهل البلاد والحجاج والعباد
ثم انقطعت ولم تزل كذلك سنة عظيمة شديدة الى ان عمرها صاحب
مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي في سنة ٨٢١ هكذا
ذكره التقي الفاسي ثم عمرها وعمر عين عرفات ايضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة
الملك الاشرف قايتباي وعمر عين عرفات واجراها الى ارض عرفات وعمر
عين حنين الى ان جرت الى مكة المشرفة وعمر عين خليص وحصل بها الرفق للحجاج
واهل البلاد ودعوا له واثنوا عليه واثنوا عليه بذلك وباشر ذلك الامير
يوسف الجمالي واخيه الامير سنقر الجمالي سنة ٨٧٥ ثم عمر عين حنين اخر ملوك
الجراكسة السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩١٦ على يد الامير خيربك
المعمار الى ان جرت وملئت بها البرك في المعلاه ثم جرت الى عين بازان ثم الى
بركة ماجن في درب اليمن من اسفل مكة وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت
في اوايل الدولة العثمانية لهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون لقلة
الامطار وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة وصار اهل
البلاد يستقون من الابار حوالي مكة من ابار يقال لها العيلاني في علو
مكة قريبة من المنحنى ومن ابار في اسفل مكة يقال لها الزاهر وسمي الآن

بالجوخي

بالجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غالبا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين
عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الاماكن البعيدة
وصار فقراء الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون شيئا غير الماء لعزته ولا يطلبون
الزاد وربما جلبه بعض الاقويا من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون اموالا
من ذلك لغلو ثمنه واني اذكر في سنة ٩٣٠ قل الماء في الابار البعيدة ايضا
فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقا في خدمة والدي رحمه الله
وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة الى عرفات وعطش اهلنا فطلبت قليلا
من الماء للشرب فاشتريت قربة ماء صغيرة جدا يجمعها الانسان باصبعه
بدينار ذهبا والفقراء يصيحون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم
في ذلك اليوم الشريف فشرب اهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بما فيها على
بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشت عقيبه وجاء وقت الوقوف والناس
عطاش ملتهبون فامطرت السماء وسالت السيول من فضل الله سبحانه والناس
واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت ارجلهم
ويسقون دوابهم وحصل البكاء والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف
لما راوا من رحمة الله تعالى بهم واحسانه اليهم وتكرمه عليهم ولا ازال اتذكر
تلك الساعة وما حصل فيها من اللطف العظيم من كرم الله تعالى العميم
وارجو به كرمه وهو اكرم الاكرمين وايقنت انه الغفور الرحيم الذي ينزل
على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا ثم برزت الاوامر السلطانية السليمانية
باصلاح عين حنين واصلاح عين عرفات وعين لها ناظر اسمه مصلح الدين

مصطفى من المجاورين بمكة فبذل نفسه في عمارتهما واصلاح قناتهما
الى ان جرت عين مكة ودخلتها وخرجت من اسفلها من بركة ماجن واصلح
عين عرفات واجراها الى ان صارت تملا البرك بعرفات وذلك في سنة ٩٣١
وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد غلبة العطش الشديد
في يوم عرفات ويدعون لمن كان سببا في اجراء هذا الخير ثم اشترى ناظر
العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وجعل لهم
علوفات من خزاين السلطنة برسم خدمة العين واخراج اتربتها من الدبول
والقنوات وهذه خدمتهم دايما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى
الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة ثم توجه مصطفى ناظر العين الى
ابواب السلطنة السليمانية وعرض في امر العين احوالا يحتاج عرضها
فاجيب الى كل ما سال فيه وعاد مجبورا الى مصر ثم ركب من السويس الى مكة
فغرق في القلزم شهيدا وما غرق الا في بحر رحمة الله تعالى وما مات بل هو حي
عند الله تعالى وكانت وفاته سنة ٩٣٧ واستمرت عين حنين جارية الى مكة
لكنها تقل تارة وتكثر اخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجري من
نعمان الى عرفات الى الآن الى ان صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس
وصارت مرجة خضراء تتجلى كالعروس الى ان قلت الامطار ويبست
الاشجار وغاضت العيون ونزحت الابار في سنين متعددة من سنة ٩٦٥
وما بعدها وكانت سنين تقارب سني يوسف عليه السلام شداد اعجافا وانقطعت
العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا انها قل جريانها في تلك السنوات
ولما

ولما عرضت احوال العيون الى الابواب السلطانية التفت الخاطر العاطر السلطاني
وتوجه العطف الشريف العثماني السليماني الى تدارك ذلك بما يكون
وامر بالفحص عن احوال العيون وكيف يمكن اجراؤها من بلد الله الحرام الامين
المامون فجمع المرحوم عبد الباقي بن علي العربي قاضي مكة المشرفة ومن
والامير خير الدين خضر صنجق جدة حينئذ وغيرهما من الاعيان ففحصوا
وداروا وتاملوا واستشاروا فاجمع رايهم على ان اقوى العيون عين عرفات
وطريقها ظاهر وذيولها مبنية الى بير زبيدة خلف منى وان الذي يغلب
على الظن ان ذيولها من بير زبيدة الى مكة مبنية ايضا وانها تحتاج الى
الفحص عنها والكشف الى ان تظهر لان زبيدة لما بنت الذيول من عرفة الى
بيرها المشهور خلف منى الذي جميعها ظاهر على وجه الارض فالبا[ق]ي التي
ايضا من ذلك المحل الى مكة مبني ايضا الا انه من تحت الارض واستغني عنها
بعين حنين وتركت هذه ونسيت وطمت وغفل عنها هكذا ظنوا وخمنوا
انهم اذا تتبعوا عين عرفات من اولها ومن الاول من نعمان الى عرفة ثم الى
مزدلفة ثم الى بير زبيدة واصلحوا هذه الذيول الظاهرة وكشفوا عن
الباقي وبنوا ما وجدوا منها منهدما وزعموا الباقي احتاجوا الى ثلاثين الف
دينار ذهبا وذرعوا وقسموا وكان من الارض الى بطن مكة خمسة
واربعون الف ذراع بذراع البنائين الآن وهو اكبر من الذراع الشرعي بقدر
ربعه وهو الذي تخيلوه في بقية الذيل تحت الارض لم يوجد في كتب
التواريخ وانما اداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القراين وعرضوا ذلك الى
الباب

العالي في اوايل سنة ٩٦٩ فلما وصل علم ذلك للمسامع السلطانية التمست
صاحبة الخيرات اكليل المخدرات تاج المحصنات ملكة الملكات قرينة سلطان
عليّة الذات صفية الصفات ذات العلى والسعادات حضرة خانم سلطان
كريمة السلطان سليمان ان ياذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة الخير
اولا ام جعفر زبيدة العباسية فناسب ان تكون هي صاحبة هذا الخير
فاذن لها في ذلك فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانه الشريف
فيمن يصلح لهذه الخدمة فاتفقت اراؤهم الشريفة على ان هذه الخدمة لا يقوم
بها الا دفتردار ديوان مصر الامير الكبير المعظم ابيض الجود والفضل والكرم
صاحب السيف والقلم والعلم والعمل الامير ابراهيم بن تغري بردي المهمندار
بوأه الله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار وسقاه من الكوثر البارد ليطفي
كل اوام واوار وكان يومئذ قد عزل عن منصب الدفترداريه وامر بالتفتيش
عليه عن ايام دفترداريته فعفي من التفتيش واعطته السلطانة خمسين الف دينار
ذهبا زيادة عشرين الف ذهب على ما خمنوا ليصرفها في عمل هذه العين فتوجه
في البحر الى مكة بتجمل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكلربكية وكان ذا
نعمة غالية وهمة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة
وحسن تدبير ومعرفة وحذاقة وفطنة وكان بيني وبينه سابقة اجتماع
وما رايت احدا من الامراء والوزراء والبكلربكية مع كثرة من اجتمعت بهم اجمل
نظاما ولا احسن ترتيبا وانتظاما ولا ادق فكرا ولا اعلا همة ولا اصدق وفاء
منه رحمه الله تعالى وكان وصوله الى جدة يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة

سنة

سنة ٩٦٩ فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الي فرايته نزل ابو طاقة من
خارج جدة من الجهة الشامية فعاملني بالاجلال والاكرام وقد ركب
من جدة الى سيدنا المقام العالي نجم الدين والدنيا الشريف محمد ابي نمي وكان
يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم
ومد له سماطا عظيما والطفه وواكله واكرمه وباسطه وجاره فعرض
على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطاني
وبذل الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقاني وانه يقوم بذلك بنفسه وولده
واتباعه وخدامه ثم ركب من عنده مجبور الخاطر مسرور الفواد وتوجه
الى مكة فلاقاه عند دخوله الى مكة سيدنا ومولانا السيد حسن بن ابي نمي
صاحب مكة المشرفة وامد له الاجلال والاكرام فقابله بالترحيب والاحترام
وجاره ولاطفه وباسطه ووالفه واقبل كل منهما على الاخر كل الاقبال
وتحادثا بغاية الادب والاجلال واستمر معه الى ان فارقه من باب السلام
ودخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى ما بين الصفا
والمروه وعاد الى مخيمه في بيتاي وهو المحل الذي عين لتركه ومد له من قبل
سيدنا الشريف حسن سماطا جيدا كبيرا فجلس عليه واكل منه هو وخواصه
واذن لاهل الرباط والفقهاء والفقراء وعامة الناس فاكلوا وحملوا
وفضل شيء كثير وامر بتفرقته على الفقراء والبس الذي مد السماط قفطانا
من البعر اسر العال واعطاه ذهبا كثيرا ثم جاء للسلام عليه سيدنا رئيس
المحدثين الشريفين سيدنا القاضي حسين ادام الله تعالى اقباله وحظه وعلوه واجلاله

ففرح به الامير ابرهيم وقابله بالاجلال والتعظيم وعرض عليه اموره
واحواله واستشاره في سير ما بداله فاشار عليه بالآراء الصايبة
ولعلمه بما ينبغي رعايته وبرعي جانبه وما يجب عليه ملاحظته من الامور
اللازمة فاول ما بدا به الامير ابرهيم تنظيف بعض الابار التي ينتفع
الناس منها فخرج اترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها وحصل للناس
بذلك رفق كبير وشرع في جميع ما يحتاج اليه من عمله وتوجه للكشف عنه
الى اعلى عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومنابعها ومشاربها
ومساربها والفحص عن احوالها الى ان وصل الركب المصري وكان امير الحاج
يومئذ عثمان بك بن نايب اليمن بن نايب الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك
عثمان بك هذا نايب الحبشة بعد وفاة والده ثم ترقى وصار نايب اليمن
واظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تغر ثم صار نايب الحبشة ثم اليمن
ثم قره آمد وهو من البكلربكية الكرام العظام وهو من الشجعان المشهورين
بالكرم والشجاعة **فصل** ووصل الى مكة قاضيها في ذلك الموسم
مع الركب الشامي وهو مولانا فضيل افندي بن علي چلبي المفتي الجمالي
وهو من افاضل العلماء العظام وله التصانيف الحسنة المقبولة وهو
الآن اورق في البلاد العلم وحج الناس حجة هنية وحج الامير ابرهيم
فرض حجه وعادوا الحجيج الى اوطانهم وشرع الامير ابرهيم في الكشف عن
ذيول عين عرفات وضبطها وطاقها في الاوجر من وادي نعمان في علو
عرفات وشرع في حفر قعرها وتنظيف ذيولها بهمة عالية جدا وكانت

مماليكه القايمين في خدمته بجوار نعمته مملوكي في غاية الجد والرشاقة
والحذاقة واللباقة اقامهم في هذا العمل من الاوجر الى المزدلفة
وكتب نحو الف نفس من العمال والبنايين والمهندسين والحدادين
وجلب من مصر وبلاد الصعيد وبلاد الشام وحلب واسلام بول ومن بلاد
اليمن طوايف بعد طوايف من المهندسين وخدام العيون والابار
والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم مما يحتاج اليهم واتى بالآلات
العمارة صحبة معه من مصر من مكايل ومساحي ومجارف وبولاد
وحديد ونحاس ورصاص وغير ذلك مع الهمة القوية والاقدام التام
مع الاهتمام التام وعين لكل طايفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف
ما فيها من الذيول ليظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ منها
ومن هذا العمل الذي جا بصدده فيما دون عام ويرجع الى الابواب
السلطانية لينال المناصب العلية ويظفر بالمراتب السامية ويابى
الله الا ما اراد وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد والسنة الاقدار
تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى اين الذهاب واستمر على هذا الجد
والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى البير التي انتهى عملها اليها
ولم يوجد بعده ذيل ولا اثر عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم ان الخطب
كبير وان العمل كثير وتحقق ان القدر الباقي من هذا العمل مما تركته زبيدة
اضطرارا بغير اختيار وعدلت عنه الى عين حنين وترك العمل عند
البير لصلابة الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب

خوارق عادته

باين

ن آثار

مماليكه

قطعه فانه يحتاج من بير زبيدة الى ذيل منقور تحت الارض في الحجر الصوان
طوله الف ذراع بذراع البنائين حتى يتصل بذيل عين حنين وينصب
فيه ويصل الى مكة فلا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الارض فانه يحتاج في
النزول الى خمسين ذراعا في العمق وصار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع
فيه حفظا لناموس السلطنة فما وجد الامير ابرهيم حيلة تخرجه الا ان يحفر
وجه الارض الى ان يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه النار مقدار ما يحرق
حطب من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة اذرع في عرض خمسة
اذرع من وجه الارض والنار ربما تعمل الا في العلو لكنها تعمل عملا يسيرا
في جانب السفل فيلين الحجر من جانب السفل مقدار قيراطين من اربعة وعشرين
قيراطا من ذراع فيكسر بحديد الى ان يصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد
عليه بالحطب الجزل ليلة اخرى وهلم جرا الى ان ينزل في ذلك الحجر مقدار
خمسين ذراعا في العمق في عرض خمسة اذرع الى ان يستوفي الالف ذراع
يقطع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قارون وصبر
ايوب ولما راى من ذلك محيصا فاقدم عليه الى ان فرغ الحطب من
جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافة البعيدة وغلا سعره وضاق
الناس بذلك وتعب الامير ابرهيم لذلك وذهبت امواله وخدامه والاتباع تعب على ذلك
ومماليكه وهو يتجلد لذلك الى ان قطع من المسافة الف ذراع وخمسمائة
ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا اخر الى ان صرف
اكثر من خمسمائة الف دينار من الخزينة السلطانية وغزوله مركبا
كان

كان فيه باقي تحملاته وخزاينه ونقوده وفيه جملة من عبيده واسبابه
فكان ينوف على مائة الف ذهب في ابتداء امره ثم مات له ولد طفل
نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا ثم مات له ولدان من اصفهان
فاضلان اخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخدائيه وكان من كبار
امراء الصناجق ثم مات اكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصايب العظيمة
ويظهر الجلد عليها الى ان ذهبت قواه وظهر بلاه واثر فيه الامر الاوربي من
الاهوال وجاء الاجل الذي لا يتقدم ولا يتاخر ان اجل الله اذا جاء لا يوخر
فمات غريبا شهيدا وقضي الى رحمة الله وحيدا فريدا في ليلة ثاني شهر رجب
ليلة الاثنين سنة ٩٧٤ وصلي عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة
جدا واسف الناس عليه لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد
الى الابطح في تربة كان اعدها لنفسه ودفن فيها ولديه قبله وخلف
طفلا وحملا وبنتا من اهل الخير كثير الصلاح والعبادة كان ذكر لي ان
مولده سنة ٩٢٣ رحمه الله تعالى **فصل** ثم اقيم بعده في هذه الخدمة
صنجق جدة الامير قاسم بك باقامة السيد الشريف السيد حسن صاحب
مكة وعرض ذلك الى الباب العالي وامره ان يباشر هذه الخدمة الى ان يصل يقوم م
من العتبة السلطانية لاداء هذه الخدمة وكانت السلطنة العظمى والخلافة
العلية الكبرى قد انتقلت من السلطان سليمان الى ولده السعيد السلطان
سليم سقى الله تعالى عهدهما صوب الرحمة والرضوان فعين لها من الباب العالي
دفتردار مصر يومئذ محمد بك الكمليجي زاده وكان متجملا مثريا من اعيان الصناجق

الكبير دولة عقل تام ذا راي ثاقب واحسان وانعام وتعطف واكرام وصل
الى هذه الخدمة الشاقة وبذل فيه نفسه وماله واظهر تجمله ولحقه
وقطع مسافة وما بلغ التمام الى ان وافاه الحمام وانتقل الى رحمة الله شهيدا
سعيدا بمرض الاسهال واقدم على ربه الكريم المتعال في ليلة الثلاثا وقت
السحر لاربع ليال بقين من جمادى الاولى سنة ٩٧٦ وصلي عليه عند باب
الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة قبالة تربة الامير ابرهيم الدفتردار على
يسار الذاهب الى الابطح وتاسف الناس عليه فقدموا اثنوا عليه خيرا وخلف
ولدا صغيرا اسمه بير احمد وبنتا اسمها خديجة وجعل وصيته عليهم
عتيقه فرهاد كتخدا بيه وفقه الله تعالى **فصل** ثم اقيم في خدمة عمل
العين الامير قاسم المذكور سابقا صنجق جدة قائمقامه في الشريف
صاحب مكة وامره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الابواب السلطانية
فبرز الامر الشريف السلطاني باستقرار قاسم بك المذكور في خدمة العين
امينا على مصاريفها وان يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة
وناظر المسجد الحرام القاضي حسين الحسيني ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفة
الحلال تصل الى مكة المشرفة واستمر الامير قاسم مباشر التعاطي هذه الخدمة
وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض العناد وما اراد
مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رايه وما اراد الله سبحانه ان
يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الامراء السابقين في تركه وانتقل
الابطح وادركه الحين وفاز حينئذ بمنزلة الشهادة وصار من شهدا العين بمرتبة

من دار الدنيا الفانية الى دار الاخرة الباقية قرير العين لليلة خلت من
شهر رجب سنة ٩٧٦ وصلي عليه عند باب الكعبة المشرفة ودفن بالمعلاة الى
جانب الامير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله امير العين المذكورة واستوفت
العين به ثلاثة من الامراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان
بهم برا رحيما غفورا ثم توجه القاضي حسين توجها تاما الى تكميل ما بقي
من عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها من الاحكام السلطانية وتوجه
في الاهتمام وبذل الجهد التام وعرض الى الابواب الشريفة وفاة قاسم
بك المرحوم وعدم تعطيل العمل الى ان ياتي امين الى كمال العمل من الباب
العالي فبرزت الاوامر السليمية بان يكمل ذلك القاضي حسين الحسيني
المشار اليه فاقدم بهمته العلية اتم اقدام الى اكمال هذا العمل لاهتمام
فساعدته السعادة والاقبال الى الاتمام والاكمال فكمل العمل فيما
دون خمسة اشهر بعد ان عجزوا عن اتمامه الامراء المذكورون قريبا
من عشرة اعوام وهلكت نفوسهم واموالهم وخدامهم وما ظفروا
بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فجرت عين عرفات وانجرت بينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري
في تلك الذيول والقنوات الى ان دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة
سنة ٩٧٦ وكان ذلك اليوم عيدا اكبر عند الناس من وصول ذلك الماء
الى البلد الحرام لكل عم وباس وعمل في ذلك اليوم مولانا المشار اليه اسمطة
عظيمة في الابطح ببستانه الواسع الافيح وجمع جميع الاكابر والاعيان

في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوانات وذبح اكثر من مايه من
الغنم ونحر عدة من الابل والنعم ومد للناس على اختلاف طبقاتهم انواع
الموايد والنعم وخلع على اكثر من عشرة انفس الخلع الفاخرة من المعلمين
والبنايين والمهندسين واحسن الى باقيهم بالاحسانات الوافرة وتصدق
على الفقراء والمساكين وانعم على الكبراء والاساطين كل ذلك شكرا لله
تعالى على هذه النعمة الجزيلة والمنة الجليلة حيث انعم سبحانه على عباده
واخصب منها خير بلاده وكان يوما مشهودا ووقتا حسنا وزمانا سعيدا
ثم جهز اخبار هذه البشاير العظمى وحصول هذه النعمة الكبرى الى الباب
العالي الى السلطان الاعظم والخاقان الافخم السلطان سليم خان سقاه
الله تعالى كوس الرحمة والرضوان وصاحبة الخيرات خانم سلطان فانعمت الصدقات
السلطانية بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجميلة على ساير
المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ
الاسلام المشار اليه ترقي عظيمة فصار مدرسا بمدرسة السليمانية بمدينة
عثماني وما عهد لاحد من الموالي العظام مثل ذلك في مدارسهم وجهزت
اليه انواع الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الخاقانية
بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجميل منه وانه
داخل في جملة خواص السلطنة المشمولين بنظر عواطفها الشريفة وانعاماتها
الجزيلة الوافرة المنيفة وصارت هذه العين من جملة الاثار الباقية على
صفحات الليالي والايام والاعمال الصالحات الباقيات التي لا يمحوها كر الشهور

والعوام

والعوام وما عند الله تعالى من تضاعف الاجر والثواب فهو خير وابقى عند اولي
الالباب **فصل** ومن اثار السلطان سليمان بمكة المدارس الاربع
السليمانية **وسبب** ذلك ان الامير ابرهيم امين اجراء عين عرفات
اسكنه الله تعالى من الجنان الغرفات عرض الى الابواب السلطانية السليمانية
وانهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب للشان الرفيع الشريف
السلطاني والقدر العلي السامي السليماني ان يكون لحضرة السلطان
بمكة المشرفة اربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة
علم الفقه ليكون سببا لاشتغال العلم الشريف الشرعي والدين ويرتفقوا
بوظايفهم ويكون سببا لاحياء علم الشريعة وبسط ثواب ذلك في حسنات
السلطنة الشريفة فاجابه المرحوم السلطان سليمان الى اعمار ذلك في احسن
الاماكن اللايقة لبناء هذه المدارس وبرزت الاوامر الشريفة بعمارة ذلك وعين
لهذه الخدمة الامير قاسم امير جدة المذكور وان يباشر ذلك العمار فاجمع
راي الامير ابرهيم وقاسم بك وغيرهما من اكابر الاعيان ان الاليق لبناء هذه
المدارس الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الى باب الزيادة
وكان بذاك البيمارستان المنصوري ومدرسة لصاحب كنبايه السلطان احمد
شاه وهو سلطان كجرات من اقليم الهند وكان من اصحاب الخير الكثير شديد المحبة
للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مولف هذا الكتاب في ذلك
التاريخ والبيمارستان المنصوري واوقاف السلطان الملك المويد شيخ سلطان
مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بالشريف [illegible] صاحب مكة [illegible]

الاربع

في احسن الاماكن الشريفة

ودرباط يقال له رباط الظاهر فاستبدل البيمارستان واستبدل الكنيسة
ورباطا كان بناه يخشو القرماني ولم يثبت وقفيته فباعه ورثته في شي
لجهة السلطنة وجعل بدل الاعز مدرسة الكيخانية واستبدل رباط
الظاهر رباط آخر في سويقة أحمد وأمكن منه ووقف موضعه بدل عن
وأما الدور المتعلقة بالسيد حسن فقدم جميع للسلطنة واستبدل
أوقاف المويد بضيع وقرى في الشام اختارها ذريته المويد الموقوف
عليهم وكتب مستنداته وجمع وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب
العلماء والصلحاء والاشراف فوضعوا الاساس فتقدم قاضي مكة المشرفة
مولانا شمس الدين احمد افندي ابن محمد بك النيشنجي ووضع بيده الاساس
وتبعه من حضر من العلماء والسادات والامراء واعيان الناس ووضع
كل واحد حجرا في ذلك الاساس وكان يوما مشهودا ابتدا كما مسعودا
وذلك لليلتين خلتا من شهر رجب سنة ٩٧٣ وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه
اربعة اذرع بذراع العمل ووضع فيه صخر كبير جدا واحكموا الاساس
احكاما قويا واستمر قاسم بك في بذل الجهد والاجتهاد مشدودا الوسط
كانه بعض العمال يجري بعضه من اول العمل الى اخره بعوم وجلادة من
غير دقة فهم ولا لطف طبع مع الجلافة والغلاظة واستبد بالراي وعدم
المشورة والاصغاء الى راي احد فتم بناء المدارس الاربع في غاية الاحكام
وزاد في عرض الجدران من غير تعميق وعمل بها ماذنة عالية احسن فيها وابقى بعض
اسقف المدرسة وابوابها خشبا عتيقا ذات آيات تتكسر وتسقط بعد
وفاته

وفاته وجددها شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم
بيك بعض طرازها بخط ردي وبعضه بخط رايق فانه لكونه اميا لا يعرف
الكتابة ولا يصغي الى كلام احد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال
والاهتمام وعين المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان وظايف
المدرسين والطلبة وعين ذلك من اوقافه بالشام وعين لكل مدرس خمسين
عثمانيا في كل يوم ولكل معيد اربع عثمانية ولكل مدرس خمسة عشر طالبا
ولكل طالب عثمانيين وللفراش كذلك وللبواب نصف ذلك يجهزها كل عام
ناظر الاوقاف السليمانية بالشام مع الركب الشامي الى مكة فتوزع على
المدرسين والطلبة وظايفهم ولم تكمل المدارس الاربع الا في ايام السلطان
الاعظم السلطان سليم بن المرحوم السلطان سليمان فانعم بالمدرسة المالكية
السليمانية وهي احد المدارس الاربع على سيدنا القاضي حسين الحسيني
بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صار بماية عثمانيا وانعم بالمدرسة
الحنفية السليمانية بخمسين عثمانيا على مولف هذا الكتاب في اواسط
جمادى الاولى سنة ٩٧٥ فاقرأت فيها قطعة من الكشاف وقطعة من الهداية
وقطعة من تفسير المفتي الاعظم ابي السعود واقرأت فيها درسا في الطب
ودرسا في الحديث واصوله واني ادرس الآن فيها تكميل شرح الهداية
للعلامة الكمال ابن الهمام الذي كمله الآن علامة علماء الاسلام فهامة
فضلاء الانام والمولى العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدانها
وحائز قصبات السبق في حلبة رهانها فهو دهره في التحقيق والاتقان وحيد

عصره في التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفايقة التي سارت
بها الركبان وتداولتها الفضلاء في ساير البلدان الكريم المحسن الحسن محياه
غاية الحسان مولانا شمس الملة والدين احمد المعروف بقاضي زاده
افندي قاضي العسكر بولاية اناضولي اظهر الله تعالى على لسان قلمه مارق
وخفي عن الاذهان والافهام وافاض من زلال الفاظه العذبة ما يروي
عطش اكابر العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام
وقلد علماء مذهب النعمان قلائد درر متسق النظام ومد لطلاب العلم اعناقهم
موايد فوايد وضع لهم طرفي التمام واودع فيه من خاصة طبعه الشريف
لآلئ الافتصرف من بنات افكاره والله يؤتي فضله من يشاء والله ذو
الفضل العظيم ولا شك ان ذلك فيض من الله الكريم افاض به من خزاين
جوده العميم فشكر الله تعالى على صنعه الجميل ونفع بتاليفه ساير طلبة العلم
الشريف وابقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى ان يرث الله تعالى
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد اخبر لي في ايام صدارته وتقربه باني
لدى الحضرة الشريفة السلطانية في زمن السلطان الاعظم السلطان
مراد خان فصادرت مدرستي بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عني افضل الجزاء واسبغ
عليه من خزاين فضله واسع الخير والعطاء وانعمت السلطنة بالمدرسة السليمية
الشافعية لاقراء مذهب الامام الشافعي رحمه الله المشروطة على بعض علماء
الشافعية بخمسين عثمانيا وتدريس كتب الامام محمد ابن ادريس الشافعي رضي
واصول فقه الشافعية بها كما شرط الواقف واما المدرسة الرابعة فقد

جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل رضه فلم يوجد بمكة
يومئذ من يكون فايقا في مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث
الشريف وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا يقرأ فيها الحديث
الشريف لاحياء السنة الشريفة فرحم الله تعالى السلطان سليمان واثابه على
مقاصده الجميلة في اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشرعية
وساير الباقيات الصالحات بلغه الله تعالى من الجنان الغرفات ونظر اليه بالنظر
الى وجهه الكريم في اعلى مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا
الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو اردنا استيفاء ما فعل من
الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات فعدلنا عن ذلك الى ما اثبتناه في هذه
الوريقات وكل ما عداه الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات والله مدبر الكائنات

الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم

مطلب سلطنة السلطان سليم الثاني

والملك الاكبر المعتني السلطان سليم الثاني صاحب الخيرات والجوامع والمباني
تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران
وحفه بروايح الروح والريحان كان مولده سنة ٩٢٩ وجلوسه الكريم على
تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية في يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع
الآخر سنة ٩٧٤ ومدة سلطنته تسع سنين وسنه حين تسلطن اثنتان
واربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة ايام من جلوسه على التخت
توجه الى سكتوار لحفظ عساكر الاسلام المجاهدين في سبيل الله فحاق حلق
بلاد الكفرة مشغولين بمهمة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا

الى ان وصل ركاب الشريف السلطاني الى سيرجه ويقال سرم فلاقيه وعرض
حضرة الوزير الاعظم محمد باشا رحمه الله تعالى تتضمن هجوم الشتاء وتيبس
في قلعة سكوار وقمع مرقة الكفرة والفجار والتماس الاذن الشريف
السلطاني للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستمر ركاب
الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان يصل الى ايتم ركابه السلطاني والاكتفاء
بنزاب الى دار الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة السلطانية
الى مقر التخت السلطاني بالقسطنطينية فاجيب الوزير الاعظم الى ما التمس
اليه واستقر ركاب السلطنة بذلك المحل والقرار عليه الى ان ورد الوزير
الاعظم المذكور اليه وباقي الوزراء واركان الدولة السلطانية وقبلوا
الركاب الشريف السلطاني وهنوه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا في خدمة
السلطنة الى اسلام بول بغاية اليسر واليمن والقبول وعند الوصول
الى باب السرايا السلطاني نطلبوا عاداتهم عند تجدد السلطان ورد الى
سوء ادب من بعض جهالهم فجاء المرحوم المفتي الاعظم مولانا ابو السعود
م افندي العمادي وألان لهم الكلام والتزم لهم بعوايدهم وترقياتهم وعطايا
العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من ذلك الهفوة وصحوا من سكر
الجهالة واهتدوا بعد الضلالة ودخل السلطان الى سراياه الرفيع وجلس
على سرير ملكه المنيف فوفى العسكر بما التزم لهم به حضرة المفتي الاعظم
وافاض احسانه عليهم وانعم واصرف في ذلك خزاين كثيرة لا تحصى
وذر عليهم من الورق والعسجد ما لا يحصى ولا يستقصى وامر بقتل من

حصل من رعاع العسكر دغو غاهم
مرافعه وممانعه عن الدخول
الى السراى م

كان

كان سببا في هذه الغوغاء من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل
النعماء وله الشكر على جميل الالاء وله الحمد في الاخرة والاولى فهو
سبحانه الاحق بذلك واولى ودخل على السلطان العلماء العظام
للتهنية بالمبارك والتحية والسلام ثم اركان الدولة على قوانينهم وحصل
لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن
والاطمينان وتمام حسن الانتظام ثم جهزت البشاير السلطانية الى
الممالك العثمانية بالخلع الوافرة الخاقانية فحصل لنواب السلطنة
الشريفة كمال الفرح والسرور وتم البشر والحبور بانتظام الامور
ووصلت التهنية من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف ف
وقرت العيون وزالت الغبون واستقرت الخواطر والظنون فكان
سلطانا كريما رؤوفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرايم حليما محبا للعلماء
والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء وكان احسانه يصل الى فقراء
الحرمين الشريفين وهو شاه زاده وتصل تشاريفه وكسا ويذكر في كل
عام الى الفقراء والصلحاء وكان يصل الى [illegible] احسانه وكسوته في كل سنة
وبعد ان ولي السلطنة لم يقطع عادة احسانه واستمر يصل ذلك
اليهم في كل سنة بحيث اضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم في
كل سنة على الحكم السابق الى الان فهو الملك المحسن المنعم
الفايض الاحسان والانعام طالما طافت بكعبة الامال واعترف
وصدع بامره الليالي والايام فاينعت وغرس في رياض السعادة غروس

أشجار السياسة فبسقت وأثمرت وعمرت بحسن نظره أرجاء البلاد فتمدنت
بعد الخراب وعمرت ودمرت بسياسته أرباب الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت
وكم أظهرت لسواد الكفر بيد صارمة بيضاء آية للناظرين وكم جهز جيوشا
للجهاد في سبيل الله فقطع دابر الكافرين فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس
بسيف الجهاد ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد ومنها فتح ممالك اليمن واستنقاذها
من العصاة البغاة أهل الإلحاد والعناد ومن خيراته تضعيف صدقة
الحب وإرساله مدة سلطنته إلى الحرمين الشريفين ومنها الأمر ببناء المسجد
الحرام وكل ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكره
بطريق الإجمال لضيق المجال فأما قبرس فهو بالسين المهملة لا بالصاد
كما يغلط فيه العوام جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفنن أبو عبد
الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري في كتاب
الروض المعطار في أخبار الأقطار قبرس جزيرة في البحر الشامي كبيرة القطر
وبها معدن الزاج القبرسي ومنها يجلب إلى سائر الأقطار وبها ثلاث مدن
ومن قبرس إلى طرابلس الشام مجريان في البحر وقبرس على ممر الأيام رخاها
شامل وخيراتها كاملة وكان معاوية رضي الله عنه غزاها وصالح أهلها على جزية
سبعة آلاف دينار فنقضوا عليه فغزاهم ثانية فقتل وسبى سبيا كثيرا
وروي أنه لما افتتح مداين قبرص واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم
بكى أبو الدرداء رضي الله عنه وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه على خديه
فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على

منكبيه أي منكبي القائل وقال ويحك ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره
فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة لهم على الناس إذ تركوا أمره فصاروا
أذلة وصار حالهم إلى ما ترى من السبي والإهانة وبين جزيرة قبرس وساحل
مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسيرة يوم واحد وإنما
سميت جزيرة قبرس بوثن هنالك كان يسمى قبرس كان يعظمه الكفار ويعظمون
لأجله جزيرة قبرس وأهل جزيرة قبرس موصوفون باليسار والغنى وبها
معادن الصفر ويجمع منها اللاذن الحسن الرائحة الذي يغلب العود في طيبه
وهو الذي يجمع منه على الشجر خاصة وكان يحمل إلى ملك القسطنطينية
لأنه أفضله وما يجمع منه مما لم تمسه قط على وجه الأرض يبيعونه للناس
وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفيت
بها وأهل قبرس يتبركون بقبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر
مجاهدين في سبيل الله ففعل صلى الله عليه وسلم وهو حديث معروف صحيح وكان
الأوزاعي رضي الله عنه يقول أنا أرى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وأن صلحهم وقع
على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم وإنهم لا يسعهم نقضه الأيام يعرف
بعذرهم ورأى عبد الملك بن صالح في حديث أحدثوه أن ذلك نقض لعهدهم
فكتب إلى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمرهم منهم الليث بن سعد وسفيان
ابن عيينة وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا فيه وأجاب كل واحد
بما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه إلى المسلمين بعد الآتين

من الهجرة الى رابع الالف الف وسبعماية الف واربعين الفا انتهى ما ذكره صاحب
الروض المعطار **قلت** وقد تقدم ما نقلناه انه افتتحت في ايام الدو
الجراكسة في سلطنة السلطان الملك الاشرف برسباي الدقماقي واستمر
ملكهم في سنة ٨٣٩ وكان اهل قبرس في ايام الدولة العثمانية مع دفعهم لهم مال
الى الخزينة العامرة ما كان مقررا عليهم غير انهم لم يحفظوا في الملك والخراج اظهار
الطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق
في البحر على المسلمين واذا اخذوا سفينة من سفاين المسلمين قتلوا الجميع من
ظفروا به في تلك السفينة وغرقوها في البحر اخفاء ما فعلوه وصاروا اولو
قطاع الطريق النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعم
ضررهم فاستفتى المرحوم السلطان سليم مفتي الانام مولانا ابي السعود
فافتاه بانهم غدروا ونقضوا العهود وان قتالهم جائز بسبب ارتكاب
ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم خان
كثيفا وعسكرا منصورا منيفا ارسل من جانب البر وعمارة من جانب
البحر وجعل سردار الجميع مصطفى باشا رحمه الله تعالى في حمل الامر السلطاني
وبرز محفوفا بالنصر الصمداني والعون الرباني ومعه عسكر جرار ماء في وجه
الارض برا وبحرا كانهم قطعة نار مضرمة واشد حرا فحاصرهم المحاصر
في سبيل الله تعالى وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار
السلطانية على تحصين سورهم وهدمت قصورهم وصارت بيوتهم
قبورهم وكسرت ظهورهم ففتحت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم قلعتان

وبقيت

وبقيت القلعة الثالثة وهي ماغوسا وفيها سلطانهم محصورا وكان محصورا
ما خوذا وما سورا فاظهر الجلادة وثبت وكابد في محاصرته انواع الكمد
الى ان وهن قواه وذاك كيده وخسئه واضطر الى طلب الامان والانز
لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية الوزير المعظم واعطاه
الامان وشرط عليه ان يطلق من عنده من اسارى المسلمين ويدوس
البساط الشريف السلطاني ليسلم له التامين ويحصل له التطمين فوافق
على ذلك واطلق الاسرى وحضر لان يقابل الوزير المعظم جبرا وقهرا
فاخبروه الاسرى انه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من
اسارى المسلمين بالسيف صبرا ولخوف ذلك عن المسلمين وفعل هذه
الخيانة سرا فلما علم الوزير ان ملكهم قد خان طلبه بين يديه واهانه
غاية الهوان وركب وحمله غاية السرج وامره ان يمشي قدامه كسائر
الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده واخذ امواله وذخائره
وقتل من اراد واستاسر واسترق من اراد وصارت جزيرة قبرس دار الاسلام
واضيفت الى الممالك الاسلامية العثمانية بالجهاد هذا الوزير المعظم
واصابة رايه وتدبيره الصائب الاتم وهذا ما بلغني تفصيل ما وقع في هذه
الغزوة وما امكنني تحقيقه وارخ كثير افرادها بالاذن لهم وذكر
ما وقع فيها فلم اظفر بذلك فان ظفرت بعد بالاطلاع اجعل له تاريخا
مستقلا واسع المجال لطيف المفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى **واما فتح**
بلاد اليمن فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كان داخلا في الممالك الجركسية

العثمانية في ايام دولة السلطان سليمان اسكنه الله اعلى الجنان وحف
روضته الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان اول فتح الخاقاني
على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم نايب مصر لما توجه الى الهند لغزو
الفرنج انتقال اليه في سنة ٩٤٥ واقام نايبا واستمر كذلك في تصرف النواب
الذي يكون من الباب الشريف السلطاني يتولاها واحدا بعد واحد الى ان وزعت
مملكة اليمن نايبين بعرض محمود باشا ان مملكة اليمن واسعة يمكن ان
يولى في اعلا الجبال من صنعا الى تعز نايبا ويولى على تهامة وهي زبيد وبندر
السواحل والبنادر نايبا اخر وكان هذا عين الخطا فان ذلك مظنة الاختلاف
والجدال كما قال الله الكبير المتعال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فقبل عرضه
في الباب العالي قصدا الى تكثير المناصب وتعديد البكلربكية فولي بلاد اليمن
اعلاها وجبالها مراد باشا وكان يقال له كور مراد والحال كان بلصوري عينيه
وكان خرج من سراي السلطان وكان من امرا الصناجق وصار امير الحاج
الشامي ثم ولي صنجق غزه ثم اعطي نصف مملكة اليمن وولي جهة التهايم حسن باشا
وهو ايضا من المماليك السلطانية برز من السراي السلطاني فانقسمت عساكرها
واموالها ومحصولها الى نصفين وضعف امر كل واحد منهما وكان مطهر
ابن شرف الدين الزيدي لعب الشيطان بعقله وسولت له نفسه العصيان
وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره طمعا في الملك فتصدى لانقسام
المملكة ووصل خبر وفاة السلطان سليمان فاظهر العصيان هو ولفيف
من العربان وجهز اميرا من امرائه يقال له علي بن شويع وجمع عليه العربان

فقطعوا

فقطعوا الطريق على مراد باشا في مخطرماي وهو غافل عن عصيانهم وكان
قاصدا من تعز الى صنعا وهي محصورة بالعربان الزيديين وكانوا
سلبوا كثيرا من الصناجق وحبسوهم فمات منهم من مات وهرب من هرب
فلما احاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في اليمن برزت
الاوامر الشريفة الى نايب مصر يوميذ الوزير المكرم المفخم نظام العالم صاحب
السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الامم فاتح ممالك اليمن من كوكبان
الى عدن وقالع حلق الواد وتونس الغرب ودافع الكفر عنهما والممتحن ليث
عرين الوطيس افتراسا وشدة جاش وباسا الوزير المعظم سنان باشا
فانه اسد ضرغام وليث همام وحسام صمصام وكريم محسن فايض الجود
والانعام جواد بذول لم يمح الهلال الا ليكون نعلا لجواده ولا
مدت الثريا كفها للخضيب الا لتتمسك بذيل افضاله وامداده ولا فتحت
المحابر افواهها الا لتنطق بمدحه السنة الاقلام ولا جرى الحبر بياض
الطروس بسواد السطور الا ليشير ان الليالي والايام له من جملة الخدام
لما طوق الاعناق اطواقا من الافضال والانعام فكانها اطواق الحمام
وكثيرا ما احسن الى العلماء والصلحاء من جيران بيت الله الحرام وجيران سيد
الانبياء والرسل الكرام عليه افضل الصلاة والسلام وكنت ممن شملوا بره
وانعامه ووصل الي في اكثر الايام احسانه واكرامه فانطلق لساني بشكره
ت ونطق بالثناء عليه لكثرة بره فحاولت في ذكر محاسنه في صحايف الكتب والدفا
ورقمت كرايم صفاته في صحايف اوراق بالسنة الاقلام وافواه المحابر

لا يطمع المجيد ان ولا يبلغ الدهر الغابر وكتبت باسمه الشريف تاريخا
مستقلا اسميته البرق اليماني ذكرت فيه احوال اليمن في سنة ٩٠٠ واستيلاء
الجراكسة حين الكردي وطايفة الجراكسة ثم اللوند الى زمن الفتح العثماني اولا على
يد الوزير سليمان باشا ثم استيلاء الزيدية من جيوش مطهر بن شرف الدين
ثم الفتح العثماني ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا رحمه الله تعالى على
سبيل التفصيل واكتفيت بما ذكرته في هذا التاريخ عن اعادته هنا فانه
يروي الغليل ويفصل تلك الاحوال غاية التفصيل وكنت صدرت ذلك
التاريخ بقصيدة طنانة من نظمي سبق ركبها الركبان وتلقتها بالقبول ادباء
علماء البلدان اجتنيت ايرادها هنا لبلاغتها عند علماء البيان وفصحاء
اللسان تسابق الفاظها ومعانيها الى الاذان والاذهان وتسحب كل
كلمة منها اذيال البلاغة على سحبان وهي هذه

لك الحمد يا مولاي في السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح الزمان اذا سعت * له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود من في كوكبان خيامها * واخرها بالنيل من شاطي البحر
يحي من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر في البر والبحر
حمي حوزة الدين الحنيفي بالقنا * وبيض المواضي والمثقفة السمر
له في سرير الملك اصل موثل * تلقاه عن اسلافه السادة الغر
ملوك تساموا للعلى وخلايف * اولوا العزم في ازمانهم واولوا الامر

شموس

شموس بفيض النور تمحو غياهبا * من الكفر منهم تستمد ضيا البدر
هم ملؤوا عين الزمان وقلبه * فقرت عيون العالمين من البشر
هم العقد من اعلا الانام منظما * وسلطاننا في الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم * سليم كريم اصله طيب الفخر
عماد لواء المسلمين بظله * وسد منيع للانام من الكفر
وحين اتاه ان قد اختل جانب * من اليمن الاقصى اصر على القهر
وساق لهم جيشا خميسا عرمرما * يدك فجاج الارض في السهل والوعر
لهم اسد شاكي السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشان ثابت رايه * يجهز في ان جيوشا من العسكر
يقوم باعباء الوزارة قومة * يسد جيوش الدين بالعدد والازر
اباد لهم بالباس كاس العدى * ولكنه بالجود جابرة الكسر
به امن الله البلاد وطمن العباد * واضحى الدين منشرح الصدر
سنان عظيم القدر يوسف عصره * الم تره في مصر احكامه تجري
تدلى الى اقصى البلاد بجيشه * ومهد ملكا قد تمزق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم * مثال قرود في الجبال من الذعر
وقطع روسا من كبار رؤسهم * لهم باطن السحار والظاهر كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما * بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولا زال فيهم عامل الرمح عاملا * ولا برحوا في الذل بالقتل والاسر
وما يمن الا ملك تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر

وقد ملكوا آل عثمان إذ مضت بنو طاهر أهل السماحة والذكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع ويأخذ من آل عثمان بالمكر
أبى الله والإسلام والسيف والقنا وسر أمير المؤمنين أبي بكر

فصل ولما تم الفتح الخاقاني العثماني في القطر اليمني عاد الوزير سنان باشا المعظم إلى بلد الله المكرم وحج حجة الإسلام وزار المزارات والمشاهد العظام وصادف الحج الأكبر وكانت الوقفة يوم جمعة أفضل الأيام وأثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والإنعام وأحسن إلى أهل الحرمين ومن حضر فيهما من حجاج الأنام وقابل أشراف مكة بالإجلال والاحترام فمن آثاره الخاصة به في المسجد الحرام تعمير حاشية المطاف من بعد أساس (طين) (وكانت م) المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة بالحصى بدون ذلك فعمر بحجارة منحوتة مبنية حول الحاشية كالإفريز ومن الوزير أن تفرش هكذا الحاشية بالحجر الصوان المنحوت تفرشت به في أيام الموسم وصار محلا للطيفان بالمطاف من بعد أساس طين المطاف فصار ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغير وكسا ... للمسجد الحرام وهذا الأثر خاص به ذكره الله تعالى بالصالحات وأدام له العز والسعادات **ومنها** تعمير سبيل التنعيم أنشأه وأمر بإجراء الماء إليه من بئر بعيدة يجري الماء منها إلى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يستقي من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء إلى السبيل ليشرب منه ويتوضأ منه المعتمرون والواردون والصادرون ويدعون له بالنصر والتأييد وعين لمصا... (رليف)

ذلك

ذلك من ريع أوقافه التي بمصر **ومنها** آبار حفرها بقرب المدينة المنورة لقوافل الزوار في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا **ومنها** قراءة ختمة شريفة في كل يوم يقرأها ثلاثون نفرا بمكة المشرفة وأخرى بالمدينة المنورة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام وعين لكل قارئ جزء في كل سنة تسعة دنانير ذهبا وكذلك لمفرق الأجزاء والداعي وشيخ القراء وعين مصارف ذلك كله من أوقافه التي بمصر وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات شيخ الإسلام قاضي المسجد الحرام وناظر المسجد الحرام الواجب الاحترام سلالة المصطفى خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام أدام الله أيامه مولانا القاضي حسين رحمه الله تعالى

فصل وأما فتح حلق الواد وبلاد تونس الغرب فهي من أجل الغزوات العثمانية وأعظم فتوحاتهم العلية الواقعة في أيام دولة السلطان سليم خان الثاني وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الخلاف (الاختلاف) فصار بعضهم يلتجئ إلى نصارى الفرنج ويأتي بجنود الكفرة ويستعين بهم على أخذ تونس وصار الفرنج تقاتل من في تونس من المسلمين ويقتلونهم ويسبون أولادهم ونساءهم ويبنون القلاع في تلك البلاد ويواصلون بجنود النصارى إلى بلاد اليمن ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين إلى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانقهروا لهم وبنوا قلعة عظيمة محكمة الإتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد أو وضع قبائل عاد

وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وشحنوها بالابطال الباطلين الفجرين
من قوم النصارى المشركين وملؤوها بآلات الحرب والقتال والطعن والنزال
وصارت النصارى تكمن للمسلمين ويرسلون منها الاغربة والمراكب في البحر على
بلاد المومنين الموحدين ويقطعون الطريق على المسافرين وياخذون كل
سفينة غصبا وعم اذاهم المسلمين قتلا واسرا ونهبا وسلبا الى ان تعدى
ضررهم على طوائف اهل الاسلام وعم الخاص والعام وزاد فساد اهل الصليب
على ضعفاء المسلمين والمومنين والموحدين وكبير ملوك النصارى يوميذ
صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس اعادها الله تعالى دار اسلام ببركة سيد
الانام عليه الصلاة والسلام ويسميه العوام اسبانية وهي تحريف اشبيلية
جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس ووالى على ذلك سلطان تونس احمد بن حفص
اليماني قابله الله تعالى بما يستحق على سوء فعله فاخذت النصارى تونس
ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا الرجال ونهبوا الاموال وسبوا النساء
والاولاد والاطفال وباء احمد المذكور باثمه واسودت في صحايف الايام
ديباجة اسمه ورسمه وانقلب خاسرا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وزاد
خيبة وكفورا ونفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون ذلك
كذلك وقد استعان بملة الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب
والاصنام وينتصر بهم على اهل ملة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وامتهن
دار الاسلام تونس باقدام اولئك الكفرة اللئام وبالله الكبير المتعال انتصار الاسلام
فانتشرت هذه الاخبار المدهشة والاثار المظلمة الموحشة الى ان وصلت

الى ابواب سلطان الاسلام ظل الله على الانام مالك صهوة الملك من الذروة
الى الغارب مالك المشارق والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان
المشهود بالمرحمة والاحسان السلطان ابن السلطان سليمان بن السلطان
سليم سقى عهدهم صوب الرضوان وابقى فيهم السلطنة الى انتهاء الزمان
فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما اصاب اهل الاسلام
من هذه المصايب العظام والامتهان الذي قصم الظهور واوهى العظام
استشاط غيظا وغضبا واضطرمت نار حميته وتاججت لهبا وتحركت فيه
العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد
وارغى وازبد وهدد ووعد وخاطب الخطباء والوزراء العظام والبكلربكية
الكبار الفخام وقال من يتقدم منكم على نصرة الاسلام واذلال عباد الصلبان
والاصنام ويستنقذ من اسر من المسلمين بيد اولئك النصارى الطغام
ويخرجه من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير المعظم واللبيب
الغشمشم صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن ابو الفتوحات سنان باشا
المفخم لا زالت الويته نصرة منشورة الذوايب مشرقة في المشارق والمغارب
صاعدة الى افق السماء تزاحم مناكب الكواكب وقال انا السد لهذه الثلمة
انا لها افرج كربتها وافتح مقفلها واصلح خللها وازيل عللها ولم تدخرنا
السلطنة الشريفة الخاقانية ولا ربتنا العواطف الكريمة العثمانية
الا لبذل ارواحنا واموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون
به من المصايب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالتشكر والثناء عليه

وانشار الالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العسكر المنصورة
وامره بالتوجه الى قهر طايفة النصارى المقهوره وامراء يتوجه معه
لمساعدته ومعاونته ودفع ملاقاته ومسامته وضبط العسكر
البرية الحربية وترتيب السفاين البحرية قبودان البحر العالي فارس ميدان
البحر السابق الى قلة ابراج المعالي الاسد الضرغام والليث الهمام
والصارم الصمصام امير الامراء العظام قلج علي باشا القبودان يسر
الله تعالى له من الفتوحات ما شا فشرع في اخذ اسباب السفر واخذ معه
من امراء الصنجق وشجعان العسكر كل اسد غضنفر وكل باسل
معقود بناصيته اسباب النصر والظفر ممن له في حرب البحر اليد البيضا
والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وشحنا ما يتبع النظر بالصحيحة
القلاع وتهدم بما فيها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المونات
الكبار لحمل الاثقال ورفع الجمال الثقال وسلم مكاحل النحاس لحطم
الثغور وهدم السور والحصون الى الاساس وكثرة التخويف والترتيب
وشدة القوة والباس وكان يوم بروز العسكر المنصور من القسطنطينية
العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة اظهرت يمنا وبركة وسعودا
وكان الجمع المنصور جمعا مباركا منصورا وذلك في غرة شهر ربيع
الاول سنة ٩٨١ وركب الوزير المعظم سردار العسكر الباشا سنان وعلي باشا
القبودان والعسكر المنصورة بنصر الله تعالى الملك الديان ثبج البحر كانهم
طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر اقوى طيران

وتلك

وتلك الالسنة وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرسيها فوصلوا الى
ليمان اناوارين واستمروا سايرين في البحر حتى وصلوا الى ما للوكليسا
من مملكة البندقية ووصلوا يوم الخميس لخمس مضين من شهر ربيع الاول
لسيمان الخير واستقروا به ليلة الجمعة واصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم
والنصر والفتح والظفر يرافقهم ويتقدمهم وقد عبروا بالسفاين الى
العمان وما امكن لغيرهم من العسكر عبور العمان لعدم السفاين الكبيرة
خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله سبحانه سلم ويسلم من اراد
ولا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شي قدير فساروا تارة بالقلوع
وتارة بالكورك على ظهر فلك البحر الواسع الى ان ظهرت لهم في اليوم الثامن
جبال قلذوية واستمروا كذلك الى ان وصلوا وقت الظهر في اليوم التاسع
الى طبرق حصار وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما وصلت
العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين
فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا الارض تحت ارجلهم دكا
فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى [illegible] ووقع القتال العظيم واستشهد
فيه من رزق سعادة الشهادة فاعطاه الله سبحانه في جنات الحسنى وزيادة
منهم كتخدا القبودان صنجق فرح محمد بك نزل في قرب سفينة منشي
الى الجهاد في سبيل الله تعالى فاصابته بندقة في فخذه فعدت من الجانب
الاخر استمر صاحب فراش خمسة ايام ثم نزلت عليه الملائكة الكرام ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى

رحمة الله تعالى شهيدا او مضى الى دار الآخرة سعيدا ثم رميت مدافع وقت
المغرب لاعلام الغزاة بالعود الى سفاينهم للمسير فحضروا وركبوا الى ان وصلوا
في اليوم الرابع عشر الى مدينة مسينة استقر بها قليلا عسكر المسلمين
ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصن سراد ون حصنات فرتونة في البحر
تفرقت لسبع السفاين من الضحى الى الزوال ثم اجتمعوا في وقت العشي في محل
يقال له كيرت ثم مروا بعلل الايان فحوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها ثم ساروا
فالحق قلعة اولا ووصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا
بها من الذخاير وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفاينهم ووصلوا
نازلون لاخذ السفينة كل يوم الى جانب من ساحل صلمية وكلما وصلت بلادهم
اليه من نهب وغارة وقتل لطائفة الكفار بادروا اليه واخربوا قراهم
ودورهم وبساتينهم وعادوا الى [illegible] سفاينهم فاجتمع كل من في ذلك
الساحل من النصارى من فارس وراجل وصاروا عسكرا واقدموا الى ان
من نزل الى البر من المسلمين فخرج اليهم من السفاين بعض البحارين والكرجية
وبعض من بنيته الجهاد في سبيل الله وقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم
خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران
وذهاب ازواجهم واموالهم واسروا اولادهم ونساءهم قبل الآن ولعذاب
الآخرة اشد وابقى ثم اطلق المسلمون النار في تلك السواحل واحرقوا اشجارها
ودورها وقصورها وعجلوا باهلها الى جهنم وساءت مصيرا وفي اليوم الحادي
عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة

ثم

ثم كانت متوجهة الى بعض قلاعهم فاغتنمها المسلمون وكان اخذها
فالا حسنا للمسلمين وفي اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور وصلوا الى جهة راديس
وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب من ارض تونس قريبا من قليبة
بونة وهي على ثمانية عشر ميلا من مدينة تونس فتزينت السفاين والغربان
بالرايات المصبوغة الوانا اظهارا لهيبة الاسلام وعنوانا للعساكر
المنصورة العثمانية فرسوا في اليوم الرابع والعشرين في جزيرة حلق الوادي
ونزلت العساكر السلطانية ونصبت اوطاقات الوزير المعظم والقابودان
المكرم على مسافة لا تصل المدافع اليها من حلق الوادي ونزلوا المدافع الكبار
التي اذا رمي بها تزلزلت الجبال من رميها ولصدمتها وتخرب الاطواد الكبار ويحطمها
وشرعوا يتقربون قليلا قليلا ويبنون لهم متاريس يتترسون بها ويسوقون
الاتربة امامهم ويستترون خلفها ويحفرون خنادق ويتنزلون فيها كيلا
تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون للقلعة على هذا الاسلوب الى
ان احاطت العساكر المنصورة بقلعة حلق الوادي وتقدموا بالبنادق والآت
الهدم ونصبوا بقرب القلعة المنجنيقات والمدافع ووجهت الى صوب الكفرة
افواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز الوزير سنان باشا محفوفا بنصر الله
يخوض هول الموت وهو يراه محتسبا نفسه في سبيل الله معتمدا على
عون معين نصير تسجد لعظمته الجباه واقدمت العساكر المنصورة بصدق
اعتقادها وثبتت النصارى بغلظ اكبادها وشدوا احقادها وترامو
بالمدافع الكبار التي هي من اشد الصواعق واخطف للاسماع والابصار

من الرعود والبوارق تخطف ما صدفت من النفوس والارواح وتمزق ما هدمت
من الهيكل والاشباح وتفك اللحم عن العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم
والعساكر المنصورة يقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد
والجبال على الحرب والقتال والجدال مع المشركين والجهال اذ وصل الخبر بوصول
نايب تونس المولى عليها من قبل السلطان سليم وهو مصطفى باشا ايده الله تعالى
بالنصر والتاييد وظفره بكل كافر عنيد وكان وصل قبل وصول العسكر
السلطانية من البر على مقدار نصف يوم عن تونس بقصد محاصرتها
هو والوزير حيدر باشا فلما علما بوصول العمارة السلطانية لحلق الواد
واشتغال العسكر بالجهاد وصلا ليلا بالخفية مع قليل من الغلمان الى
اوطاق سردار العمارة المنصورة الوزير سنان باشا وامراه ان يتوجه معهما
بنفسه وما امكن الوزير سنان باشا ان يتوجه معهما فعين طايفة من امرايه
وعين نحو الف نفر من التوفنكجية وبعض المدافع الكبار والطربزانات ان يتوجهوا
مع البكلربكيين الى محاصرة تونس واخذها من النصارى الفجار وارسل معهم
من امراء الصناجق الامير ابرهيم بك من صناجق مصر وصنجق فرسي محمود بك
وصنجق قره حصار ديكر بك ومقدار الف نفر من طايفة كوكلو مع اغاتهم
حيدر بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا واحاطوا بتونس
وكان السلطان الموالس مع النصارى وهو احمد الحفصي ومن معه من
النصارى راوا انهم عاجزون عن حفظ تونس لسعتها وراوا ان قلعتها ايضا
خرابا متهدمة لا تصلح لهم فخرجوا من تونس الى رملة بقربها يقال لها قرتلوكي

يعني

يعني بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب وحشوه بالتراب والرمل وتحصنوا
فيه وكانوا سبعة الاف مقاتل ما بين كفار روم وتدبير ومرتدة من النصارى
المجرولين وشحنوا هذه الابيات بالات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك
فلما خلت تونس من اعداء الدين فتحها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها
ثم برزوا الى قتال اولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي اعدوها واحكموها
واحصنوها بالالواح والاخشاب والطين وارسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر
المسلمين سنان باشا فارسل النصرة لهم وامدادهم واعانتهم القبودان المذكور
قلج علي باشا فتوجه بطايفة من المسلمين من العساكر السلطانية الى اعانة
نايب تونس حيدر باشا ونايب طرابلس الغرب مصطفى باشا ومن جهز معهما
العساكر بغا وهم محيطون بالقلعة التي تحصن بها الكفار الاشقيا والعرب
المرتدين فراى قلج علي باشا صعوبة اخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة
فطلب عسكرا اخر وعدة ومدافع اخرى من الوزير سنان باشا فارسل اليه
الف ينكجري وصمصونجي باشي ومن معه من سلحدارية الباب العالي على اغاتهم
معهم ثمان مدافع وست طربزانات ولحقوا بالقبودان قلج علي باشا واحاطوا
بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة الملاعين
ومن معهم من عربان تونس المرتدين في غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا
من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين في جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين
قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد في ذلك اليوم كثير من المسلمين وصار
الى العلا عليين فلما بلغ الوزير ما فيه من الشدة عسكر المسلمين جا بنفسه اليهم

وا

فان المسافة قريبة وعساكر المسلمين محيطة بالقلعة وهي قلعة حلق
الواد والحرب قايم على حاله فتوجه الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب
تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جاشهم
وعين في كل موضع طايفة واشار على القبودان وعلى البكلربكية
بما راى فيه من الصواب وطمنهم وشد قلوبهم وقوى جاشهم وعاد من
توجهه الى قلعة حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه في هذه الجهة ايضا
واستمر كل من الفريقين في مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسامون
من مصادمة الكفار ولا يخافون من الموت لانهم مقدمون على جنة الخلد ومكرم
لا يطلبون الا درجة الشهادة من الله العلي الاعلى ووصل في هذه الاثناء
نايب الجزاير سابقا وهو امير الامراء العظام احمد باشا للاعانة بعسكر
الاسلام واقبل على الوزير واستامر بما يامر به فاعطاه عدة من المدافع
وعين له جهة الجنوب من قلعة حلق الواد فتوجه اليها وبنى المتاريس
وجاهد في الله تعالى حق جهاده واقدم على قتال الكفار والقى الى الحرب
مقاليد قيادة فوصل العسكر الى خندق الكفار بعد اربعة عشر يوما
وبنوا عليها فوق المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقبا طويلا
ووصلوا به الى موضع كان كرخانة وفيه قلة برج يصلح للتحصن فيه
فوصلوا اليه من تحت الارض وملوه من الرجال والات الحرب ففطن المسلمون
لذلك وكان قريبا من الجانب الذي فيه الوزير فتوجه اليه بنفسه ووقع
فيه حرب شديد وخربت القلة وقتل من فيه من النصارى المخذولين فاسر

الوزير

الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذي وصل اليه العسكر فكان عمقه
ستون ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء بما البحر فتشاور
الوزير مع الامراء واصحاب الراي في ذلك فما وجدوا الا ذلك حيلة سوى
ان يملا الخندق بالتراب ويبنى عليه المتاريس فامر الوزير سائر العسكر
بذلك فشرعوا في نقل التراب من خلف المتاريس وباشر الوزير المشار اليه
النقل للتراب بنفسه ابتغاء لمرضاة الله تعالى ونصرة لدين الاسلام وتاييدا
لدين محمد عليه الصلاة والسلام وراى الامراء ذلك فبذلوا بانفسهم
غاية الاهتمام واقدموا نهاية الاقدام وحملوا التراب باذيال الثياب ورموا
به في الخندق الى ان امتلا وزاد في الارتفاع فبنوا المتاريس فوق ذلك
الى ان تعلو على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاخر
٩٨١ سنة فصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط القلعة وتقتل الكفار
وتحرقهم بالنار وتسوقهم الى جهنم وبيس القرار ووصل في هذه الاثناء
نايب الجزاير المتولي عليها اذ ذاك امير الامراء رمضان باشا ومعه عدة
الاف مقاتل واجتمع بالوزير وطلب منه خدمة يوديها فارسله ومن
معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة
التي بقرب تونس فتوجه اليها ونزل في جهة من جهاتها وحط عليها مع
من هناك من الباشاوات والامراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر
الوزير في محاصرة قلعة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من الكفرة والفجرة
واقدم المسلمون على الدخول الى الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وعجز

المنصورة الى استيصال الاعداء الدين سبق السيل العظيم وتعلقوا باطراف
الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام
وقتلوا في سبيل الله وهم احياء لا اموات عند الله تعالى في دار السلام وتهجمت
عساكر الاسلام في الاقدام على الموت الزوام وحد السيف والحسام الى ان
دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على اعلاها واقدمت بقية العساكر
الاسلامية وهجمت على القلعة ايضا ودخلوها ووضعوا السيف فيها وفي الكفرة
عبدة الاصنام وقتلوا منهم ثلاثة الاف مدرع مغلغل من فرقه الى قدمه في
سابغة الحديد ورموا انفسهم الباقون من اعلا القلعة الى اسفلها وهم
زهاء خمسة الاف نفس نزلوا على اقدامهم في الرمل وهربوا مقدار رمية سهم
او سهمين وشرعوا في التترس بالاتربة والرمال وارادوا ان يتحصنوا بها
والمسلمين مشغولون بقتل من بقي في القلعة ونهب الامتعة والاسباب
والاسلاب فوجدوا فيها اخشابا والواحا اعدها الكفرة لاتقان القلعة
واحكامها وبارودا كثيرا ومدافع ولبوسات والات الحروب وبقسماطا كثيرا
لازوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير محكمة البناء واعجلتهم العساكر
السلطانية الاسلامية عن اتمام اتقانها واتقان استحكامها فلو تركت
العساكر الاسلامية السلطانية عنهم ذلك العام لكانوا اتقنوها اتقانا
قويا وكان لا يقدر عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تعالى تلك
الطايفة الملعونة بوصول الوزير المعظم والجيش العرمرم في ذلك العام قبل
استيفاء استحكام القلعة غاية الاستحكام وكان ذلك بيمن سعادة

طالع

طالع السلطنة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير المعظم ولطف تدبيراته
العلية ودقة آرايه في الحروب الجلية ثم استمر الوزير يستعقب بالعساكر
الاسلامية اوليك الهاربين من الكفار فتبعوهم فوجدوهم قد شرعوا في
عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليه هجمة واحدة فتيقن الكفار ان
لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا اشد القتال وقاتلهم المسلمون بالنصال
وصار الوجه في الوجه والنار بالنار والسيوف المسلولة من القراب
تغوص في الرقاب والخناجر في اللبات حتى سالت الدماء كالسيل العجاج
الى ان نبت كافور تلك الرمال شقيقا وصيروا احجار الفلاة عقيقا
وصنع النقع في السماء طريقا وجند الله تعالى على كل حال هم الغالبون
والكافرون هم الصاغرون وصار من دماء اوليك الارجاس ما يخشى بحر البحر
على طهارته والرمل على غزارته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا وكفى
المسلمين ذلك الله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى اهل ملة الاسلام
الذي بعث الله به رسوله عليه افضل الصلاة والسلام وعاد الوزير ظافرا
منصورا غانما مسرورا آمنا باما مجبورا وغنم العساكر السلطانية والجيوش
الايمانية ما يكل عن حصره انامل التحرير ويضيق عن ذكره ادراج التسطير
وجهز الوزير البشير الى الابواب السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانية
ونظاير هذا الخبر وهذه البشرى الى ساير المسلمين في الآفاق تخفق على الخافقين
اجنحة السرور والبشر الخفاق فيما بين حدود الغروب والاشراق ولولا لطف الله تعالى
باهل الاسلام لكان البلاء عاما على ساير المسلمين فان السلطان سليم لو لم

بهمته بدفع هذه الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على اخذ تونس واخذ
الجزائر كلها وكانوا يتمكنون قلاعها واسوارها وحصونها وحصارها غاية
الاحكام وكانت تزيد على الاسلام عربان الغرب وغيرها ويتقوى الكفار على
اخذ مصر وغيرها من بلاد الاسلام لا بلغهم الله تعالى ذلك المرام وانزل عليهم الخزي
والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد اعان الله تعالى سلطان الاسلام على جميع
اوليك الكفرة اللئام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت
شملهم ومزق جمعهم فلا يقوم لهم راس بعد ذلك فالله سبحانه وتعالى يشكر
لتأييده الاسلام صنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان
سليم خان صاحب هذه الهمة العلية والايادي الحسان ويجازيه عن الاسلام
والمسلمين خيرا دايم الفيضان ويشكر هذا الوزير العالي الشان على نصر اهل
الايمان ويجزيه اعظم جزاء على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان
وكان هذا الفتح الازهر في يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاولى سنة ٩٨١
وقتل في القلاع الثلاث من الكفرة الجبان عشرة الاف مقاتل ساقهم الله تعالى
الى النار وقد استشهد من الغزاة الاخيار ما يوازي عشرة الاف غازي فمن
اعيان من الاكراد خضر بك وصنجق ابه بجشي مصطفى بك وصنجق اولينه احمد بك
وصنجق برجانه بايزيد بك وصنجق اسكندرية صفر بك وكتخداء اليكنجرية
فرهاد كتخداء ورأس زمرة البيا وكثير من الزعما وارباب التيمار وغيرهم
عدة عديدة واعطى الوزير الامان لطايفة من الكفار رأى في ذلك مصلحة نحو
زهاء مايتي نفر دخلوا في امان الوزير واخبروه بامور مهمة كان يريد الاطلاع عليها

منها ان عندهم من المعلمين الاستاذين في عمل الطوب الكبار الذي يعجز عن عمل
مثلها جميع الكفار يعني المعلمين مايتي نفر وخمسة انفار ممن انتظم له في
هذه الصناعة فآمنهم وطلبهم واخذ بخاطرهم واعطاهم الامان على
انفسهم وشرط عليهم ان يسكبوا دائما النحاس ويعملوا مدافع كبارا
ويجعل لهم علوفة ويوضع في ارجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا
بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم وكتب لهم علوفات على حسب
مراتبهم وصاروا من خدام الطوبخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم
ويتيقظ لهم ويستخدمون في الخدم السلطانية ويسبكون النحاس
للطوب الكبار والمدافع العظام وظفر الوزير في حلق الواد وقلعتي تونس
الاخريين بمايتي مدفع وخمسة مدافع كبار استولى عليها وترك في حصار
تونس خمسة وثلاثين مدفعا لحفظ تونس من الكفار الفجار وارسل ماية
وسبعين مدفعا من اكبر المدافع العظيمة الى الباب العالي ليستعان
بها على قتال الكفار الملاعين اذا حجر عليهم العسكر في كل حين

فصل

ثم لما فرغ الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والغنم الكثير انعم على
من كان معه في ركابه الشريف من الامرآء الكبرآء والباشاوات وساير
الزعمآء وارباب التيمار وبقية طوايف العسكر المنصور وارباب الجوامك والعلوفات وديركات
بالترقيات الكثيرة والمناصب الكبيرة كل واحد بمقدار سعيه واستحقاقه
ومرتبته وعرض ذلك على سدة السلطنة الشريفة وكان مقدارا كثيرا
من الخزاين السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقع موقع الاجابة

في الماضي والمستقبل وذلك في مقابلة ما بذلوا انفسهم واموالهم في سبيل
الله وجاهدوا في الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وانعمت
السلطنة الشريفة على الوزير بانواع الانعامات السنية والترقيات
الكثيرة العلية والخلع الباهرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية الفاخرة
في مقابلة سعيه في نصرة الدين وبذله امواله للغزاة والمجاهدين
واخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع في سالف الزمان
مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض العناية الربانية والنصرة
الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتاييد دين النبي محمد
عليه الصلاة والسلام ثم عاد الوزير المعظم المنصور المكرم الى الابواب
السلطانية بمن معه من عسكر الباب السلطاني واذن لغيرهم من العسكر
وساير الامراء والباشاوات بالعود الى اوطانهم واماكن حكوماتهم محللين
محترمين مجبورين منصورين سالمين غانمين واستمر الوزير
الى ان ورد الى الباب الشريف السلطاني وقبل قوايم سرير الملك العثماني
فقوبل بانواع البشر والترحيب وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه
السلطنة بعين القرب والتداني وافرغ على كاهله مرة بعد اخرى
خلع التشريف الخسرواني وقبل كلما عرضه الوزير المشار اليه على الاعتاب
الشريفة السلطانية من المطالب وانعمت عليه السلطنة بكل ما سال
فيه من المقصد والمارب وكان يوم دخوله الى اسلامبول يوما عظيما
مسعود مشهودا ووقت حلوله في منزله السعيد وقتا مباركا محمودا وارخت

الخلق

الخلق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم وميمون غرته
وصاروا يتبركون بالنظر الى المجاهدين والغزاة في سبيل الله سبحانه
يطلبون الدعاء منه وممن معه من المجاهدين والغزاة والنصارى الاسارى
يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين في الاصفاد بتشديد
الذل والنكال ودخلت سفاين العمارة العامرة والغنايم الى الاستانة
بزينة مزخرفة بالبنادق والمدافع حتى تخفق عليها رايات الفتح بالنصر
والظفر والجلالة واطلقت المدافع للفرح فتزلزلت الارض زلزالها
وكادت ان تصم الاذان فلا يسمع الناس مقالها وعساكر الباب الشريف
وردت صفوفا بعد صفوف وتعطفت عايدة بالنصر والتاييد الوف
بعد الوف ودخل ايضا القبودان المعظم المجاهد المكرم قلج علي
باشا المفخم لازال في حرب البحر مظفرا منصورا مسعود القدم فقوبل
من الحضرة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الكرم
والتعظيم والاجلال وانعم عليه بساير مقاصده ومطالبه وجعل له
غاية ما يتمناه من سؤله ومآربه وحصل لساير العساكر المنصورة
الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور واعظم من ذلك ما حازوه
من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا الغزو الفخر
وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل على صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه
الدولة العثمانية على تداول الليالي والايام ويحمي بحماياتهم كافة المسلمين
ويؤيد بتاييدهم ملة الاسلام ويبقي ايام سلطنتهم القاهرة على الانام

الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية
الغراء من يد بيضاء للناظرين وكم فتحوا بلاد الكفر وصيروها دار الاسلام
على رغم المشركين والكافرين وكادت تلحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين **فصل** ولقد حكى علماء ايمتنا وايمة الاسلام
واتفق قول الايمة الاعلام رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وسلم لهم برحمته ارحم
الراحمين ان سيوف الحق اربعة وما عداها للنار سيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المشركين وسيف ابي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف علي رضي الله عنه
في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين **اقول** وسيوف بني عثمان رحمهم الله
اذا سبرتها وتاملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم ما زالوا
من اول اسلافهم الى الآن يجاهدون الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين
والباغين ويقيمون شعاير شرايع الدين فالله سبحانه يديم ظلال سلطنتهم
على المسلمين ويؤيد بهم اهل السنة ويقمع بهم كافة الملحدين وهذا دعاء
يجب ان يدعو لهم به جميع طوايف المومنين فانهم عماد الاسلام وقوام
هذا الدين المتين وتاييد بقا يدين الانام والدعاء لهذه السلطنة دعاء لكافة
اهل الاسلام واعزاز دين الله تعالى ونصرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
وتامين البلاد وتطمين العباد وتوهين اهل الفساد وقطع جاذرة
اهل الالحاد وقمع جميع اهل البغي والعناد **فصل** فيما حصل من السلطان
الاعظم السلطان سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده السلطان
سليمان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وذلك في اول سلطنته من لاهل الحرمين

الشريفين ان زاد لهم سبعة الاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة
زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل
سنة من الانبار الخاص السلطاني على ظهر الجمال من مصر الى السويس وتحمل
في سفاين الدشايش السلطانية من السويس الى جدة والينبع وتوزع
على الفقراء وكان بدا امره الشريف ان يضاف ثلاثة الاف اردب منها الى
الدشيشة السلطانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وان
يضاف ثلاثة الاف اردب الى الدشيشة السليمانية لفقراء مكة المكرمة
وتوزع عليهم وان يوزع خمسمائة اردب على الفقراء المنقطعين بالينبع
العاجزين فيها عن السفر الى المدينة المنورة فيستعينون بها على التوجه
الى حيث ارادوا وان يوزع خمسمائة اردب على فقراء جدة المنقطعين بها
العاجزين عن التوجه الى مكة المشرفة لاداء الحج المفروض او النفل وذلك
مقصد جميل للمرحوم وكان الفقراء يتوسعون بها ويرتفقون بها وكانت
ترد اليهم في كل عام من اعوام السلطنة وكان الدعاء له مبذولا من سائر
الفقراء المخلصين المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا واجرا
وافرا جميلا رحمه الله تعالى على مقاصده الجميلة وخيراته الوافرة الجزيلة
ومنها ايضا ما كان يتصدق به على اهل الحرمين الشريفين ايام كان شاه
زاده قبل ان يلي السلطنة فانه كان يرسل كل عام الف دينار ذهبا توزع
ايام موسم الحج على فقراء مكة المشرفة يستعينون بها على مصارف الحج ايام عرفة
ومنى ومزدلفة والف دينار ذهبا لفقراء المدينة المنورة في ايام موسم

الحج فيستعينون به على الوصول الى مكة المشرفة لاداء الحج في كل عام وكان يخص
بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الاصواف الخاصة وبعض
غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم فلما ولي السلطنة
وجلس على التخت السلطاني كان يرسل اليهم عوائدهم السابقة في كل عام
وجعل ذلك مضافا الى دفتر الصدقة الرومية وكانت تصل الى الآن
بعد انتقاله رحمه الله تعالى وذلك ايضا من مقاصده الجميلة وخيراته
العميمة الجزيلة وله انواع من الخيرات ايضا في القدس الشريف وفي الحرمين
وعمارات في مصر بجامع الازهر وغيرها من الممالك العثمانية غير ما بنى في بلاد
الروم من المدارس والجوامع والتكيات وغير ذلك فصل فيما وقع
في الحرم الشريف من العمارة اعلم ان عمارة المسجد الحرام من اعظم مزايا الملوك
والسلاطين والخلفاء واشرف اكابر العلماء وقد يسر الله سبحانه ذلك لسلاطين
آل عثمان ايدهم الله سبحانه وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيه
في ايام دولة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خليفة الله تعالى في ارضه
القائم باقامة سننه وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك
والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين المحترمين
عامر البلدين الكريمين المعتقدين واسطة عقد ملوك آل عثمان السلطان
سليم بن السلطان سليمان امطر الله سبحانه وتعالى على تربتهما سحائب الرحمة والرضوان
وجعل قبرهما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية في عقبهما
الى يوم البعث والحشر والميزان وقال لسان الحال

الى ان يعود القارضان كلاهما ويحشر في القتلى كليب ووائل
وسبب الامر الشريف بتعمير المسجد الحرام المنيف ان الرواق الشرقي منه مال
الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤوس خشب السقف التي عن محل
تركيبها في جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباي وجدار
المدرسة الافضلية التي هي الآن من اوقاف المرحوم ابن عبد الله [illegible] في
المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه في الجدار المذكور اكثر
من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد الحرام ميلا ظاهرا بينا وصار
نظار الحرم الشريف يصلون المحل الذي قد فارق خشب سطح الحرم محل تركيبه
في الجدار اما بتبديل خشب السقف باطول منه او نحو ذلك من العلاج واما
الرواق الذي ظهر ميله الى صحن المسجد الحرام فرسموه باخشاب كبار
حفروها في المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقي متماسكا
على الاسلوب في اواخر دولة المرحوم السلطان سليمان وصدر ايام دولة المرحوم
السلطان سليم خان ثم لما فحش ميلان الرواق المذكور عرض ذلك على الابواب العالية
في سنة ٩٧٩ فبرز الامر الشريف السلطاني بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام
جميعه على وجه الاحكام والاتقان وان يجعل عوض السقف قبابا دائرة
باروقة المسجد الحرام لما من الله كل فان خشب السقف كان متاكلا من جانب
طرفيه بطول العهد وكان يحتاج بعض الخشب الى تبديل خشبة بعد اخرى
في كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه وكان سقفان
بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وما بين السقفين مأوى

للحيات والطيور وكان من أحسن الرأي تبديلها بالقباب لتمكنها ودفع مواد
الضرر عنها وقد وصلت أحكام سلطانية إلى نائب مصر يومئذ الوزير سنان
باشا أدام الله تعالى سعادة دولته وإقباله وضاعف عظمته وإجلاله أن يعين
لهذه الخدمة من أمراء الصناجق المقيمين بمصر من يخرج من عهدة هذه
الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها وكثرة اشتغالهم
بأمور دنياهم والتوغل فيما يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة وكان
من جملة الأمراء المحافظين بمصر كتخدا المرحوم اسكندر باشا الجركسي
نائب مصر سابقا فخر الأمراء العظام ذخر الكبراء ذوي الاحترام أحمد بك
بارك الله تعالى فيه وفي ذويه وأناله من خيري الدنيا والآخرة ما يرتجيه وكان
ممن اجتمعت فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه إلى
الله سبحانه وقلة الميل إلى الدنيا وزخارفها والميل إلى الفقراء والضعفاء
والعلماء والتواضع مع حب الناس وحب المعدلة والاستقامة مع
صدق الخدمة وكمال الديانة والأمانة والإقدام وعلو الهمة والاهتمام
فطلب من الوزير المشار إليه هذه الخدمة وأضيف إليه عمل بقية ذيل عين
عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المشرفة فإن السلطنة أمرت ثانيا
لها بذيل مستقل ولا يجري في ذيل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا
للأمير أحمد المذكور وعرض له ذلك إلى الباب العالي فوردت الأحكام الشريفة
له بذلك بحسب ما عرض له وأضيف له إلى هذه الخدمة صنجق تعظيما
لشأنه وتوقيرا لقدره ومكانه وبعد ورود الأحكام السلطانية إليه أخذ

في

في أهبة السفر وتوجه من مصر إلى جدة ثم وصل إلى مكة المشرفة في أواخر سنة ٩٧٦
مهتما غاية الاهتمام فيما أمر به من خدمة المسجد الحرام متوجها إلى ذلك
مقدما عليه بغاية الإقدام سائلا من الله تعالى الإعانة والإمداد التام وكانت
الأوامر السلطانية وردت أن يكون الناظر على هذه الخدمة السلطانية
والمتكلم عليها من جانب السلطنة المنيفة ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم
مدارس سلطان الأنام القاضي حسين الحسيني ففرح بذلك الفرح
التام وشد نطاق حزمه على مناطق عزمه وقام في الله تعالى أحسن قيام
وجعل بين يدي الناظر والأمير أحمد المشار إليه كمال الملايمة والاتفاق
وبذلك يحصل تمام النجح والارتفاق وجرت عادة الله تعالى أن الخير كله في الرفق
والشر جميعه في الشقاق ولم يكن الرفق في شيء إلا زانه ولم يكن الخرق
في شيء إلا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله سبحانه رفق الله تعالى به وأعانه
ووصل لهذا العمل معمار دقيق النظر جليل الأثر تقدم له مباشرة
الأبنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة
أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصنعة ودقة نظره في لوازم البضاعة
اسمه محمد المعمار جاويش الديوان العالي وهو إنسان من أهل الخير عظيم
الأمانة كثير الديانة مستقيم الرأي منور الباطن مشكور السير زاد
الله تعالى توفيقه وأسهل طريقه فاتفق الناظر والأمين والمعمار على الشروع
في هدم ما يجب هدمه إلى أن يوصل إلى الأساس فشرعوا أولا في عمل الذيل
المستقل لإجراء عين عرفات وبناه من جهة المعلاة ثم رتبه من عرض ثم إلى

جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وكمله الى منتهاه وبنى قبة
في الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جدوده بزابيز من النحاس كثير
منها الماء ثم بنى مسبيلا او سبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى
الابطح في قبلي بستان بير خوجه الصير الى المرحومه الخاصكيه ام السلطان
طاب ثراها وبنى مسبيلا اخر وسبيلا ومتوضا في انتهاء سوق المعلاة على
يسار الصاعد وكان ذلك من الاعمال الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك
على الابواب العالية السلطانية فانعمت على الامير المشار اليه بسبعين
الف عثماني ترقيا في علوفته في مقابلة هذه الخدمة ثم شرع في تجديد اروقة
الحرم فبدا فيه بالهدم من جهة باب السلام من منتصف شهر ربيع الاول
سنة ٩٨٠ واخذت المعاول تعمل في راس شرفات المسجد وطيطان سقفه
الى ان انكشف السقف فنزلت اخشابه الى الارض وتجمع في صحن المسجد الشريف
وتنظف الارض من نقض البناء واتربته ويحمل على الدواب ويرمى في اسفل
مكة وفي ناحية جبل الفلق ثم قلع الاساطين الرخام الحامل تنزل ابا اللطف الى
الارض واستمروا في هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب
المعلى الى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد الحرام ثم كشفوا عن الاساس
فوجدوه مختلا فاخرجوا الاساس جميعه وكان جدرا عظيما نازل الى الماء
على هيئة بيوت الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قائمة
كثير تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرعوا اولا في وضع الاساس على
وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام لعشر مضين من جمادى الاولى ٩٨٠

ض

واجتمعت

واجتمعت الاشراف والكبراء والعلماء والقضاة والامراء والفقراء والمشايخ
والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور في هذا الخير العظيم وقريت الفواتح باخلاص
من سويدا القلوب والضمائر وذبحت الابقار والاغنام وتصدق بها على الفقراء
والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتباركت وكان يوما مباركا
مشهودا متيمنا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر
والثناء الحسن التام في المبداء والختام وكانت الاساطين المبنية سابقا على
نسق واحد في جميع الاروقة فظهر لهم ان ذلك الموضع لا يقوى على تركيب
القباب عليه لقلة استحكامه اذ القبة يجب ان يكون لها دعايم اربعة قوية
تحملها من جوانبها الاربع فراوا ان يدخلوا بين اساطين الرخام الابيض دعاما
اخرى تبنى من الحجر الشميسي الاصفر يكون سمكها مقدار سمك اربع اسطوانات
من الرخام ليكون مدعما لها من كل جانب فيقوى على تركيب القباب من فوقها
ويكون لكل صف من اساطين الاروقة الاول الثلاثة في غاية الزينة
والقوة ففي اول ركن من الرواق الاول دعامة مبنية من الحجر الشميسي
ثم اسطوانة رخام ابيض من اساطين الرواق السابق عليها بمقدار اسطوانة
رخام كذلك بينها وبين الذي قبلها وعقد اخر ثم اسطوانة رخام كذلك بينها
وبين الذي قبلها عقد اخر ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الاصفر
الشميسي وعلى هذا المنوال الى اخر هذا الصف من اساطين الرواق ثم
الصف الثاني من الرواق الثاني على هذا المنوال ثم بنيت القباب على تلك الدعائم
والاساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الحرام من جهة باب

عقد

الثالث كذلك على هذا المنوال ثم الصف الثالث من الرواق

السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف بخط مستوي وازالوا ما كان قبل ذلك من
الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة الي الشميس جبل بقرب باب شمس وهو حد
الحرم من جانب جدة به جبلان صغيران تقطع منهما هذه الاحجار وتحمل الي
مكة مسافة ما دون ليلة وكان في ادخال هذه الدعامات الصفر ما بين الاساطين
البيض الرخام حكمة اخرى غير الاستحكام والزينة وهي ان الاساطين الرخام
الباقية في المسجد ما كانت تفي من الجوانب الاربع لان الجانب الغربي منه احترق
اساطينه الرخام وسقفه في ايام الجراكسة في دولة الملك الناصر فرج بن
الظاهر برقوق في سنة ٨٠٢ وارسل من امرائه الامير بيبسق الظاهري الجركسي
فعمر الجانب الذي احترق منه بالحجر الصوان المنحوت كما قد منا ذكره في محله
وصارت الجوانب الثلاث من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب الغربي والجانب
الشمالي علي نسبة واحدة اساطينها من الرخام الابيض والجانب الشرقي اساطينه
جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجانب الاخر
الان وبادخال هذه الدعامات الصفر صارت الاساطين كلها علي نسبة واحدة
وهي الان كلها ثلاث اساطين من الرخام الابيض يكون رابعها دعامة واحدة من
الحجر الاصفر الشميسي في غالب الاروقة من الجوانب الاربع من المسجد الحرام كلها
قايمة علي اقدامها بغاية الاحكام كانها صفوف واقفة بالادب حول حضرة
مسجد البيت الحرام من جهاته الاربع وهي اعلام الارتفاع السابق وارفع
كانها تنشد بلسان حالها بل تقول وتفوق علي ما سواها وتطول
ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول

واستمر امير العمارة الامير احمد المشار اليه شكر الله تعالى سعيه وبارك فيه وله
وعليه في غاية بذل الجهد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد
يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بانواع الافضال ويوصل اليهم اجورهم
كاملة لا يقطع منها مقطعا في احد ولا يضر بحاله ولا ينقص من اجرتهم
شيا بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بماله مع كمال الدقة في الامور
السلطانية والحرص علي حفظها وعدم التبذير منها واما ماله نفسه فهو يوسع
به علي الفقراء ويبذله لهم وللخدام ما اراد ويحسن الي اهل البلاد مع
التواضع وحسن الخلق ولين الكلام وهو امام الناس في جميع المهمات ترتيبا
والمشي في تشييع الجنايز معهم وعيادة المرضي وسلام القدوم واستجلا
رضاهم بحيث يتوهم عظيمة الامارة وصار من جملة الفقراء من الناس
لكثرة تواضعه بحمد الله وتبسم معه في حمده وشكره وافضاله واحسانه
وذكره واكثر تحمله ولطفه ولقد جاء الي منزلي مرارا وانا من احاد
الفقها بل من ادني الفقراء وما فعل ذلك الا محبة في الله تعالى لا لامر يناله
مني فانه اجل قدرا واعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وحسن
خلقه وتلبسه بالاوصاف الحسنة السنية الجميلة وتحققه فلا جرم ان الله
سبحانه وتعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة واتم عمل هذا الخير العظيم
علي يديه فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والاخرة فكم من وزير كبير بل من ملك
عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة الشريفة مع جلالته وعظمته
ويعدها من اكبر سعادته دنياه واخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت

العناية الازلية في حقه واختاره الله سبحانه لذلك من بين عباده واصطفاه
من خلقه وهو هذا الامير الكبير الكريم الصفات فانه رحمه الله بعيد النظير في فعل الخيرات والسداد
في افعاله واقواله وبوفقه للباقيات الصالحات فلما اكمل جانبين من المسجد وهما
الجانب الشرقي والجانب الشمالي وصل خبر انتقال السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله
تعالى وطيب ثراه واحسن في دنياه واخراه مثواه واستمر الامير المشار اليه في عمله
المبرور وفعله المعمور بالخير المغمور مستعينا بالله تعالى ولي الامور **فصل** في وفاة
المرحوم السلطان سليم الثاني وانتقاله الى عالم الاخرة من هذا الملك الفاني **لما** كان
لكل اجل كتاب ولكل نفس انفاس معدودة قدرها الله سبحانه في ام الكتاب ان
لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا ذو جنود ولا اسير ولا مسود
ولا من يخرج من كتم العدم الى فضاء الوجود **وقيل**

هو الموت سلطان البرايا كعاجز لديه وغلاب كمن لم يغالب
ويدع الغني في حكمه فدع غلاته وايوان كسرى من بيوت العناكب

قدر الله سبحانه بالانابة عن كل ما يخالف امره ورضاه وغلب عليه عند قرب توجهه
الى الله سبحانه صلاحه وتقواه وطهره الله سبحانه بمعاناة المرض ونقاه وصيره
نورا روحانيا وجوهرا علويا منيفا وهيكلا شريفا ملكيا يصلح الجناب
قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى الى رحمة ربه الكريم الرحيم
فائزا بالملك الاخروي في جنات النعيم مخاطبا من الحضرات الالهية بلسان الطاف
الرحمانية يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي **وكان** وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر

رمضان

جسده الشريف وصح

رمضان زمان فيض الرحمة والرضوان سنة ٩٨٢ ودفن هيكله الطاهر المنيف
بقرب اياصوفيا في تربة طيبة غراء وروضة نضرة غناء تنوح به ورق
الاطيار وتبكي بها سحب الامطار وتفتح ابواب اكمام الازهار ويلطم صدورها
اوراق البهار انزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف
روضة ناضرة من رياض الجنان **وقيل**

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الرقاب ونائله
اناض عيون الناس حتى كانما عيونهم فيها تفيض انامله
فيا عين سحي لا تشحي بطائل على ملك لا يعرف النهر سائله
فان دفنوا تحت التراب جماله فما دفنت اوصافه وشمائله
سقى قبة حالت عليه ترابه انامل سحب الغمام ووابله

الباب العاشر

الباب العاشر في سلطنة سلطان العصر والزمان
خاقان الوقت والاوان ملك المشرقين والمغربين سلطان الخافقين
خادم الحرمين الشريفين عامر البلدان المنيفين اعظم سلطان خفقت عليه البنود
وتشرفت بمدحه رؤوس المنابر واكرم مليك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد
العساكر واعظم خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت عليه عقود الخناصر

ملك اذا ضاق الزمان باهله نحلا تحلى بالمكارم وانشرح
تكبو السحائب ان تجاري كفه فالغيث من وجناتها عرق رشح
ويكاد الاسد المصون باهله في القفر ان يرعى الغزال الاذلح بعدله

المنصوب له على وجه سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى المرفوع لها فخار

بساط البسيطة لواء الملك الاسنى العظيم الاسنى السلطان الاعظم السلطان
مراد خان بن سليم خان نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصبح عمودا
لازالت اعلام خلافته مرفوعة على اعلام الثريا ولا برحت الوية سلطنته
منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا مولده الشريف في سنة ٩٥٣ وجلس على
تخت الملك في عاشر شهر رمضان المبارك سنة ٩٨٢ وسنه يوم ولي السلطنة
ثلاثون سنة وهو ملك همام واسد ضرغام وهزبر مقدام وبحر خضم
وبحر قمقام ملك تقاسم سيفه ملك الاملاك واقدار على حسب مراده مدار الافلاك
وملأ صيت عظمته ما بين السماك والاسماك وخاطبة الصبح والليل الاسعد
الله صحكر ومساك خداوندكار العالم وسلطان بني آدم وامام المسلمين
والموحدين في اوانه الذي اذا جلس على سرير خلافته فما قدر كسرى في ايوانه
وهو منذ هجر المهد وجفا الرضاع مجبول على كرم الخصال واشرف الطباع
مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغوف الجنان بالسيف والسنان ممدود
الهمة الى معالي الشان معقود الامنية بسمو القدر وعلو المكانة والمكان
لم يزل قائما بنصرة الدين في حماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين
واني انشر في هذه الرسالة سيرة معدلته في الرعايا ومحبته لما طبع
الله سبحانه وتعالى عليه من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرافة بالبرايا
والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب الجزيلة والعطايا وحسن نظره
الى اهل الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقراء والفقهاء والصلحاء بالبلدين
المحترمين المنيفين وامره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة

بالبخت فوق التخت اصبح جالسا ملك به رحم الاله عباده
وبه سرير الملك سر فارخوا جاء الزمان من السرور مراده
٩٨٢

حسنة رائقة باقية في صفحات الايام فائقة على عمارة من قبله من الخلفاء
الكرام وسائر سلاطين الانام وكافة ملوك الاسلام فلقد آتاه الله سبحانه
ما لم يؤت احدا من العالمين وجمع له ما بين سعادة الدنيا والدين وجعله
ملكا كريما وسلطانا رؤوفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما وافق عدد مراد
ربه فلا يتعداه عاملا في امره بتقوى الله مراعيا للعدل والاحسان فيما عاشره

قلت

معاني بني عثمان غير خفية • وكل الى شأو المفاخر سابق
وقد خمد الشمس النجوم بضوءها • تغيب وتبدي الانوار والكل رائق
باسم مراد ينجلي كل مشكل • عويص وتنقاد الجبال الشواهق
ويوهمنا ان آدم لم يمت • حنوا على اولاده منه صادق
ولطف تساوى الخلق فيه فضمهم • كما ضمت الخصر الرقيق المناطق
بقاء ودار في الاسلام عز مؤبد • فدم وابق للاسلام ما ذر شارق

طال ما عمرني وعمر لي باحسانه وهو شاه زاده قبل جلوسه على تخت السلطنة
والسعادة وشملني بلحظه الشريف السلطاني بالحسنى وزيادة واستمر
بعد الجلوس السلطاني يشملني بلطفه واكرامه ويكرمني ببحر بنانه
وانعامه فرقى ما يبدو من المكرمات السليمانية مكررا جده المرحوم المغفور له بالرحمة
الرحمانية وانعم على اولادي بالتدريس واولاهم بكل كرم واحسان لطيف اللطف فقلت

فلو ان لي في كل منبت شعرة • لسانا يبث الشكر كنت مقصرا
وما بيدي الا الدعاء بنصحه • فيملك قسرا ملك كسرى وقيصرا

واني الضرعه انا واولادي واحفادي في بلد الله الحرام المنيف بالدعاء بطول

عمره الشريف وظهور ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام
دولة خلافته الزاهرة الباهرة واخلد ذكره الشريف في صدور الدفاتر والكتب
وانشر طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب **وقلت**

والي وان اعطيت في القول صولة ... وطاوعني هذا الكلام المحبر
لاعلم اني في الثناء مقصر ... وان الذي اولاه اوفي واوفر
فاي جميل من عطاياه ينتهي ... وفي كل حين فضله يتكرر
ولكنني مادمت حيا لشاكر ... وليشكره بعدي كتابي المسطر

فصل ومن اعظم سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ابد الله سبحانه
سعادته وشيد واكد اركان ملكه السعيد وخلد مقارنة هذا الوزير الاعظم
الاكرم الافخم ظهر السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية
الخاقانية مدبر الامور برايه المصيب الثاقب ومهد مصالح الجمهور بفكره
الدقيق الصائب اعظم وزراء السلاطين العظام واكبر الصدور الكبراء الفخام
في دواوين اعاظم ملوك الاسلام محمد باشا المشار اليه حضرته العلية سنين
في وزارة والده هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله تعالى صدارته بسعادته
وجده وادام سيادته في ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وشمله بسعده
فاول خدمة هذا الوزير حين التوسير حين ابطل السلطان الاعظم روح هذا
العالم على السرير وقام باعباء هذا الامر الخطير ودبر ذلك برايه السديد
احسن تدبير واعانه على ذلك الملك القدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير
والله على كل شيء قدير فاقبلت السلطنة اليه ان ضاق بها الساع وعظم في

عيني

وجاه

عيني الدولة الشريفة وقلوب اركان السلطنة الشريفة بعقود منته السامية المنيفة
فكانت كالاطواق في الاعناق والنوم في الاحداق بحيث لم يبق من اركان الديوان
وزعماء الجيوش والامراء ومن له التكلم بين الاعيان الا امر بضرب سهم وافر من
عطائه ولم يخدعه الان زمن انعام وجاه واحسن الى السادة والمشائخ والعلماء
الموالي وسائر العظماء والاهالي والى اهل الحرمين الشريفين في جوار البلدين
المنيفين واكثر فيهما الصدقات واجرى فيهما العادات من اجراء العيون
وحفر الابار والانهر وبناء دار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الاعمال
الصالحات مستجلبا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خواطر الاتقياء
والاصفياء بدوام دولة هذا السلطان الاعظم وقوام سلطنته على العالم
فهم مواظبون على وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان هذا الربع المسكون
وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون زين الله تعالى اعماله الصالحات
بحسن القبول وكسى ديباج وجهه قبولا ما دام الفرقدان واضاء النيران

فصل ومن سعادة هذا السلطان الاعظم خلد الله تعالى سلطنته القاهرة
على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخوجا المعظم الاسعد الاكرم الاعلم
الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن على من
كان في فن العلوم ماهرا سابقا ان نظم اتى بعقود الجواهر من بحر الجود وان
نثر نثر الزهر المنثور في الروض الممطور بعبارة فائقة العبارة البارعة في
الالسن الثلاثة وفصاحة بارعة حازها كسبا ووراثة طالما بهر الناقد
البصير بحسن التقرير ولطف التحرير واتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية

ابجا و صح

كل ما هو خير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض القدير ويفيض بالقوة
القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانس وانه كتب
الخط الحسن وما بلغ خط عذاره الانضير وتميز في الكمالات على مشايخه فضلا
عن اقرانه في عصر شبابه الازهر باحث العلماء في دقايق العلوم ورجح
عليهم في تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على
وجنات الطروس ببنان اقلامه فسلب العقول والالباب واتى بالتصانيف
الفايقة في كل باب واتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين التدين
وثاني سعد الدين مكنه الله تعالى في السعد المكين ومنحه لعلا رتب السعادة
والفضل والتمكين ولقد اسعده الله تعالى واكرمه غاية التكريم فساقه
الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذي الطبع السليم والخلق الكريم وهو شاه زاده
فاقبل عليه بكماله بل بلغ غاية الاقبال فانطبع في مرايا قوته الداركة الصقيل
نقوش صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه مزايا الفواضل
والفضايل والافضال فلما ولي السلطنة العظمى عرف له خصوصيته السابقة
ورفع مرتبته السنية الفايقة واعلى مكانته ومكانه واعز قدره وعظم
شانه فانثالت العلماء والموالي العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان
عمدوا الى جنابه واحسن الى بابه كما احسن اليه وكتب اليهم مزيد المحبة والالتفات
اليهم عطفه العائد والاقبال عليه فهو بالخير الجميل معروف ومذكور وبوفور
التلطف والتكرم معروف ومشهور طالما شملني باحسانه الكثير الوافر وعضدني
بلطفه وجميله المتكاثر واخذ بيدي اخذ الله تعالى بيده وادام فضله الباهر ولطفه المتوقد

غاية

غاية الاحسان الحسن وتفضل بانواع التفضل علي وشملني بفضله والاء
وذوي نظر الله سبحانه اليه بعين عنايته وحق الطافه البهية واجرى عوايد الكرم
والاحسان على يديه واسعد في ظل هذا السلطان الاسعد وظل سلطنته
العظمى وابد خلافته الكبرى وابد

وهذا الدعاء للبرية نافع ... وحسن رجاء للسعادة جامع
وقد حفه حسن القبول لانه ... عليه شعاع الصدق والله سامع

فصل ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله سبحانه بشموس معدلته
ومرحمته علماء العالم وكثر احسانه على العلماء والفضلاء والاولياء الكرام
والفضلاء الفخام تحت حمايته فمنهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله
واعترفت بعد مشاهدته برفعته ودرجته في العلم وفضله ونبله
واغترفت من بحر فوائده وتقلدت بغرر فرائده ومنهم من كاتبني بفضله
وكاتبته لفضله وتحققت بغزارة فضله ووفور علمه وعقله ومنهم من
احطت علما بكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوصلتهم في الرتبة
العليا من الفضل والكمال فايقين علماء الدين في هذا العصر على كل حال
فاني اسمع اقوال علماء كل اقليم واسئل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في
التعلم والتعليم واوكد الفحص عن احوالهم وتصانيفهم وفوايدهم وفضايلهم
وتاليفهم واستجلب ما يمكن جلبه واطلب منهم ذلك اذا امكن طلبه وانشر
ذلك بين العلماء في كل بلاد وابذله لطلبة العلم الشريف في اهل القابلية
والاستعداد وهذا دابي من منذ نيطت عني التمايم وانيطت بمفارقي

م
بدرر

عقود الجماجم مع كثرة الزائرين الى بيت الله تعالى الحرام والوافدين من اقطار الشاسعة
لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بملاقاتهم والتيمن ببركاتهم والسؤال
عن فضائل فضلائهم وكملائهم فكنت اكثر الناس خبرة باحوال العلماء ودرجاتهم
فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم الفائقين في هذا العصر في تلك العلوم
ونظرهم فيها ادق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله تعالى جمالا وكمالا وفضلا
باهرا وافضالا وكل ذلك بتشريف التفات هذا السلطان خليفة الله الاعظم
على كافة الامم جمل الله تعالى به وجوه الانام وكمال تعظيمه لطوائف العلماء
الكرام واكابر فضلاء الموالي العظام فترقوا في ايام سعادته في حصول المناصب
العالية الفخام واحرزوا قصب السبق في ميادين المراتب السامية في ظله الظليل
المستدام ادام الله سبحانه لهم ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام واما من
المشايخ والاولياء والاصفياء والصلحاء نفعنا الله تعالى ببركاتهم وادخلنا في بركة
محبتهم في عداد خدام عتباتهم فمن شأنهم عدم الظهور لعين الناس الا نادرا
واما ارباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كاهل الزوايا واصحاب النفع
والتكايا فكثيرون ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفع بهم ويجب على كل احد ان
يعتقد فيهم ولا ينكر على احد منهم ولو شاهد منهم ما ينكر بل يحمل نفسه على قصور
الفهم فكم فيهم ملامتي يقصد ان ينكر عليه ويخفي حاله عن الناس فحمل حاله على
الصلاح اسلم واجمل وقد ذكر الشيخ محيي الدين في اوائل فتوحاته المكية
ان من اعظم سعادة الانسان ان يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كاذبا
فنسأل الله تعالى ان يسعدنا بالاعتقاد في اهل الله واوليائه حيث كانوا ويدخلنا

في زمنهم

في زمرتهم ويبعدنا عن المنكرين عليهم **فصل** ومن اعظم تأثيراته الجميلة
الكرام واكرم اثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام وقد تقدم ان
والده السلطان الاعظم المندرج الى رحمة الله تعالى الكريم الاكرم شرع في تعميره
على الوجه الذي تقدم واتم منه الجانب الشرقي والجانب الشامي الى ان انتهت
العمارة الى باب العمرة فما عمر الى ان تتم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله
السعيد الاسعد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم
الاكرم خلد الله تعالى ملكه الاقوم وافاض على العالمين عدله الاعظم وطالع
نجمه الشريف وعمهم بسوابغ الفضل والنعم فبرز امره الشريف للامير المعمار
المشار اليه سابقا احمد بك ان يبذل جهده وجهده في اتمام بناء المسجد الحرام
ويشرع في اتمام عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه
الى بذل الجهد والاجتهاد وتوجه بكليته لاتمام هذه العمارة في حيز البلاد
فاعانه الله سبحانه على اتمامها وامر بذلك سير خدامه الى ان تم بناء الجانبين
الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرافاته وابوابه ودرجاته
في سائر المسجد الحرام وذلك في ايام دولة هذا السلطان الاعظم خلد
الله تعالى ملكه الاقوم وابد سلطانه الافخم وافاض عليه سوابغ الفضل
والكرم فتم ولله الحمد بسعد طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الحميد
بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في اواخر سنة ٩٨٤
وصار المسجد الحرام نزهة الناظرين وبغية الخاطر وجلاء النواظر وصفاء
القلوب والخواطر بحيث صار ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده

أن يذكر ويوصف لان هذا البناء أمكن وأزين وأعلا وأشرف فكان الاركان ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الأجياد
وقباب سامية كقباب الأفلاك الشداد وشرفات شريفة مشرفة على
الوهاد والمهاد بل أعلا وأشرف وأجل وألطف وأرفع وأتحف مبني ذلك
بالرخام الأبيض المرمر والحجر الشميسي المنحوت الأصفر كأنه سبايك الذهب
أو سبك العسجد والجوهر مكتوب على الأبواب وصدور الأروقة آيات الكتاب
والاسم السامي السلطاني المستطاب بماء الذهب مكتتب بخط كسلاسل
الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة واسم السلطان بالكتابة
المنسوبة الفائقة الجليلة وأخترعوا الفضلاء لذلك تواريخ عديدة
بكل لسان واخترت أخصرها لأنه خير مساجد الله ثم رأيت بعض الفضلاء
جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا لطيفا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن
سبكه واستيفاء المعنى فيه **وهو**

جدد المسجد الحرام مراد ... دام سلطانه وطال أوانه

ثم رأيت تاريخا نثرا جعله مولانا شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة
المنورة سابقا **وهو هذا** باسمه سبحانه نبتدي انما يعمر مساجد الله من آمن
بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين شرع في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله
سبحانه من خلقه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور الشهيد
سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المتقي بفضل الله تعالى

ظلال

ظلال دار النعيم حضرة الملك الأعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح
بروايح الجنان روحه وأتم بناه وأكمله وأتقنه وحسنه وجمله وارث
الملك الأعظم الامام الأفخم والخليفة الأكبر الأعظم المعظم والملك الذي هو العزم ممن
ملكه الله تعالى شرق البلاد وغربها وجعل طوع يديه عجم الرعايا وعربها
وأطلعه الله تعالى سر الجامعين في المشارق والمغارب وملكا مرفوع المقام على
هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا حصينا محيطا وجعل ظله الممدود على
كافة الأنام بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته
طوايف الكفر والعدى وجمع له ما بين البر والبحر فصار ملكه الشريف
بعون الله سبحانه وتعالى مظهر لطف الله تعالى على كافة العباد ورحمته الشاملة
لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة خواقين آل عثمان السلطان
ابن السلطان مراد خان لا زال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا برح الاسلام
في أيام سلطنته قويا ظاهرا أيده الله تعالى بقوة ونصره وشد بملائكته الكرام
له أزرا **تاريخ** اتمامه قد جاء آ ظل الله من أتمه عمرا **ثم** ورد من الباب العالي
تاريخ منظوم نظمه در البحور وغرر النحور ونثر كالدر المنثور والزهر
المنثور بخطبة وتعريفات السلطان الأعظم في آخره ثلاث أبيات بالعربي لا أعرف
من الذي أبدعه واخترعه وأنشاه ونظمه ورصعه وورد معه حكم
سلطاني يتضمن الأمر بكتابته على بعض أبواب المسجد فامتثل الأمر الشريف
وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على طراز باب العباس الجياد على يمين الله أعني
في الجانب الشرقي من المسجد الحرام ونقر له في الحجر الأصفر الشميسي وطلي عليه

لا الاعلم

الذهب في ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك النقر في الحجر على صفحات
الليالي والايام **وهو هذا** الحمد لله الذي اسس بنيان الدين المتين بنبي
الرحمة والارشاد وخصه بمزيد الفضل والكرامة والاسعاد وجعل حرم
مكة المشرفة مطافاً لطواف الطائفين الحاجين من اقاصي الممالك والبلاد
صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتمد
باحكام الشريعة وتشييد اركانها على الوجه المراد المذخور من الاجر
المستزيد من آلاء المعاطف الممدود على مفرق العبد السلطان ابن السلطان
السلطان مراد جعل الله سبحانه الخلافة فيه وفي عقبه الى يوم التناد لتجديد
معالم المسجد الحرام وحرمه الذي سواء فيه العاكف والباد لا زال للحرم الشريف
خادما ولاساس الجور والعتو هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل با
العزيز المبجل وعمر من حوله ما تضعضع من اركانه بعدما كاد تنقض جوانبه الى
جدرانه فجدد بنيان حرم بيت الله العتيق وسوره باكمل زينة واجمل صورة
بعدما ابلاه الزمان واكل عيدان سقفه الاكلة والديدان ورفع القباب
موضع السطوح المبنية بالاخشاب وابتهج بهذه الحسنة الكبرى كل
شيخ وشاب ودعوا له بالشرف الباهر والمجد الفاخر بالذي قوله تعالى انما
يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر قائلين اللهم ادمه في سرير الخلافة
محفوظا محروسا تحفظه من كل آفة وظافرا على من يريد خلافه مشيد
المساجد والمدارس مجددا لكل ما انهدم منها ودرس واجعل ابوابه حرما امنا
وجنابه للمحتاجين كفيلا ضامنا يأتون اليه من كل فج عميق بحرمة البيت العتيق

المجديات

تقبل

تقبل الله معطي السؤل بجاه الرسول هذا الدعاء الحري بالقبول اقتران
بنيانه على تقوى من الله ورضوان كما شيد الاركان حاكيا روضات الجنان
وصار هذا عنوان ظرافته وبراعة استهلال منشور سعادته في
اوايل سنة ٩٨٤ وكان الابتداء لذلك التجديد بامر والد الممدوح الراجع
الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان
بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن السلطان محمد بن السلطان
يلدرم بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان اورخان بن السلطان عثمان
مكنهم الله تعالى على سرير السلطنة في دار الجنان وابد خلفهم في مسند
الخلافة الى انقضاء الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من شهر ربيع
الاول سنة ٩٨٠ فلما سلم السلطان سليم وديعته باحسن تسليم وانتقل من
دار الغرور الى ما هيأ الله تعالى له في الجنان من القصور قبل اتمام ما رام
من تجديد المسجد الحرام واجلس الله سبحانه على سرير الخلافة نجله النجيب [illegible]
وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله سبحانه له الاتمام بطالعة اقباله في
الليالي والايام وانام الانام في مهد عدله الى قيام الساعة وساعة التقية
ونظم راقم هذه الاوراق تاريخا يليق ان يكتب في المقام **وهو هذا**

جدد السلطان مراد بن سليم ... مسجد البيت العتيق المحترم
سر منه المسلمون كلهم ... دام منصور اللواء والعلم
قال روح القدس في تاريخه ... عمر السلطان مراد الحرم

فصل ومن جملة تعمير المسجد الحرام حفر خارج المسجد من الجانب الجنوبي الذي
هو مجرى السيل الآن فإن الأرض علت وامتلأ السيل كله إلى أسفل مكة
بالتراب الآن ولم يبق للدخول إلى المسجد من الأبواب التي من تلك الجهة إلا
نحو ثلاث درجات بعد أن كانت خمسة عشر درجة يصعد فيها إلى أن يدخل
من الباب إلى المسجد وكان هذا السيل يقطع ويحمل ترابه إلى خارج البلد
جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة فغفل عن قطعه نحو ثلاثين عاما
فعلت الأرض فجاءت سيول طافحة ليلة الأربعاء عاشر جمادى الأولى
سنة ٩٨٣ فدخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء
إلى حول الكعبة الشريفة وعلا إلى أن غطى الحجر الأسود وجدار الحجر الشريف
ووصل الماء والطين إلى عتبة الكعبة وعلا إلى أن قرب من قفل الباب
ووقف الماء في الحرم يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فيه وتعطلت
الجماعة بعدة أوقات فبادر شيخ الإسلام ناظر الحرم الشريف والأمير محمد بك
أمير العمارة وأمرا الخدام بهما وعبيدهما ومن المتعلقين بهما وكذلك خدام
الحرم والمشدين والفقراء والأعيان والتجار وحفروا طريقا للماء من أسفل
مكة ثم نظف وغسل داخل المسجد الحرام والبيت الشريف ومقام الحنفي ثم أخرج
الأوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين أكواما في المسجد ثم أخرج ثم فرش
المسجد بالحصا الجديد وتعب في ذلك الأمير أحمد بك وصرف من ماله في ذلك
مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع السيل وهبط أرضه إلى أسفل عشر درجات
أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد إلى آخر المسفلة وهي ممر سيل العالي

مكة

بسرعة

مكة فصار السيل إذا سال أدرج لسرعته ولم يعل إلى مكة ولا الدخول
إلى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة من الجانب الشمالي
وهو ممر سيل قعيقعان وحواليه ويجري إلى باب الزيادة فلم يصعد
إلى أبواب المسجد الحرام بل يدخل سردابا واسعا يسمى العتبة ويجري فيه
إلى أن يخرج من قرب باب إبراهيم فيسيل إلى أسفل مكة مع سيل الكثير
وصان الله تعالى المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك
تسيل ولا تصل إلى باب المسجد الحرام ولم تقرب منه وهذا رأي
سديد وعمل مهم يصان به المسجد الحرام عن دخول السيل إليه
غير أنه يحتاج إلى أن يتفقد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع
ما علا من الأرض قبل أن يعلو كثيرا فيحتاج إلى قطع كثير ومصرف
زائد وهو لازم على ولي الأمر سلطان الإسلام والمسلمين نصره الله تعالى
وشيد به قواعد الدين أن يعين لذلك قانونا فيقطع هذا المسيل
في كل عامين مرة من غير أن يحتاج إلى تجديد أمر جديد كل مرة فيستمر
السيل منهبطا دائما ليجاز السيل منه صونا للمسجد الحرام عن دخول السيل
إليه من كل سيل يأتي ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين دائما
ويسطر ثواب ذلك في صحائف هذا السلطان الأعظم وكانت اليد
البيضاء في هذه المرة من أداء هذه الخدمة للأمير أحمد بك المشار إليه
أنعم الله تعالى عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير على يديه وبلغه عنده
المرتبة العظمى والمثوبات الكبرى فصل وأخبرني الأمير المشار إليه

أحسن الله تعالى إليه أن الذي أصرفه في عمارة المسجد الحرام هدماً وبناءً وقطع
أرض المسيل من جهة الجنوب إلى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة إلى
آخر سور دار العتبة من خاصة أموال السلطنة مائة ألف دينار
ذهباً وعشرة آلاف سلطانياً وذلك غير ثمن الأخشاب المجهزة من مصر إلى
مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحي والمجارف
والمسامير الحديد المحدد رأسه بطول الرواقين وبين الأسطوانتين تحت
كل عقد لئلا يجلس عليه الحمام وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد
لتحديد رأسه وتواصله تمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة القبب
التي عملت في مصر من النحاس وطليت بالذهب وجهزت إلى الحرم فركبت على
القبب ففصل رائع منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف وقوف بالاس
من الذهب بغاية السكون والأدب حول بيت الله الحرام وأثمان ذلك جميعه
خارج عن القدر المذكور المصروف في العمارة وكان عمل أهلة قباب
المسجد الحرام بمصر بأمر نائب مصر الآن نائب السلطنة في هذا الزمان
أمير الأمراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي البلاد والعباد نعم الله
سمي روح الله المسيح والأسماء تنزل من السماء زاد الله تعالى شأنه عظماً وأنعش
بإحسانه عظام العلماء العظماء والسادات الأجلاء الكرماء وأفاض على أهل
الحرمين الشريفين من فيض كرمه الفياض ما يفيض على القياس وبذر
بسحائب معدلته ورحمته بذور محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه
على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الأسوى وأفاض عليه جلائل نعمه

الباطنة والظاهرة وجمع له ما بين سعادة الدنيا والآخرة

فصل ولما كان هو المسيح أحيا موات مصر وعمر ما فيها من الخراب وأبرأ جميع ما بها
وبأهلها من الأمراض والأوصاب وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما
أحيى الموتى روح الله تعالى المسيح وجهز إليهم الصدقات المبرورة السلطانية
المرادية كما سرح إليهم أحسن تسريح فهم داعون بدوام معدلته
وخلود ملك السلطان الأعظم المحسن الجزيل الإحسان أدام الله تعالى
سيادته ورقاه وحفظه ورعاه وحماه من الأسواء ووقاه ثم

فصل في ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمه وتجديدها على ما كانت
عليه قبل هذه العمارة ثم ذكرها على ما صارت عليه الآن اعلم أن
جملة عدد أساطين المسجد الحرام قبل هدمه وتجديدها وجوانبه
الأربع غير الزيادتين أربعمائة أسطوانة فيكون جملة أساطين الجوانب
الأربعة من المسجد الحرام وأساطين أبوابه الشريفة أربعمائة أسطوانة وست
وتسعين أسطوانة بتقديم التاء على السين غير ما كانت من أساطين
الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثمان وثمانون أسطوانة كلها رخام
مخروط ما عدا أسطوانة واحدة في الصف الأوسط عند باب علي فهي
من الآجر مبنية بالنورة مبيضة بالجص وكان في الجانب الشمالي ويقال
له الشامي مائة أسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا
أربع عشرة أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلي باب العجلة وباب
السدرة فإنها حجارة منحوتة وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني

مائة واربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة
في مؤخر هذا الرواق عند ابواب ام هاني رضي الله عنها كانت حجارة منحوتة
وكان في الجانب الغربي سبعة وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة
قطع دون الذراع مثبتة في شكل كل دائرة مركبة كل اثنين منها ابتداء
الى ان يطول في شكل اسطوانة الرخام مسبوك بينهما بالرصاص في داخل
وباطنها عمود حديد بطول الاسطوانة مثبت وكانه في وسط الحجر مسبوك
عليه بالرخام عمل ذلك في ايام الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق
لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في اخر شوال سنة ٨٠٢ كما
تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما ادركناه من الاساطين الرخام
ثلثمائة واربعين اسطوانة وجميع ما فيه من الاساطين غير الرخام ١٢٦
اسطوانة واما اساطين زيادة دار الندوة فقد ادركناها ستا وستين
اسطوانة من جوانبها الاربع كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مبنية
بالجص الابيض من ظاهرها ينكشف عنها الجص فيظهر الحجر الغشيم منها
في الجانب الشرقي اثنى عشر اسطوانة وفي الجانب الشمالي عشرون وفي
الجانب الغربي احدى عشرة وفي الجانب الجنوبي ثلاث وعشرون اسطوانة
فصل وفي ايام دولة المرحوم المغفور السعيد الشهيد السلطان
سليمان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان امر اميرا من امرائه
هو الامير خشكلدي في سنة ٩٤٧ وما بعدها ان يهدم قبة الحنفي
الذي كان بناه مصلح الدين الامير في ابتداء الفتح العثماني لممالك العرب

وان

وان يبني مكانه مربعا على وضعه الى الان هذا فجاء في فكره ان
يجعل في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد واخشابه
والاته وان يجعل الى جانبه حاصلا اخر يوضع فيه زيت قناديل
الحرم الشريف وشمعه وقناديله وظروف زيته ومسارجه فعمد الى هذه
الزيادة وجعل الجانب الشرقي فيه حاصلين حجر وبنى عليهما وجعل
لهما بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى ايام دولة هذا السلطان
الاعظم عمر الله تعالى الوجود بوجوده وافاض على اهل العلم بظل سلطنته
العادلة سحايب العدل والاحسان والجود فعيد ذلك المحل للمسجد من
المسجد الحرام كما كان واما زيادة باب ابرهيم فقد كان فيها في الرواق
سبعة عشر اسطوانة من الحجر المنحوت صغيرة متصلة في الرواق القبلي
الذي يلي المسجد في ثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين
المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزي على يسار المستقبل
وفي الجانب الشمالي سبعة اساطين وفي الجانب الجنوبي ستة اساطين احدها
لاصقة بالمنارة التي كانت لهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه
الزيادة اساطين فصل ثم في ايام السلطان قانصوه الغوري
ارسل اميرا من امرائه الخضير بك المعمار لتعمير زيادة باب ابرهيم في حدود
سنة ٩١٧ فبنى على باب ابرهيم قصرا مرتفعا مع مرافقه وجعل تحت
القصر من خارج المسجد مخازن ومكامن وبنى خارج ذلك ميضاة تملأ
على من احضر وبركة ماء ووقف ذلك جميعه على جهة تخير وبنى من داخل باب

ها

ابرهيم علي يمين الداخل منه وقرر فيه بعض المستحقين وجعل في الجانب
اليماني من هذه الزيادة حاصلا يشتمل علي سبيل ماء صهريجا كبيرا يمتلي من
ماء المطر من سطح المسجد الحرام وابقي الجانب القبلي والجانب الشامي علي حالهما
وفرغ الامير خيربك المعمار من ذلك في حدود سنة ٩٢٠ واما عدد شرافات
المسجد الحرام من داخله فكانت اربعماية شرافة وسبعة ونصف شرافة
واما الشرافات التي كانت علي جدر المسجد الحرام من خارج فهي اثنان وخمسون
شرافة متفرقة علي ابواب المسجد الحرام وما يليه دورا ورباطا ومدارس
متصلة بجدر المسجد وليس فيه شرافات **فصل** وكان في زيادة
دار الندوة من جوانبه الاربع التي بباطنه ٣٧ والاشرافة للجهة ٧٢
الخارجة لاحاطة الدور به وكانت في زيادة باب ابرهيم مما يلي باطنه
في ثلاث جهات منه وهي القبلي واليماني والشامي بضع واربعون شرافة
فصل واما ابواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا كانت تفتح علي ٣٨
طاقا وهي باقية علي حالها ما عدا باب واحد في زيادة دار الندوة وكان
تفتح علي طاقين فردهما الامير قاسم امير بناء المدارس السلطانية
طاقا واحدا كما وصل علي ثلاث طاقات فصار عدد طاقات ابواب المسجد الحرام
الآن ٣٩ طاقا في كل طاق درفتين وسياتي تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات
الموجودة في عصرنا هذا والذي اشتمل عليه المسجد الآن من الاساطين الرخام
والاساطين الصغر الشميسي والقباب والطواجين والمصلبات في شرافات
المسجد الحرام فهي ما نذكره اما الاسطوانات الرخام فعددها ٣١١

اسطوانة

لله
اسطوانة ففي جهة شرقي المسجد وهو ما يلي باب البيت الشريف ٢٢ اسطوانة ٦٣
رخام وفي الجهة الشامية ويقال له الجانب الشمالي وهو ما يلي الحجر
الشريف ٨١ اسطوانة رخام وفي الجهة الغربية ٣ اسطوانات ٢٤ ٦
اسطوانة من ذلك وهو ما يلي المستجاب الشريف من الحجر الصوان
والباقي من الرخام وفي الجهة الجنوبية وهو ما يلي الركنين ٨٢
اسطوانة منها احد عشر من الحجر الصوان والباقي من الرخام وفي زيادة
دار الندوة ١١ اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفي زيادة باب
ابرهيم ست اسطوانات من الرخام واما الاسطوانات الشميسي الصغر
فجملتها ٢٤٤ اسطوانة فهي عبارة عن شكل مثمن او مسدس او مربع
علي حسب ما اقتضاه المكان وبني في طول الاسطوانة العلي مقدار
الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاها من الحجر الشميسي المنحوت فمن
ذلك في جهة شرقي المسجد الحرام ثلاثون اسطوانة ومن الجهة الشامية ٤٤
اسطوانة وفي الجهة الغربية ٢٤ اسطوانة وفي الجهة الجنوبية ٧٦
اسطوانة واربع في اركان المسجد الحرام وفي زيادة دار الندوة ٣٦ وفي
زيادة باب ابرهيم ١٧ واما القباب فعددها ١٥٢ قبة فمن ذلك في
شرقي المسجد الحرام ٢٤ قبة وفي الجانب الشامي ٣٦ قبة وفي الجانب الغربي
٢٤ قبة وفي الجنوبي ٣٦ قبة وواحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة
الحزورة وفي زيادة دار الندوة ١٦ قبة وفي زيادة باب ابرهيم ١٥ قبة
فصل واما الطواجين فجملتها ٢٣٢ طاجنا ففي الجانب الشرقي

٣٨ طاجناً وفي الجانب الشامي ٥٩ طاجناً وفي الجانب الغربي ٣٤ طاجناً
وفي الجانب الغربي ٣٤ طاجناً وفي الجانب الجنوبي ٤٦ طاجناً واثنان
تحت مأذنة باب السلام والمصلى في ركن المسجد الحرام من جهة العمرة وفي زيادة
دار الندوة ٤٢ طاجناً فصل وأما المصلى فجملتها ٥٦ مصلى
ففي جهة شرقي المسجد الحرام مقابل باب السلام ٣ وفي جهة شامية ٢٢
وفي جهة غربية ١٦ وفي جهة جنوبية ١٥ فصل وأما الشرافات
فجملتها ١٠٣٨ فمن ذلك من شرقي المسجد الحرام ١٦٣ شرافة فمن الرخام
٢٧ في وسطهن واحدة طويلة ومن الحجر الشميسي ١٣٠ ومن جهة
شامية ٤١٣ فمن الرخام ٧٨ شرافة منها ثلاثة طوال من الرخام والباقي
من الحجر الشميسي ومن جهة غربية ٢٠٤ فمن الرخام ٢٢ في وسطهن
واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي ومن جهة جنوبية ٣٣٥
فمن الرخام ٧٠ في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي
زيادة دار الندوة ١٩١ من الحجر الشميسي وفي زيادة باب ابراهيم ٤٤ من
الحجر الشميسي لا غير فصل وأما أبواب المسجد الآن فعدتها ١٩ باباً
تفتح على ٣٩ طاقاً في كل طاق فردتان فيهما خوخة تفتح فمنها بالجانب
الشرقي أربعة أبواب الأول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وفيه
ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شيء لكونه عامر محكم البناء
وفي الفردة اليمنى من الطاق خوخة تغلق الفردتان وتفتح الخوخة
ليلاً لمن يدخل المسجد الحرام أو يخرج منه وترد الخوخة كما كانت وهكذا جميع

الخوخات

الخوخات الباب الثاني طاقان ويعرف بباب الجنائز وبباب النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يجدد في هذا الباب غير الشرافات التي عليه وعدتها ٢٤ شرافة
الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس مقابلة دار زمزم ويعرف
بباب الجنائز أيضاً الرابع ثلاث طاقات ويعرف بباب علي رض وبباب
بني هاشم وقد جدد هذا الباب والذي قبله على أحسن وضع وعدة ما عليه
من الشرافات ١٠ شرافة وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب الأول طاقان
ويقال له باب بازان لأن عين مكة المشرفة المعروفة ببازان قريبة منه
وقد جدد هذا الباب بأسلوب حسن وعدة ما عليه من الشرافات ١٦
شرافة الثاني طاقان ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وقد
جدد هذا الباب ولم يعمل عليه شيء من الشرافات الثالث باب الصفا
لأنه يليه ويعرف أيضاً بباب بني مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا
الباب تجديداً حسناً وعدة شرافاته ٢٩ الرابع ٣ طاقات ويعرف
بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدة شرافاته ١٩ الخامس طاقتان
ويعرف بالمجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب أيضاً
وعدة شرافاته عشرون السادس طاقتان أيضاً ويعرف بباب مدرسة
الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد هذا الباب أيضاً وعدة شرافاته
عشرون السابع طاقان أيضاً ويعرف بباب أم هانئ وقد جدد أيضاً
ببناء حسن لطيف وأسلوب ظريف وعدة شرافاته ١٣ شرافة وبالجانب
الغربي ثلاثة أبواب الأول طاقان ويعرف بباب الحزورة ولم يجدد في هذا

بشيء اصلاً لعمارته الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد
هذا الباب ايضاً لعمارته قصره لان قصر السلطان الغوري مبني عليه
الثالث طاق واحد ايضاً ويعرف بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يخرجون
ويدخلون منه في الغالب وكان يسمى قديماً باب بني سهم وقد جدد
هذا الباب وعدد شرافاته ثماني عشر شرافة وبالجانب الشامي خمسة
ابواب الاول طاق واحد ويعرف بباب السدرة ويقال له قديماً باب عمرو
ابن العاص رضي الله عنه وقد جدد هذا الباب ايضاً وعدد شرافاته ست الثاني
طاق واحد ويعرف بباب العجلة وبباب الباسطية لاتصاله بمدرسة
عبد الباسط المتقدم ذكره ايضاً وقد جدد هذا الباب وعدد شرافاته
سبع الثالث طاق واحد يعرف بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي
ولم يجدد هذا الباب الرابع ثلاث طاقات بالزيادة المذكورة بجانبها
الشامي وقد كان هذا الباب قديماً طاقين الى ان امر الامير قاسم بك ببناء
المدرسة السلطانية ففتح طاق ثالثاً ثم هدمت الطاقات الثلاث عند
بناء المسجد الحرام واعيدت كما كانت وعدد شرافاته ٢٢ شرافة الخامس
طاق واحد ويعرف بباب المدرسة بالقرب من مدرسة منارة باب السلام
وقد جدد هذا الباب الامير قاسم المذكور بيك عند بنائه للمدارس السليمانية
فصل واما منائر المسجد الحرام فهي الآن ست منائر يؤذن عليها
في الاوقات الخمس اولها منارة باب العمرة عمرها ابو جعفر المنصور ثاني
خلفاء بني العباس وعمرها بعده وزير صاحب الموصل الوزير محمد بن

الجواد بن علي بن ابي المنصور الاصفهاني في سنة ٥٥١ وكان رئيس المؤذنين
يؤذن بها في زمن الفاكهي ويتبعه سائر المؤذنين وهو الآن يؤذن الاوقات
الخمس على قبة زمزم ويتبعه المؤذنون الا في ليالي شهر رمضان في التسحير
فان رئيس المؤذنين يسحر فيها على منارة باب السلام ويتبعه المؤذنون
في التسحير واحداً بعد واحد وكذلك في التمجيد والترحيم والتوديع والتذكير ونحو ذلك
وقد ادركنا هذه المأذنة وهي عتيقة البناء فامر بتجديدها المرحوم
السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فهدمت الى الارض وبنيت
بالحجر والعقد كما كانت بدور واحد في علوها الا انهم غيروا راسها على
اسلوب منائر الروم يعلق عليها في راسها ثلاث قناديل في ثلاث اعواد
مغروزة في قبة صغيرة على راس المأذنة وكان ذلك في سنة ٩٣١ وثانيها
منارة باب السلام عمرها المهدي بن المنصور العباسي الذي وسع المسجد
الحرام في سنة ١٦٨ وهي بدورين ثم تهدمت في زمن الملك الناصر فرج بن الملك
الظاهر برقوق في سنة ٨١٥ وهي باقية الى الآن وثالثها منارة باب علي رضي الله عنه
واول من عمرها المهدي العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى
ان ادركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد في اعلاها فامر السلطان
سليمان عليه الرحمة والرضوان فهدمت واعيدت من الحجر الاصفر الشميسي
وجعل لها دوران اعلا واسفل وغير راسها على اسلوب منائر الروم ورابعها
منارة باب الحزورة وهي بدورين من اول واول من بناها المهدي العباسي ثم
عمرت في زمن الملك الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت

في سنة ٧٧١ وسلم الناس منها وفرغ المعمرون منها في افتتاح المحرم سنة ٧٧٣
بتقديم السين فيهما وهي باقية وخامسها منارة باب الزيادة وهي بزيادة
بدورين عمرها المعتضد العباسي ولعلها بنيت لما بني زيادة دار الندوة
وسقطت وانشاها الملك الاشرف برسباي في سنة ٨٣٨ كما هو منقور
في حجر بجنب المأذنة وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي بناها
على عقد باب مدرسته التي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة
ادوار افتخر بها وبصناعتها مهندس عصره على مهندسي زمانه وبنى نظيرها
منارة اخرى على عقد باب مسجد الخيف من منى فرغ من بنائهما في سنة كذا
وسابعها منارة السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان امر ببنائها
في احدى مدارسه فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية
العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشميسي الصغير مركبة
سبك الذهب الاحمر لها ثلاث دوائر مرفوعة واساسها كلها مرفوع راسها
على اسلوب منائر بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الارض
الى مدارج التخوم بناها الامير قاسم بك امير عمارة المدارس السليمانية وصنجق
جده فرغ من بنائها في سنة ٩٧٣ وهي عين المنائر السبع التي حول المسجد الحرام
الآن عليها عمل المؤذنين في الاوقات الخمس وفي شهر رمضان وغيره وكانت
على المسجد الحرام منائر اخرى ذكرها اصحاب التواريخ منها على باب ابرهيم منارة
هيئة صومعة هدمها بعض امراء مكة لاشرافها على داره ذكرها التقي
الفاسي ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي اصغرها

وهي

وهي علم لباب الصفا ولا يصعد اليها لضيقها انتهى ومنها منارة على الميل
الذي عنده ولو عنده لما يسعى بين الصفا والمروة ذكرها الفاكهي وهذه
المنائر الثلاثة التي كانت على المسجد الحرام قد تهدمت ولا يعلم من بناها ولا
متى هدمت وبعلو مكة المشرفة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على
يسار الذاهب الى المعلاة بقرب بير عدي بن مطعم بن نوفل يقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب راسها وكان
لها دوران ولا اعلم من بناها يؤذن فيها بعض اهل ذاك الحي في مغرب شهر
رمضان ويعلق فيها قنديل لاعلام اهل ذلك المكان بدخول وقت المغرب
للافطار في شهر رمضان ويسحر عليها اخر الليل ويطفى القنديل بعد السحور
اعلاما بدخول وقت اول الفجر ليمتنع الصايمون من الاكل والشرب وهو باق
الى الآن وذكر التقي الفاسي ان المنائر على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب
والجبال وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكان لهم ارزاق وكان
لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل ابي قبيس منارة وعلى القلة منارة ومنارة
مشرفة على اجياد ومنارة الجنبة ولعبد الله بن مالك منارة تشرف على
الحزورة ومنارة على شعب عامر وعلى جبل معاجة وجبل العرج وعلى
جبل الاحمر ومنائر كثيرة عددها ورايت في تعليقة انها كانت خمسين
منارة في شعاب مكة المشرفة قال التقي الفاسي وقد ترك الاذان على جميع
هذه المنائر وما بقي شي منها والله اعلم فصل خاتمة في ذكر المواضع
المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة فمنها المواضع التي نص عليها العلماء

تجري عليهم واول من جدد تلك المنائر
على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها
هرون الرشيد واجرى على المؤذنين
بها الارزاق م

[illegible]

أن الدعاء فيه مستجاب وذكر الحسن البصري خمسة عشر موضعاً يستجاب الدعاء فيها وعددها وقال غيره مواضع أخرى فبلغت ٣٠ موضعاً وذكر منها مواضع غير معروفة الآن فنقتصر على المعروف منها وهو مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وجربته مراراً وتحت ميزاب الرحمة وفي داخل الكعبة الشريفة وعند زمزم وخلف المقام على نبينا وعلى صاحبه أفضل الصلوة والسلام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات الثلاث وعدوها ثلاث مواضع غير أن علماءنا ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الأولى وعند الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الثالثة وهي جمرة العقبة ويظهر من كلامهم أن الوقوف للدعاء بعد رمي جمرة العقبة غير مأثور لأنه لا يدعو هناك وقد ذكر الحسن البصري أن الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الأوليين قال ويستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار إلى الآن وكان بعض العلماء قيد إجابة الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الزوال وفي دار أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها بليلة الجمعة قال المحب الطبري أن دار خديجة رضي الله عنها أفضل المواضع بمكة المشرفة بعد المسجد الحرام وذلك لطول سكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها وكثرة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم بها وفي مولد فاطمة الزهراء ومنها دار الخيزران وهي من قرب الصفا كانت تسمى دار الأرقم المخزومي ثم عرفت بدار الخيزران والمختبى هو أفضل المواضع بمكة المشرفة بعد دار أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لكونه مكان النبي صلى الله عليه وسلم بها يدعو الناس إلى

الاسلام

الاسلام والمختبى قبة تزار وهو الموضع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم مختفياً فيه من الكفار ويجتمع عليه من آمن به ويصلي بهم الأوقات الخمسة إلى أن أسلم عمر رضي الله عنه فجهر بالإسلام وبالصلوة وأعز الله سبحانه الإسلام ودار الخيزران هي وحوالي هذا المختبى ملكتها الخيزران أم الرشيد شراء ثم تناقلت في يد الملاك إلى أن صارت الآن من جملة أملاك السلطان مراد ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب إلى منى بينه وبين العقبة التي هي حد منى مقدار غلوة أو أكثر وهو مسجد منهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ومنها مسجد المتكى يستجاب فيه الدعاء وقال القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي في البحر العميق إن بأجياد الصغير موضعاً يقال له المتكى وهو حجر مرتفع على الأرض ملاصقة لدار بعض بني شيبة قلت وهذه الدكة درست الآن وما بقي منها إلا البعض من أحجارها وذكر النقاش في منسكه المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة المشرفة ووقت لكل بقعة أوقات معينة قال أما خلف المقام وتحت الميزاب ففي السحر وتحت الركن اليماني وقت الفجر وعند الحجر الأسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غيبوبة الشمس وداخل البيت الشريف عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وبمنى ليلة البدر شطر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال وتحت السدرة وهي غير معروفة الآن وبالموقف عند غيبوبة الشمس

متخفياً عن أشرار قريش الكفار ذكره التقي الفاسي رحمه الله تعالى بوفا شفا الغرام وقد وقفت الحج

ومنها في جبل ثور عند الظهر وفي جبل ثبير وحرا مطلقاً

وأحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين الكرم الله تعالى ببنا هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عقده له العباس بن عبد المطلب وأنه بني في سنة ١٤٤ أو ... أبو جعفر المنصور العباسي وعمره أيضاً المستنصر العباسي كما في جدار بناه في سنة ٦٢٩ وتلك الأحجار ملصقة بتلك المحل الآن يخشى عليها الضياع فتدرس آثار ذلك المسجد وكان ابراهيم المرحوم دفتر دار مصر سابقاً أمير عين عرفات شرع في تجديد هذا المسجد وأسس وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفي الى رحمة الله تعالى قبل أن تتمه وما في أصل بعده الى الآن لا تمام وهو من المساجد المأثورة النبوية

هكذا ذكره النقاش ومنها جبل أبي قبيس إنما سمي به لأن رجلاً من إياد
يكنى بأبي قبيس صعد فيه وبنى به بناءً فعرف به قال الفاكهي إن الدعاء
فيه مستجاب وإن وفد عاد قدموا إلى مكة المشرفة للاستسقاء لقومهم
فأمروا بالطلوع إلى جبل أبي قبيس للدعاء وقيل لهم لم يعله خاطر يعني في
الله تعالى منه الإنابة الإجابة لما دعاه وفيه على إحدى الروايات قبر آدم
وحوى وشيث عليهم السلام ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء المغاربة
يسمى رباط المرفق وقفه القاضي جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري
في سنة ٦٠٤ فصل يحكى عن الشيخ خليل أنه كان يكثر إتيانه ويقول إن
الدعاء يستجاب فيه وعند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله
ابن مطروف أنه قال ما وضعت يدي في حلقة باب هذا الرباط إلا ووقع في
نفسي كم ولي لله تعالى وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة باب المعلاة مواضع
يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي وهو محل في شعب
بني هاشم كان فيه تابوت من خشب عار فبني عليه قبة من الحجر الشميسي
الأمير الكبير السعيدي الهندي محمد بن سليمان جركزي دفتردار مصر في أيام المرحوم
داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان سليمان بناه في سنة ٩٥٠ وكسى
التابوت كسوة فخرة وعين له خادماً ورتب عليه علوفة من خزائن الصدقات
السلطانية جارية عليه إلى الآن ومنها عند قبر الفضيل بن عياض رضي
وقبر الشيخ عبد الكريم بن هوازن القشيري وهما في محوطة فيها جماعة
أولياء علماء منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف

بالطواشي

بالطواشي وكثير من مشاهير الصلحاء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف القشبندي
الرومي ومنها عند قبر سفيان بن عيينة ومنها عند قبر الشيخ أبو الحسن
الشوني وذكر الشيخ خليل المالكي أن الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند
قبر سماسرة الخير بالمعلاة ويقال إنه إذا أراد أن يدعو عند سماسرة
الخير أن يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود بحذائه عن يساره
وقد اندرست تربة الملك المسعود الآن محلها فوق البير المعروفة ببير أم سليمان
الموجودة الآن مرتفعاً عن طريق السيل ومنها عند قبر الداعي بالقرب
من الجبل قال البرجاني النهرواني في منهج المنقوش الدعاء عنده مستجاب ومن
المواضع التي جربتها أنا لقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم علاء الدين الكرماني
النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياه توفي ٩٢٩ سنة وفي
مكة المشرفة مواضع مباركة وموالد متيمنة ومساجد ما تورد غير هذه
فمنها مولد علي بن أبي طالب رضي وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي
قبيس في قفاه في شعب يقال له شعب علي به مسجد يصلى فيه ومولده الآن
منهدم عمره الله تعالى من عمره ومنها موضع يقال له مولد حمزة رضي في أسفل مكة المشرفة
لاصق بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين إلى بركة ماجن ومنها موضع
في أعلى الجبل يقال له جبل النوبي يقال إنه مولد عمر بن الخطاب رضي يطلع الناس
إليه للفرجة والسير لإشرافه على مكة المشرفة ومن الناس من يصعد إلى
زيارته قال التقي الفاسي لا أعلم في ذلك شيئاً يستأنس به عن جدي
لأبي الفضل النويري كان يذكر هذا في جمع من أصحابه في الليلة الرابعة عشر من

ربيع الاول من كل سنة انتهى قلت وهذا باق الى الآن يجتمع فيه الفقراء احياء
تلك الليلة ومنها في زقاق المرفق محل فيه مسجد يقال انه دار ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه داره وبناه نور الدين علي بن رسول الغساني صاحب اليمن
قبل ان يؤول الملك اليه سنة ٦٢٣ ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر يتبرك الناس
بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز عليه قال التقي
الفاسي لعل هذا الحجر ان صح كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم هو الحجر الذي
عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي ليالي
بعثت انتهى قلت ويقرب هذا الحجر قبل ان يوصل اليه في مقابلته
على يسار المستقبل صفيحة حجر مبني في الجدر في وسطه حفرة مثل
المرفق يزوره العوام ويزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكى عليه فغاص
مرفقه الشريف في ذلك وهو يكلم الحجر الذي امامه على شماله قال ابو البقاء
ابن الضياء في البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفرايني في كتاب زبدة الاعمال
ان اهل مكة يمشون اذا ارادوا المولد من دار خديجة رض الى مسجد يقولون
انه دكان ابي بكر الصديق رض كان يبيع فيه الخز واسلم فيه على يديه عثمان
ابن عفان والزبير وطلحة رضي الله عنهم قال وفي جدار هذه الدكان اثر مرفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى دار ابي بكر رض ذات يوم
ونادى يا ابا بكر انتهى قلت الجدار الذي فيه المرفق بعيد من دكان ابي بكر رض
الى ناحية القبلة بينهما دور وما رايت في كلام احد من المؤرخين [illegible]
شيئا من ذلك والله سبحانه اعلم بحقيقته فصل ومن الدور المباركة بمكة المشرفة

دار

دار العباس رض بالمسعى عند احد الميلين الاخضرين وهي الآن رباط
يسكنه الفقراء ومنها موضع بسفح جبل قعيقعان يلصق دار القاضي حسين
ابن ابي بكر الحسيني ناظر الحرم الشريف يقال له معبد الجنيد رحمه الله تعالى قال
سعد الدين الاسفرايني انه معبد الجنيد ومعبد ابراهيم بن ادهم فصل
ومن الجبال المباركة الماثورة بمكة المشرفة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح
الراء ممدودا ممنوعا من الصرف وكانت الجاهلية تعظمه ايضا وتذكره
في اشعارها فمن ذلك قول ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ٭ وراق ليرقى في حراء ونازل ٭
ويقال له جبل نور بالنون ايضا لظهور انوار النبوة منه ولكثرة اتيان
النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده به ونزول الوحي فيه عليه السلام وذلك
في غار اعلاه معروف يؤثره الخلف عن السلف وفي اعلاه صهريج ماء يجتمع
فيه المطر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما
طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهموا بقتله كان على جبل ثبير فقال له
ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني اخاف ان تقتل على ظهري
فيعذبني الله تعالى فناداه حراء الي يا رسول الله قال القاضي ابو البقاء بن
الضياء في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختفى من المشركين في غار ثور
فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اختفى عن المشركين في حراء في واقعة
ثم اختفى منهم في غار ثور وقت الهجرة قلت لم ينقل وقوع ذلك له صلى
الله عليه وسلم مرتين وليس في حديث السهيلي ان حراء نادى النبي صلى الله عليه وسلم

الذي اختبى من المشركين خصوصًا وقد قال السهيلي لما نعلم هذا الحديث في الهجرة
قال واحسب في الحديث ان ثورًا ناداه ايضًا فقال له ثبير اهبط عني ومن
الجبال المباركة المأثورة جبل ثور وهو جبل اكبر من حراء وابعد منه بالنسبة
الى مكة المشرفة يسمى بثور بن مناة لسكناه فيه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر رضي دخلاه واختبيا فيه عن المشركين لما قصدوه بالقتل فنجاه الله تعالى
منهم وذكر ذلك موجود في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها الغار مشهور بتلقي
الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذي يروى ان
جبريل عليه السلام ضرب بجناحه ففتحه وقل ان يدخل اليه احد من بابه
الضيق لان الدخول منه عسر ويحتاج الى فطنة ومن الجبال المباركة في الحرم
الشريف ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات في منى وهو الذي هبط عليه
الكبش الذي فدي به اسمعيل عليه السلام قال السيد التقي الفاسي بلغني
عن شيخ شيخنا المجد اللغوي الفيروزابادي انه صلى الله عليه وسلم قرأ في هذا الغار سورة
المرسلات في جماعة من اصحابه رضي الله عنهم فخرجت عليهم حية فابتدروها
ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق موافقة للقصة التي اتفقت للنبي
صلى الله عليه وسلم ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف ابي قبيس قال الفاكهي حدثنا
ابو بكر احمد بن محمد المكي حدثنا عبد الله بن اسامة قال حدثنا طفيل بن الزبير
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي قال ما مطرت مكة قط الا وكان
للخندمة غرة وذلك ان فيها قبر تسعين نبيًا انتهى وهي مشرفة على اجياد
الصغير وشعب عامر وهي معروفة الآن عند الناس بمكة المشرفة فصل

وأما

وأما المساجد المأثورة المباركة فمنها ما قد انمحى أثره ولا يعرف مكانه
فلا نطول كتابنا بذكره وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد منها
مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى في شعب بقرب ثنية اوجريف
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ومنها مسجد باعلى مكة يقال له مسجد
الجن وقال الازرقي تسمية اهل مكة مسجد الحرس في مقابلة الحجون وانت
صاعد على يمينك ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم
رأسها الآن ويقال لها منارة ابي شامة وامامه الى جانب اليسار بئر
معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل ويقال ان
النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته في هذا المسجد ومنها مسجد بالمدعى
عند الميل الايمن المستقبل في مقابلة زقاق الحجزة قال السيد التقي
الفاسي يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب قلت هو مسجد
لطيف جدًا الآن معروف احاطت به العمران الا الجهة الجنوبية منه التي هي
طريق وهي بين دكاكين السويقة يتعين على اهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه
وفقهم الله تعالى لذلك ومنها مسجد باسفل مكة المشرفة ينسب الى ابي بكر رضي يسمى
الآن دار الهجرة يقال انه ركب منه مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة المنورة
تزوره الناس وفيه يذكرون الله تعالى ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل
يقال انه من مساجد عائشة رضي وهو بعيد عن اميال الحرم الشريف وكان
يسمى مسجد الشجرة لشجرة كانت هنالك قديمًا وقد انهدم هذا المسجد وما بقي
منه الا آثار جدرانه قائمة فكانه المكان الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم ام المومنين عايشة رضي مع اخيها لتعتمر منه ولا يصل المعتمرون اليه
الآن بل يقتصرون على اميال الحرم فيبرزون عنها قليلا ويحرمون بالعمرة
ويعودون ومسجد عايشة رضي مما يتعين تجديده وتعميره لانه من الاثار
المباركة القديمة وقد تركه الناس واقتصروا على مساجد مرسومة
بالاحجار بمحاريب موضوعة من الاحجار الصغار وهناك صهريج عظيم
قديم يمتلي من السيول ايام المطر يتوضا المعتمرون منه فلما حج سنان باشا
في سنة ٩٧٨ اعتمر من التنعيم وكان هذا الصهريج خاليا لانه لم يكن ايام
مطر حينئذ وراى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من اماكن بعيدة
يتعبون في ذلك وكانت هناك بير بعيدة منهدمة مملوة بالتراب
فامر القاضي حسين ان يحصل له من يحفر تلك البير ويبني مجرى الماء
ليجري فيه الماء من البير الى الموضع الذي يعتمرون الناس منه بقرب الاميال
وعين خادما لجبذ الماء من البير في كل وقت يسكبه في ذلك المجرى فيسيل
منه الماء الى موضع يتوضا فيه المعتمرون وترد اليه القوافل الى بدر من هناك
وابن السبيل وينتفعون بذلك انتفاعا تاما ويدعون لصاحب هذا الخير
وهذا اثر عظيم لسنان باشا المذكور من جملة خيراته الجارية دايما اجرى
الله تعالى على يديه الخيرات واثابه عليها اسنى المثوبات وبلغه ما يتمنى
وختم له وله بالحسنى وهذا اخر ما اردت جمعه في هذه الاوراق من
كل خبر ظريف واثر شريف يفرق معناه ويراق ولطف ايراده في الاسماع
والاذواق كله نخب درر ونصايح وجميعه تحف غرر ومنايح يتسابق الراكب

العجلان

العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يظن بها كانها النجوم في سماء
اللطافة زاهرة او زهور في رياض الظرافة باهرة تحت كل فقرة منها درة
فاخرة وضمن كل لفظة نكتة خفية او حكمة ظاهرة وقيل

آصبحت للقلوب قوتا واضحت ... قرط اذن وللنواظر قره
ولعمري يحق لو كتبوها ... بسواد العيون فوق المحجره

فدونك ايها الفاضل اللوذعي والكامل الالمعي الناظر في هذا الكتاب
المتصفح لوجنات هذه العذاري الكعاب ما اودعته من لطايف الاداب
وادرجته من زبد الحكم واللباب ولا يحملك الحسد الذي جبل عليه الانسان
من انكار ما تجده من المزايا الحسان ولا يميلك استصغار مولفها الى
نبذ فوايده والاستهانة بعظيم موايده فان ذلك مغنما وعلى غيرك معرما
وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعترافه بالفضل في كل ان
ومع ذلك فلا ادعي رتبة الكمال فوق كل ذي علم عليم ولا ازعم النزاهة
عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم ولقد
قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال
فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في
الميل الى نقصه ولقد كتب القاضي الفاضل الى العماد الكاتب معتذرا
عن كلام استدركه عليه ولقد وقع لي شي وما ادري اوقع لك ام لا وها
انا اخبرك به وذلك اني رايت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في
غده لو غير هذا لكان احسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا

تجهيم وتعزيم

لكان افضل ولو ترك ذلك لكان اجمل وهذا من اعظم العي وهو دليل علي
استيلاء النقص علي جملة البشر انتهي فاللايق بالفاضل اذا عثر
بشي مما كتبنا فيه ان يعذر المولف ويستر الزلل ويقيل العثار
ويسد الخلل والعوز فالكريم عفاء وللعيوب ستار نسال الله تعالي
ان يحشرنا مع الابرار ولقد رايت ان اجعل ختم هذا الكتاب
مسكا وانظم له الجواهر الفاخرة سلكا فى ضمنه كما بدايته بالدعاء
لدوام سلطاننا الاعظم خليفة الله تعالي الافخم صاحب السيف والقلم
والعلم والعلم ملك العرب والعجم سلطان الزمان خافض الكفر
ورافع الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعيان الذي
يسعي للثم اعتابه ملوك الشرق والغرب قبلة قلوب العالمين كعبة
العلماء العاملين المحسن الي اهل الحرمين الشريفين المتفضل علي
جيران الله تعالي وجيران نبيه صلي الله عليه وسلم في هذين البلدين المنيفين
البادل عدله واحسانه علي الرعايا والامن في ظل امنه جميع البرايا
البحر الذي يتدفق عدله واحسانه بالعجايب والاحري بلوغ باعتابه من
نال التشرف الافتخار وفيه دخل اليه السعادة من باب الفرج وقيل فيه
له دولة اسمي له الله في العلي مقاما واعلاها جنابا واسماها
لقد اعربت عن سيرة عمرية تبوأها عثمان بالعدل مبناها
السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان نصر الله تعالي عزايمه وامضي
في روس العداء صوارمه وشيد به بنيان الاسلام ودعايمه وجعل

مغازمه

مغازيه في سبيل الله تعالي مغانمه ولا زالت الويته نصره منشوره الذوا
مشهورة القواضب مشرقة كالشمس يغشي ضوءها المشارق
والمغارب صاعدة في السماء تزاحم مناكب الكواكب ولا برحت
اسباب سعادته تقوي واحاديث المكارم عنه تروي في عز مزيد
ونصر مشيد وعمر مديد وسلطنة لا تبيد وسعادة تزيد ما لاح
نجم علي افق السماء وما هب النسيم علي العشاق بالطيب والحمد لله رب
العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه اجمعين الي يوم الدين
كتب المولف رحمه الله تعالي في اخر نسخة الاصل قد فرغ مولفه
من تحريره ووقفت انامل قلمه عن تحبيره
في ليلة يسفر صباحها عن سبع
مضين من شهر ربيع الاول
سنة خمس وثمانين ٩٨٥
وتسعمايه

پت

اليه تسند

الحمد لله كما [illegible]
بلغ مقابلة [illegible] علي نسخة [illegible] ان شاء الله ١٠٥٨
[illegible]
وانا الفقير [illegible]
محمد [illegible]